

سلسلة مؤلفات أبي عبد الرحمن نور الدين الحبيشي (37)

صِفَاتُ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

تأليف

أبي عبد الرحمن نور الدين بن أحمد بن قائد الجبشي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تقدّم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري

فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن رمان الحبيشي

فضيلة الشيخ: أبي العباس منصور المجيدي

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمَن - عدن

سلسلة مؤلفات أبي عبد الرحمن نور الدين الحبشي (٣٧)

صِفَات الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

تأليف
أبي عبد الرحمن

نور الدين بن أحمد قايد الحبشي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري

فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبشي

فضيلة الشيخ: أبي العباس منصور المجيدي

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

صَفَا شَالِدَاعِيَّةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

محفوظ جميع الحقوق

اسم الكتاب: صفات الداعية إلى الله تعالى
المؤلف: أبو عبد الرحمن نور الدين بن أحمد بن قايد الحبشي
مقاسات الكتاب: ٢٤×١٧
تاريخ التنسيق: ١٤٤٦هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الإمام الشافعي عدن - اليمن

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

الشيخ عثمان جولة القاهرة

خلف فندق الريان

+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢

حضر موت الحامي - جوار مسجد النور - الشارع الشرقي من النادي

+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٢٠٥٣٤١٥٩٨

alshafibooks@gmail.com

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صِفَاتُ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

ما أحسن ما قيل في فضل تأليف الكتب:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى *** ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء *** يسرّك في القيامة أن تراه
أجلّ ما كسبت يد الفتى قلم *** وخير ما جمعت يداه الكتب

وما أحسن ما قيل:

أموت ويبقى كل ما قد كتبه *** فيا ليت من يقرأ كتابي دعا ليا
لعل الإله يمن بطفه *** ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

وما أحسن ما قيل:

ولي يومٌ سأرحل دون ريبٍ *** فهلاً ما نشرتُ نشرتموه
لعل الله يجزينا بخيرٍ *** وما من سيءٍ عني ادفنوه

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أو أن يصنف كتاباً في العلم؛ فإن تصنيف العالم ولده المخلد قد مات قومٌ وهم في الناس أحياء). اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٣٤).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إني لأفرح بالكتاب حين يخرج أعظم من فرحي بالولد). اهـ

وقال المزمي رَحِمَهُ اللَّهُ سمعت البويطي يقول: قلت للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (إنك تتغنى

في تأليف الكتب وتصنيفها والناس لا يلتفتون عليك ولا إلى تصنيفك فقال لي إن

هذا هو الحق والحق لا يضيع). اهـ من "تاريخ دمشق" (١١/ ٣٦٥).

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فقد طالعْتُ رسالة: «صفات الداعية إلى الله تعالى» لأخي

المبارك والداعية المفيد: **نور الدين بن أحمد بن قايد الحُبَيْشي** حفظه الله

فألقيتها رسالة طيبة، فيها بيان لأهم الصفات والأخلاق التي يتعيّن التحلي

بها لمن سلك هذا المسلك.

وزادها زينةً ما حلاها به من قصص وآثار العلماء، فتكون عوناً - بعد الله

- لطالب العلم والداعي إلى الله في هذا السبيل العظيم المحفوف بالابتلاء

وغيره لكنه المبارك في فضله وأجره.

فجزى الله أخانا نوراً خيراً، وبارك الله فيه وفي علمه.

عبد الحميد بن يحيى الزُّعْكَرِي

١٠ صفر ١٤٤٨ هـ

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك
على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد وقفتُ على كتاب أخينا الداعية الفاضل: **نور الدين الحبشي**
الموسوم بـ «**صفات الداعية إلى الله تعالى**»، فتأملتُ ما حواه من معانٍ نافعة،
وإرشاداتٍ قيمة، فرأيتُه كتابًا جديرًا بالعناية؛ إذ جمع فيه مؤلفه جملةً من
الصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلَّى بها الداعية إلى الله، في أسلوبٍ
رصين، وترتيبٍ حسن، مع العناية بالاستدلال من كتاب الله وسنة رسوله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإفادة من كلام أهل العلم.

وهو موضوعٌ من أجلِّ موضوعات الدعوة؛ إذ إن الداعية إنما يبلغ أثره
بحسن علمه، وجمال هديه، وصدق عمله، فصلاح الداعية من أعظم أسباب
صلاح المدعوين وانتفاعهم.

فأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَبَارِكَ فِي هَذَا الْجُهْدِ، وَأَنْ يَجْزِيَ مُؤَلَّفَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ،
وَأَنْ يَجْعَلَ كِتَابَهُ نَافِعًا مَبَارَكًا، وَيَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ، وَيَنْفَعُ بِهِ الدَّعَاةَ وَطُلَابَ
الْعِلْمِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وكتبه:

أبو عبد الله

فيصل الحاشدي

٩ صفر ١٤٤٨

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، الذي اختار من عباده أناساً يحملون أشرف رسالة وأجل وظيفة، وهي الدعوة إليه سبحانه. والصلاة والسلام على إمام الدعاة وسيد المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي مكث ٢٣ سنة يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فأنقذ الله به البشرية من الظلمات إلى النور.

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله هي مهمة الأنبياء والمرسلين، وهي وظيفة خير أمة أخرجت للناس. قال تعالى: **(وَلَتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** ولكن نجاح الدعوة لا يكون بمجرد الدعوة حتى تصدق النية. لأن للدعوة ميزاناً، وللقبول شروطاً، وللتوفيق أبواباً.

فالداعية الناجح ليس هو الأكثر علماً فقط، ولا الأفصح لساناً فقط، بل هو من جمع بين العلم والعمل، وبين الرفق والحزم، وبين الغيرة على الدين ورحمة الخلق.

ومن أهم تلكم الأسباب:

أولاً: الإخلاص.

ثانياً: السنة وصفاء المنهج وصفاء العقيدة.

ثالثاً: ونفع الناس

رابعاً: ويكون مفتاح خير، يفرج الكرب ويعلم الجاهل ويهدي الحائر.

خامساً: والإصلاح ولمّ الشمل.

سادساً: والبشاشة والأخوة يدخل القلوب بابتسامته قبل كلماته، ويعامل

الناس كإخوة لا كخصوم.

والغيرة على الحق.

وقد جمع أخونا الصالح والداعية الناصح: أبو عبد الرحمن نور الدين

الحبيشي وفقه الله وثبته جملة طيبة من أهم صفات الداعي إلى الله على

بصيرة وعلم وسنة نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب تذكرة للدعاة، ومعيناً

لطلاب الحق الوعاة، وسبباً في هداية الخلق إلى الحق.

وأن يستعملنا وإياكم في طاعته، ويجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين. والله الموفق.

أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري

المسجد الحرام مكة

١٣ صفر ١٤٤٨ هـ

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبشي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على سيد الدعاة أجمعين، دعا إلى الله حتى أتاه اليقين، وأشهد الله أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن مما لا شك فيه أنك أيها الداعي إلى الخير غالٍ عند الله، فالله سبحانه امتدح الدعاة إلى الله في كتابه فقال (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (سورة فصلت آية ٢٢) قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في هذه الآية: هذا أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، هذا حبيب الله، هذا صفّي الله، هذا وليّ الله.

وقال سبحانه واصفاً خيرية هذه الأمة (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (سورة آل عمران آية ١١٠)

فالداعية شخص مهم ومؤثر في الحياة، لأنه اشتغل وعمل بأرقى وظيفه،
ألا وهي وظيفة الأنبياء عليهم السلام. فيتحتم عليه أن يتصف بالصفات
الحميدة كما يقال:

مواظظ الواعظ لن تقبلا	***	حتى يعيها قلبه أولاً
يا قوم من أظلم من واعظ	***	خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الخلق إحسانه	***	وخالف الرحمن لما خلا

فمن صفات الداعية إلى الله تعالى:

١ - إخلاص النية: من أهم ما يتصف به الداعية إخلاص النية؛ لأن ذلك
يؤثر عليه في كل ما يقدم من قول أو عمل، وإخلاص النية أساس العمل في
الإسلام، والأعمال سرُّ قبولها في إخلاص النية؛ حيث لا يكون العمل
مقبولاً، ولا ينفع صاحبه إذا كانت النية فاسدة أو غير خالصة لوجه الله
تعالى، وبالإخلاص ينزل من الله تعالى النصر والعون، والمخلص يُنعم عليه
الله تعالى كثيراً؛ حيث يضع له القبول في الأرض، ويفتح له أفئدة الناس،
وبإخلاصه تلين القلوب القاسية.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في أعلام الموقعين عن رب
العالمين (٤/ ١٥٣): "وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ

أَنْ يُلْبَسَ الْمُخْلِصَ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالَ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبَسَ الْمُرَائِي اللَّابِسَ ثَوْبِي الزُّورِ مِنَ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبَغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخِرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ.

فلا بد للداعي أن يخلص نيته قبل أن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى، ويعتقد أن الدعوة عبادةً مثل العبادات الأخرى؛ يجب فيها إخلاص النية؛ امتثالاً لقوله جل وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ويقصد بدعوته التقرب إلى الله تعالى، ويتغني مرضاته، وينوي أنه بعمله هذا ينصر دينه، ويحاول إصلاح إخوانه من عباد الله تعالى، ويخرجهم من ظلمات الجهل والعصيان والشرك، إلى نور العلم والطاعة والتوحيد.

٢- التعمق في العلم: إن العلم أساس الإسلام، وأول ما نزل من الوحي الإلهي كان أمراً بالقراءة والحصول على العلم، ومنه تتضح أهمية العلم في الإسلام، إذًا فلا بد لمن يدعو إلى هذا الدين المتين أن يكون عالمًا؛ بل يجب أن يكون متعمقًا في العلوم الشرعية، ومتقنًا لها، ويعرف مبادئ الدين وأصوله، ويكون راسخًا في أمور العقيدة، ويخضع للقرآن والسنة وما أجمع

عليه علماء الأمة وفقهاؤها، ولا يُحَدِّثُ مِنْ هَوَاهُ ما ليس من الدِّين، ولا يعتقد نفسه عالمًا؛ بل يجب عليه أن يرجع دومًا إلى المصدرين الأساسيين للشرعية، ويَنظر فيما قاله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، والأئمةُ الأعلام الذين دَرَسُوا هذين المصدرين واستخرَجوا منهما أحكام الشرع.

وذلك لأن من يجهل العلوم الشرعية والمصدرين الأساسيين لها؛ فإنه يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح؛ لأن فاقده الشيء لا يُعْطيه،

٢- البصيرة: من أهم صفات الداعية المستخرجة من كتاب الله تعالى أن يقوم بعمل الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

والبصيرة على ثلاثة أقسام:

١- أن يكون على بصيرة؛ أي: على علم بما يدعو إليه؛ يعرف الحكم الشرعي من الحلال والحرام، فلا يُحِلُّ ما حرَّمه الله تعالى، ولا يُحرِّم ما أحله الله تعالى.

٢- أن يكون على بصيرة من أحوال المدعو وظروفه؛ فإن القوم الذي يدعوهم لا بد له من أن يكون على علم بعقائدهم ودينهم وظروف مجتمعهم الدينية والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية؛ لأن ذلك يحمله على

أن يكلمهم على قدر عقولهم، فمثلاً لو ذهب داعية إلى الله تعالى إلى قوم يجهلون العلوم الحديثة وما أنتجته التقنية الجديدة من الوسائل والآلات، فيقوم بينهم هذا الداعي ويدعوهم إلى التفكير في قدرة الله تعالى، ويضرب لهم الأمثال من هذه الوسائل والآلات، ويثبت الحق بها فإنه أمر لا يُجديه نفعاً! لا بد له أن يتكلم على قدر عقول الناس ومستواهم العلمي والحضاري.

وإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس على بصيرة، فحينما كان يرسل الدعاة إلى الأمصار والبلاد كان يوصيهم ويخبرهم بكل ما يدعو إليه، فلما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كِرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ))

٣- أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة، وهذا ما يفقده كثير من الدعاة المخلصين؛ يقومون في أوساط الناس ويدعونهم بحماس واندفاع في مكان يتطلب الدعة والوقار، وهذه هي الحكمة المطلوبة التي أمرنا الله تعالى بها في الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿[النحل: ١٢٥]؛ فلا بد أن يسلك طريقًا قويًّا يُناسب الدعوة الإسلامية، ويبشِّر ولا ينفر، ولا يسلك طريق الهوى والاندفاع؛ بل يأخذ الأمور بجديّة؛ متبعًا سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وسنته المباركة.

٣- الحكمة: وقد بين الله سبحانه وتعالى منهج الدعوة في الآية المذكورة، وأوضح للدعاة الأسلوب الأمثل للقيام بهذه المهمة العظيمة، والنبّي صلى الله عليه وسلم قد جسّد هذا الأسلوب الدعوي قولًا وعملاً، واتبعه الصحابة البرّة؛ فإنه صلى الله عليه وسلم كان قد أوتي الحكمة، **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** [البقرة: ٢٦٩]. والحكمة هي حُسن مخاطبة الآخرين في الوقت المناسب، والمكان المناسب، وبالأسلوب المناسب؛ لكي يصل الداعي إلى الهدف المنشود، ويتحقق له ما يريد؛ من إثمار دعوته، وتوجّه الناس إلى الرب جل وعلا، باستمالة قلوبهم وتحريك عقولهم وضمائرهم، وتسديد خطاهم؛ فلا بد للداعي إلى الله تعالى أن يتعلم الحكمة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الموعظة الحسنة أو اللين والرفق في الكلام: الأمر الثاني الذي أمر به الداعي في قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] هو أن يُرَغِّب الداعي إلى الله تعالى ترغيباً حسناً، يبشِّر ولا يُنفِر، ويعرض كلامه عرضاً مشوقاً، ويستخدم أسلوباً عذباً، ويتكلم بكلام لين رقيق، ويلقي الكلمة الطيبة، ويلقى الناس بوجه طلق وثغرٍ باسم، وصدر رحب، ولا يضيق ذرعاً ولا يعبس وجهه، يقدم الحلول والعلاج للأمراض التي تعانيها البشرية، ويصبر على المخالفة والأذى وعلى جهل المدعوين، وله أمثلة كثيرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإنه وسع الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم بخلقه الكريم وقلبه الرحيم وكلامه الطيب رغم المخالفة الشديدة، فلم يقس عليهم في الكلام، بل استخدم الموعظة الحسنة والكلمة الطيبة كأداة نافعة، فاجتمعوا حوله وآزروه وساعدوه في اليسر والعسر، وصاحبوه في الشدة والرخاء، وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إذن يجب على جميع الدعاة أن يدعوا الناس بالموعظة الحسنة، ويجتنبوا قسوة الكلام وشدته، ويستخدموا أسلوباً ليناً، ويبينوا أمام الناس مظاهر قدرة

الله تعالى؛ ليفكروا فيها ويعودوا إلى الرشد والصواب، وعلى الدعاة أن يبرزوا مميزات الإسلام وخصائصه ونفعها للإنسانية، وما آل إليه مصير الإنسانية بسبب البعد عن تعاليم الله، وكل ذلك بأسلوب يجذب الانتباه، ويلفت الأنظار، ويدعو إلى التفكير فيها.

وهناك صفات أخرى كثيرة لها أهميتها في الدعوة إلى الله تعالى، ويجب على الداعي أن يتحلى بها، ويقوم بالدعوة إلى الله تعالى متّصفاً بها؛ منها: التحلي بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، والصدق، والأمانة والحلم، وسعة الصدر والعفة، وعدم التطلع إلى ما آتى الله عباده من زينة الحياة الدنيا، والكرم، والتواضع، ولين الجانب، والشجاعة الحكيمة، وحُسن المعاشرة للناس والرفق بهم، والتودد للناس صغارهم وكبارهم، فقرائهم وأغنيائهم، والتواضع وعدم الكبر، والتجرد من المصالح الشخصية، وعدم الانتصار للنفس.

ولا شك أنه لو اتصف الداعي بهذه الصفات، واجتنب الفواحش وقول الزور؛ فإنه يؤثر في الناس أيما تأثير؛ يأسر قلوبهم، ويؤلفها ويجمعها على الكلمة الطيبة والإيمان بالله وحده، ويستجيب الناس لدعوته، ويلتفون حوله كأنهم وجدوا ضالّتهم المنشودة.

ولكن للأسف الشديد! لقد فقدنا هذه الصفات وهذه الأخلاق، فيجب علينا أن نعود إليها ونصبح دعاة إلى الله تعالى؛ كما أمرنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال العلامة شيخ الإسلام في زمانه عبدالعزيز ابن باز رحمه الله: يجب أن يكون الداعية طيب الخلق، منبسط الوجه، طيب الكلام، لا معبسا ولا مكفهرا، ولا كثير الغضب، كان الرسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا -عليه الصلاة والسلام- كان يدعو الناس بالحكمة، كما قال الله -جل وعلا-: **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ** [النحل: ١٢٥] أي بالعلم وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل: ١٢٥] قال الله في الكفار قال: **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** [العنكبوت: ٤٦] وهم كفار، فكيف بالمسلمين؟!

وقال النبي ﷺ: لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وجه طليق يعني منبسط، هكذا ينبغي للداعية أن يكون حسن الخلق، طيب البشر، طلق الوجه، حسن الكلام، طيب الكلام، لا عنيفا، ولا شديدا ولا مكفهرا، وقال الله تعالى: **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** [آل عمران: ١٥٩]

قال الله لموسى، وهارون لما بعثهما إلى فرعون اللعين الذي يقول: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى [النازعات: ٢٤] أكفر الناس، يقول الله لموسى، وهارون فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [طه: ٤٤].

يقال: إن بعض الوعاظ دخل على الرشيد، فقال: إني سأقول، وأشدد، فتحملني يا أمير المؤمنين: قال: لا يا أخي: لست بأفضل من موسى، وهارون: ولست بأكفر من فرعون: والله قال لموسى وهارون: **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا** [طه: ٤٤] ارفق بي، ارفق بي، لا تتكلم عليّ كلامًا شديدًا، ذكرني بالحق، هكذا ينبغي الرفق. اهـ

وفي المقابل يجب على الداعي إلى الله أن يحذر من الأخطاء في الدعوة إلى الله، وهي كثيرة جدا منها:

١ - الدعوة بلا علم، فهي تفسد أكثر مما تصلح، قال الله تعالى على لسان نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن الأخطاء عدم تقديم الأولويات وأولى الأوليات الدعوة إلى توحيد الله وكل دعوة لا تقوم على توحيد الله فهي فاشلة: وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال:

«إنك تقدم على قول أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاةً من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس».

ومن الأخطاء: الدعوة إلى الحزبيات وإلى البدع والمحدثات والخرافات وأقبح من هذا الدعوة إلى الشرك بالله رب العالمين.

ومن الأخطاء: التقصير في الواجبات؛ كإهمام بالأسرة ورعاية الأبناء، وقد قال الداعية الأول صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

ومن الأخطاء في الدعوة إلى الله: عدم التصفية والتربية.

قال الشيخ الألباني رحمه الله كما في فتاوى جدة شريط (١٧): إن المجتمع الإسلامي اليوم مجتمع واسع وعظيم جداً يعدُّ الملايين المملينة، وقد اقترن في هذه الأيام في هذا المجتمع ما يسمونه بالصحة ؛ لأن المسلمين كانوا كالنائمين يُعدهم عن تطبيقهم لأحكام الدين ، ثم صحوا بعد لَأيٍ وبعد زمن متأخر إلى وجوب رجوع المسلمين إلى دينهم ؛ كما قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في بعض الأحاديث إذا فعلتم ذلك (

سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) ، والحديث
لعلكم تذكرونه ، وأوله : (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ،
وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ
عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) ، ومما لا شكَّ فيه - مع الأسف الشديد -
أن المسلمين اليوم أذَلَّاء في كل مكان إلا ما شاء الله !، وأيُّ ذُلٍّ أكبر من
احتلال أذلَّ الناس لبلاد مقدَّسة هي فلسطين ؟ والمسلمون ينظرون إليهم
ويسمعون الانتفاضة في كل يوم يُقتل فيها كثير من المسلمين، والمسلمون
من حولهم ينظرون ويتفرَّجون، لا شك أن هذا من أكبر الذُّلِّ الذي أصاب
المسلمين فما هو الحل؟

لقد اختلفت آراء الجماعات الإسلامية في الوقت الحاضر في تصوُّر الحلِّ
ليعود المسلمون إلى مجدهم وعزِّهم الغابر ، ويتمكنوا من طرد العدو
الظالم، والذي نراه ولا نشك في ذلك هو ما تُدندن حوله في مثل هذه المناسبة
مما نسمِّيه بـ " التصفية والتربية "، لا بد من هذين الركنين الأساسيين لتحقيق
الإصلاح المنشود لإعادة المسلمين إلى عزِّهم القديم ، وأنا أعني حينما
أقول بالتصفية تصفية الدين مما دخل فيه من كلِّ جوانب الدين ؛ سواء كان
الدخيل في العقائد أو في العبادات أو في الأخلاق والسلوك ، أو في غير ذلك

من جوانب الدين الكثيرة ، ومن ذلك ما هو الأصل الثاني من الشريعة الإسلامية ؛ ألا وهي السنة ، فقد دخل فيها - كما تعلمون - كثير من الأحاديث التي لا صلة لها بنبيِّنا - عليه الصلاة والسلام - ، بل هي مفتراة عليه ، لا بد من إجراء مثل هذه التصفية العامة ، وذلك يتطلب قيام ألوف - لا أقول مئات - فضلاً عن عشرات العلماء ، بل ألوف العلماء في كل البلاد الإسلامية ؛ أن يقوم كلُّ منهم بواجب تخصُّصه بتصفية الإسلام مما دخل فيه ، هذا يصفِّي العقيدة من أدرانها ، ومن الشراكيات التي دخلت فيها ، ومن الانحرافات التي سُلِّطت باسم التأويل عليها ونحو ذلك ، وذلك يقوم بتصفية كتب التفسير مما فيها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المكذوبة التي لا يليق بالمسلم أن يرويها ، وما أكثرها ! والثالث يقوم بكذا وكذا إلى آخره حتى يعود الإسلام بهذه الجهود المباركة المتكاثفة إلى نقائه الأول، هذا لا بدَّ منه.

ثم الشيء الثاني الذي أعنيه بكلمة " التربية " ، ينبغي أن يقترن مع هذه التصفية تربية المسلمين على هذا الإسلام المصنَّى ، أنا أقول آسفًا ومصرِّحًا : هناك صيحة وهناك صحوة علمية ، ولكن ليس هناك إصلاح أخلاقي وتقويم لسلوك المسلمين حتى طلاب العلم منهم فضلاً عن غيرهم ؛ حتى

الذين ينتمون إلى السنة وإلى العمل بالحديث ، فنجد شكاوى كثيرة من كثير من أفرادهم ، من ذلك مثلاً أن بعضهم لا ينهض لصلاة الفجر كسلاً ولا مبالاة ، كذلك قد لا يهتمُّ بعضهم بإقامة الصلاة مع الجماعة وهو مسلم يصوم ويصلي ، ولكنه لا يهتمُّ بتحقيق هذه العبادة مع جماعة المسلمين ، هذا مثال قريب ومُشاهد مع الأسف بين كثير من المسلمين ، كذلك نجد في بعضهم انحرافاً سلوكياً أخلاقياً ، منها أن بعض الدعاة منهم فضلاً عن غيرهم ينطلقون في دعوتهم على القاعدة الكافرة التي تقول : " الغاية تبرر الوسيلة " ، فتجد بعضنا نحن فضلاً عن أولئك يرى أن يكذب لمصلحة ، فأنا مثلاً يرن جرس التلفون ، يقول : عندي سؤال ، من أنت ؟ يقول : طالب علم ، سبحان الله ! ألا يدري هذا المجيب بأن كلَّ سائل خاصة حينما يسأل حينما يسأل السائل قال لي هو أنا - الذي سألني هو طالب علم، هذا يشبه تماماً ما جاء في الحديث الصحيح، وهذا هو التربية على الأحاديث الصحيحة كما في " صحيح مسلم " أن رجلاً طرق الباب على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : " من ؟ " - يسأله الرسول - عليه السلام - - : (الطَّارِقُ مِنْ) فقال : أنا " إيش أنا ؟ ما عَرَّفَ نفسه بالنبيِّ وهو يسأله ليعرفه، فما كان منه - عليه الصلاة والسلام - إلا أن أنكر عليه هذه اللفظة

وهي قوله : (أنا) بأن كرّرها - عليه السلام - مؤنبًا له فقال : (أنا ، أنا) إيش أنا أنا؟ فحينما نسأل من أنت يقول: طالب علم يا أخي معروف أنك أنت طالب علم ولكن من أنت يسمي نفسه ويسمّي نفسه بغير اسمه لماذا له غرض - الله أعلم ما هو - في نفسه فيسمّي نفسه باسم لا يُعرف به، هذا كله داخل في فساد أخلاق المسلمين اليوم، وهذه الأمور كثيرة وكثيرة جدًا لا يُمكن إحصاؤها، وما أحسن ما يُروى عن شوقي مصري أنه قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
كيف لا ورسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - يقول: (إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)؟

وإن تعجب فعجبٌ أن بعض الجماعات الإسلامية من منهجهم أن لا يهتمّوا بهذه التربية الأخلاقية ، ويقولون: هذا زمانه حينما تقوم الدولة المسلمة ، أما الآن فيجب أن نُوجد في المسلمين فقط شيئًا واحدًا وهي اليقظة السياسية ، ولكي يهتمّوا لإقامة الدولة المسلمة ، بعد ذلك تأتي تربية النفوس على الأخلاق والآداب ، يأتي موضوع إثارة الحجاب، وأنه فرض على النساء ، وتحريم التبرّج منهنّ ونحو ذلك، فهذا صار نظامًا مخالفًا

للإسلام ، فنقول: لا بد لتقوم قائمة المسلمين ويعود إليهم مجدهم القديم من الرجوع إلى الدين كما قال - عليه السلام - في الحديث السابق .

وإننا نقول حينما قال - عليه السلام - : (حتى ترجعوا إلى دينكم) ، وهذه نقطة حساسة جدًا لا يتنبه إليها أكثر الدعاة الإسلاميين اليوم ، هم يؤمنون معنا بأن هذه حقيقة ؛ أنه لا نجاة للمسلمين من هذا الوضع الذليل الذي هم فيه إلا بالرجوع إلى الدين ، لكنهم يغفلون أو يتغافلون عن حقيقة الدين ، هذا الدين من أوصافه قوله - تبارك وتعالى - : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا)** من صفات هذا الدين أنه تمّ ، وذلك يستلزم سد باب الابتداع في الدين ، إلى الآن تجد ناس بل هم أكثر الأمة الإسلامية خاصّة وعامة يعتقدون أنه لا مانع من إحداث بدع يُسمونها بدعة حسنة ، فإذا - وهذا مثال ، والأمثلة تكثر وتكثر جدًا - حينما قال - عليه السلام - حتى ترجعوا إلى دينكم إنّما يعني الدين الذي أتمّ الله نعمته علينا بإكماله ؛ فأين الجهد ليرجع المسلمون لدينهم المُصفّى من كل دخيل كما ذكرت آنفًا ؟ ثم أين التربية التي يجب أن تقترن مع هذه التصفية؟ هما أساسان وركيزتان هامّتان جدًا جدًا لا سبيل لنهضة إسلامية حقيقية إلا على أساسهما اه كلامه .

هذا وقد قام أخونا الباحث المفيد النشيط الداعي إلى الله: **نور الدين بن أحمد بن قايد الحبشي** نور الله عليه حياته في كتابه هذا الذي بين يديك بعنوان: **(صفات الداعي إلى الله تعالى)** ببسط الكلام على هذه الصفات الحميدة للدعاة إلى الله والتي يحتاجه كل طالب علم وعالم وداع إلى الله، وقد دعم كتابه المذكور بأدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وقد قرأت كتابه هذا كاملا فرأيت أنه أجاد فيه وأفاد وذكر جملة من صفات الدعاة إلى الله فدونك به، وقد ذكر حفظه الله في كتابه هذا فوائد تشد لها الرحال، وفي الحقيقة أن كتابه هذا من أجمل كتبه وكله بفضل الله مفيدة ونافعة، وإني لأنصح بقراءة هذا الكتاب وطبعه ونشره وتدرسه حتى ينفع الله به العباد والبلاد فلله در أخينا الكريم نور من باحث مفيد وأخ نشيط جزاه الله خيرا في الدارين وثبتنا الله وإياه على الحق حتى نلقاه إنه جواد كريم.

وكتب:

أبو عبد الرحمن

ردمان بن أحمد بن علي النظاري الحبشي

الثلاثاء / ٢١ / من شهر صفر لعام ١٤٤٨ هـ

محافظة إب الخضراء

حرسها الله وجميع بلاد المسلمين

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي العباس منصور المجيدي

بسم الله والحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** القائل: «الدين النصيحة».

أما بعد: فقد أرسل إليّ أخونا المفضل صاحب القلم السيال الباحث المفيد الداعي إلى الله: **أبو عبد الرحمن نور الدين الحبشي** حفظه الله تعالى كتابه: «**صفات الداعية إلى الله تعالى**» فتصفحته فوجدته كتاباً رائعاً من أحسن مؤلفاته إن لم يكن أحسنها حري بالداعي إلى الله أن يقرأ فيه وينهل منه فقد ذكر فيه مؤلفه نحواً من خمسين صفة ينبغي للداعي إلى الله أن يتصف بها فهذا الكتاب جدير بالنشر على أوسع نطاق للاستفادة منه.

ولا يسعني في هذه العجالة إلا أن أقول: جزى الله أخانا أبا عبد الرحمن خيراً على جهوده في الدعوة والتأليف ونسأل الله أن ينفع بنا وبه وبجميع أهل السنة الإسلام والمسلمين إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه:

منصور بن عبده بن أحمد المجيدي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

بعد شروق الخميس التاسع من شهر صفر لعام ألف وأربعمائة وثمانية وأربعين للهجرة النبوية.

٣ / ٢ / ١٤٤٨ هـ

اليمن / أبين / جعار

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فقد منَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَيَّ بِتَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ الَّذِي هُوَ بِعَنْوَانِ: **(صفات الداعية إلى الله تعالى)** أقدمه بين يديك أيها القارئ الكريم لكي تتأمل ما قد حواه مما هو متعلق بصفات الداعية إلى الله تعالى التي ينبغي الاتصاف بها.

عزمت واستعنت بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ أَجْمَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ الْمَهْمِ الَّذِي هُوَ بِعَنْوَانِ: **«صفات الداعية إلى الله تعالى»**. الَّذِي أَعْتَبَرَهُ نَصِيحَةً لِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِي، وَإِعَانَتِهِ وَتَسْهِيلِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ. أَسْأَلُ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ يَجْعَلَنِي مِمَّنْ يَخْدُمُ دِينَهُ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَأَنْ يَسْتَعْمَلَنِي فِي طَاعَتِهِ، وَفِيمَا يَرْضِيهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ بَغْرَسَ يَسْتَعْمَلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ». ^(١)

(١) رواه ابن حبان في "صحيحه" (٣٢٦)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٥ / ٥٧١)، من حديث **أبي عتبة الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وَأَنْ يَجْعَلَنِي مِمَّنْ اخْتَصَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنَافِعُ الْعِبَادِ وَالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .
 عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا يَخْتَصِمُهُم
 بِالنَّعْمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيَقْرَهُم فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ،
 فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ». **رواه الطبراني** في "الأوسط" (٥١٦٢)، وحسنه **الإمام الألباني**
رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤ / ٢٦٤).

كلمة شكر

شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِمَامِ الْوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الذي له الفضل بعد الله علينا، وعلى غيرنا من مشايخ أهل السنة والجماعة، وطلاب العلم، وغيرهم من المحبين للدعوة السلفية الصافية النقية في نشر هذه الدعوة، والخير والعلم، والصفاء، والنقاء، والثبات أسأل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرحمه، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته.

وشكر الله لمشايخنا الكرام الذين تعلمنا منهم العلم النافع علم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، واستفدنا منهم خيراً كثيراً، وعلى رأسهم: **شيخنا العلامة المحدث يحيى الحجوري حفظه الله** وبقية المشايخ حفظهم الله تعالى. وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: **أبي محمد عبد الحميد الزعكري حفظه الله** الذي تكرم؛ وقدم لهذا الكتاب بمقدمة طيبة أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن بارك فيه، وفي علمه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: **أبي عبد الله فيصل الحاشدي** حفظه الله الذي تكرم؛ وقدم لهذا الكتاب بمقدمة طيبة أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يبارك فيه، وفي علمه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: **أبي اليمان عدنان المصقري** حفظه الله، الذي تكرم؛ وقدم لهذا الكتاب بمقدمة طيبة أسأل الله وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: **أبي عبد الرحمن ردمان الحبوشي** حفظه الله، وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

فقد قام بمراجعة هذا الكتاب، وقدم له بمقدمة طيبة مباركة يشكر عليها، أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يرفع قدره في الدارين فهو من الناصحين، ومن المحبين، ومن المشجعين لي، ومن المتعاونين معي أيما تعاون، ومن تشجيع أيما تشجيع، وأيما تحفيز فجزاه الله خير الجزاء، وأسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يجعل كتبي التي يراجعها ويقدم لها هو وبقية المشايخ في ميزان حسناته، وحسنات الجميع.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: **أبي العباس منصور المجيدي** حفظه الله، الذي تكرم؛ وقدم لهذا الكتاب بمقدمة طيبة أسأل الله وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجزي خيراً كل من تعاون معي وأعاني على طلب العلم: بالأخص **والدتي حفظها الله**، وأطال الله في عمرها، فلها الفضل بعد الله في استمراره في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله.

وهكذا رحم الله والدي أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلني تجاهه، والدي ممن قال فيهم: النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَكَ لَكَ». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٠٦١٠)، وحسنه الإمام **الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (١٢٩/٤)، وفي **رواية البزار** في "مسنده" (٩٠٢٤) «بدعاء ولدك لك».

وممن قال فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٦٣١)، من حديث **أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وممن قال فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ،

أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٢٤٢)، وحسنه **الإمام الألباني**

رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح ابن ماجه" (٣١٤ / ١)، من حديث **أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وهكذا شكر الله لأخينا الفاضل: **أبي مالك عبد الله بن مقبل الحجابي** حفظه الله الذي نسق هذا الكتاب، وغيره من الكتب أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا شكر الله لأخينا الفاضل: **أبي أحمد محمد اللحجي** حفظه الله وبارك الله فيه، وفي جهوده، وتعاونه معي.

وهكذا شكر الله لأخينا الفاضل: **أبي محمد عبد الرحمن الهندواني** حفظه الله على محبته، وتشجيعه، ومساندته لي.

وبعد هذا الشكر: أرجو ممن قرأ هذا الكتاب أن يدعوا لي؛ ولوالدي، ولمشاخي، ولسائر المسلمين بالرحمة والمغفرة والثبات على الكتاب والسنة حتى الممات.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَرْجُو إِنْ تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقًا لِلْمُعْتَنِي بِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ حَاجِزًا لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمُهْلِكَاتِ. وَأَنَا سَائِلٌ أَخَا انْتَفَعِ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَاخِي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ

اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِضِي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). اهـ من "رياض الصالحين" (٧).

كتبه:

العبد الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو عبد الرحمن

نور الدين بن أحمد بن قايد الحبشي

غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين

يوم الثلاثاء من شهر صفر

بتاريخ: ٢١ من شهر صفر / ٢ / ١٤٤٨ هـ.

كان هذا العمل في منزلي في م / الضالع / مديرية سناح

سبب تأليف هذا الكتاب

إن مما ينبغي على كل داعية من دعاة أهل السنة والجماعة أن يتحلى بشيم الأخلاق والأعمال والأقوال والأفعال في سائر شأنه فإن المتأمل في سير السلف والعلماء يجد أنهم قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في هذا الجانب.

ونظراً لما نجد من التقصير في الاتصاف بهذه الصفات في كثير من الدعاة أحببت أن أجمع في هذا الكتاب المبارك: (صفات الداعية إلى الله تعالى) أهم هذه الصفات لكي نتصف بها أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يجعل في هذا الكتاب البركة والنفع وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

ومن باب الفائدة: قد منَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليّ بتأليف كتاب: «مفاسد في طريق الدعاية إلى الله وعلاجها» عدد صفحاته (٢٦٠ صفحة) وقد نُشر وطُبِع عدة مرات في مكتبة الإمام الشافعي وبقية فروع.

والغرض من ذكره ها هنا هو أنه ينبغي على الداعية إلى الله أن يتعد عن الأشياء التي تفسده وتفسد دعوته وسيجد القارئ كل هذه المفسدات في كتاب: «مفاسد في طريق الدعاية إلى الله وعلاجها».

محتوى كتاب: صفات الداعية إلى الله تعالى

الصفة الأولى: أن يكون متأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم

الصفة الثانية: أن يكون مخلصاً لله في قوله وفعله ودعوته لله

الصفة الثالثة: أن يكون عاملاً بعلمه

الصفة الرابعة: أن يكون مراقباً لله تعالى في السر والعلن

الصفة الخامسة: أن يسعى لإصلاح سيرته لكي يصلح الله علانيته

الصفة السادسة: أن يكون حسن القصد والنية

الصفة السابعة: أن يكون صادقاً في قوله وفعله

الصفة الثامنة: أن يكون مؤدياً في قوله وفعله

الصفة التاسعة: أن يكون صبوراً على ما يلقي من الأذى

الصفة العاشرة: أن يكون رحيماً بالصغار والكبار

الصفة الحادية عشر: أن لا يشق على الناس في جانب الخطابة والإمامة

الصفة الثانية عشر: أن يكون صاحب خلق حسن

الصفة الثالثة عشر: أن يكون صاحب معاملة حسنة مع الناس

الصفة الرابعة عشر: أن يكون رفيقاً

الصفة الخامسة عشر: أن يكون متبسماً بشوشاً طليق الوجه

الصفة السادسة عشر: أن لا يكون عبوساً

الصفة السابعة عشر: أن يكون متواضعاً

الصفة الثامنة عشر: أن لا يكون متكبراً

الصفة التاسعة عشر: أن يكون صاحب سكينة ووقار

الصفة العشرون: أن يكون قنعا بما آتاه الله وبمنهج أهل السنة والجماعة

الصفة الحادية والعشرون: أن لا يكون كثير المزاح عند العوام

الصفة الثانية والعشرون: أن لا يكون كثير الضحك

الصفة الثالثة والعشرون: أن لا يكون كثير الكلام والقليل والقال إلا ما فيه مصلحة

الصفة الرابعة والعشرون: أن لا يكون كثير الجدل

الصفة الخامسة والعشرون: أن لا يكثر من مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة

الصفة السادسة والعشرون: أن يكون متعففاً مستغنياً زاهداً عما في أيدي الناس

الصفة السابعة والعشرون: أن يكون كريماً جواداً

الصفة الثامنة والعشرون: أن يكون محسناً لغيره بقوله وفعله

الصفة التاسعة والعشرون: أن يكون نافعا لغيره بقوله وفعله

الصفة الثلاثون: أن يكون قوالاً بالحق صداعا به

الصفة الحادية والثلاثون: أن يكون آمر بالمعروف ناهيا عن المنكر عاملاً بهما

الصفة الثانية والثلاثون: أن يكون محذراً من أهل البدع والأهواء والتحزبات

الصفة الثالثة والثلاثون: أن يكون شجاعاً

الصفة الرابعة والثلاثون: أن يكون مجتهداً في طلب العلم

الصفة الخامسة والثلاثون: أن يكون مجتهداً نشيطاً في الدعوة إلى الله تعالى ونشر العلم

الصفة السادسة والثلاثون: أن يكون صاحب همة عالية في البحث

وتأليف الكتب العلمية

الصفة السابعة والثلاثون: أن يكون متسلحاً بالعلم

الصفة الثامنة والثلاثون: أن يكون حريصاً على وقته

الصفة التاسعة والثلاثون: أن يهتم بتعليم الناس العقيدة والتوحيد

الصفة الأربعون: أن يكون مصلحاً

الصفة الحادية والأربعون: أن لا يكون حسوداً

الصفة الثانية والأربعون: أن لا يكون حقوداً

الصفة الثالثة والأربعون: أن لا يكون معجباً بنفسه

الصفة الرابعة والأربعون: أن لا يكون متبعاً لهواه

الصفة الخامسة والأربعون: أن لا يكون نماماً

الصفة السادسة والأربعون: أن لا يكون مغتاباً

الصفة السابعة والأربعون: أن يكون ذاكرًا لله كثيراً في سائر أوقاته

الصفة الثامنة والأربعون: أن يكون تواباً رجاءاً إلى الله تعالى

الصفة التاسعة والأربعون: أن يكون صاحب هيئة طيبة في جانب الملبس والطيب

الصفة الخمسون: أن لا يجالس إلا الصالحين

ختاماً: نصيحة لطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى أن يتصفوا بهذه الصفات



الصفة الأولى: أن يكون متأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون متأسياً بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سائر أحواله وحرركاته وسكناته وأقواله وأفعاله.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ **كَثِيرًا**﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلُ كَبِيرٍ فِي التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ). اهـ من "تفسيره" (٦ / ٣٩١).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فالأسوة الحسنة، في الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإن المتأسّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم. اهـ من "تفسيره" (٦٦٠).

وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَارَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَيُصَلِّي فِيهَا حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَصُبُّ الْمَاءَ تَحْتَهَا حَتَّى لَا تَبْسَ». **رواه البيهقي** في "السنن الكبرى" (١٠٢٦٩).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: (من أَرَادَ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا وَعَدَلَ السَّيْرِ والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها وَاسْتِحْقَاقَ الْفَضَائِلِ بِأَسْرِهَا فليقتد بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليستعمل أخلاقه وسيره مَا أَمَكَنَهُ أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِتْسَاءِ بِهِ). اهـ من "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" (١/ ٢٤).

وقال ابن النجار الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: (التأسي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلك كما فعل لأجل أنه فعل وأما التأسي في الترك فهو أن تترك ما ترك لأجل أنه ترك). اهـ من "اتباع لا ابتداء" (١/ ٦٦).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِإِمَامِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ: هَذَا أَكْبَرُ شَرَفٍ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ إِمَامَهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ من "تفسيره" (٥/ ٩٩).



الصفة الثانية: أن يكون مخلصاً في قوله وفعله ودعوته لله تعالى

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون مخلصاً في قوله وفعله لله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِيَحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الرِّيَاءِ فِي فِإِنَّهُ يَحْطُمُ الْعَمَلَ وَيَبْطُلُهُ.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا شيء يحطمُ العلم مثل الرياء، رياء
الشرك أو رياء إخلاص، ومثل التسميع بأن يقول مسمعاً علمتُ وحفظت،
وعليه فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب). اهـ من "شرح
حلية طالب العلم" (٧).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ
أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ» يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «إِذَا جُزِيَ النَّاسُ
بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ
عِنْدَهُمْ جَزَاءً». رواه أحمد في "مسنده" (٢٣٦٣٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في
"السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٣٤).

الشاهد من الحديث قوله: «اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ثبت عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء»^(٢) أن الإنسان يراني في عباداته يصلي لأجل الناس، يتصدق لأجل الناس، يحسن الخلق لأجل الناس، فهذا رياء، والعياذ بالله، والمرائي حابط عمله، والرياء من صفات المنافقين كما **قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [سورة النساء: ١٤٢].

واعلم أيها المرائي أن الله سيفضحك عن قرب، لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال «من راعى راعى الله به»، يعني أظهر مراءاته، وعيوبه عند الناس «ومن سمع سمع الله به»^(٣). اهـ من «شرح رياض الصالحين» (٦ / ٦١١).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٦٣٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة»

(٢ / ٦٣٤)، من حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٩٨٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما يتعثر من لم يخلص). اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٣٦٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٩٨٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ، حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: نعم، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك

فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار». **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٩٠٥).

الشاهد من الحديث قوله: ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. **قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:** وهذا دليل على أنه يجب على طالب العلم في طلب العلم أن يخلص نيته لله عز وجل، وألا يبالي أقال الناس أنه عالم، أو شيخ، أو أستاذ، أو مجتهد، أو ما أشبه ذلك لا يهمه هذا الأمر، لا يهمه إلا رضا الله عز وجل حفظ الشريعة، وتعليمها، ورفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن عباد الله حتى يكتب من الشهداء الذين مرتبتهم بعد مرتبة الصديقين: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [سورة النساء: ٦٩].

وأما من تعلم لغير ذلك، ليقال إنه عالم، وإنه مجتهد، وإنه علامة، وما أشبه لك من الألقاب فهذا عمله حابط، والعياذ بالله، وهو أول من يقضى عليه،

ويسحب على وجهه في النار، ويكذب يوم القيامة، ويوبخ. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦ / ٣٤٤).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي كَوْنِ الرِّيَاءِ مُبْطَلًا لِلْعَمَلِ مُوجِبًا لِلِإِثْمِ كَثِيرَةٍ جَدًّا وَارِدَةٌ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الرِّيَاءِ. الرِّيَاءُ فِي الْعِلْمِ، وَالرِّيَاءُ فِي الْجِهَادِ، وَالرِّيَاءُ فِي الصَّدَقَةِ، وَالرِّيَاءُ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى الْعُمُومِ، وَمَجْمُوعُهَا لَا يَفِي بِهِ إِي مُصَنَّفٌ مُسْتَقِلٌّ.

والرياء هو أضر المعاصي الباطنة، وأشرها مع كونه لا فائدة فيه إلا ذهاب أجر العمل، والعقوبة على وقوعه في الطاعة، فلم يذهب به مجرد العمل بل لزم صاحبه مع ذهاب عمله الإثم البالغ، ومن كان ثمرة ريائه هذه الثمرة، وعجز عن صرف نفسه عنه فهو من ضعف العقل، وحمق الطبع بمكان فوق مكان المشهورين بالحمافة). اهـ من "قطر الولي" (١ / ٤٤١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبَسَ الْمُخْلِصُ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبَسُ الْمُرَائِي اللَّابِسَ ثَوْبِي الزُّورِ مِنَ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبَغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخِرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ). اهـ من "أعلام الموقعين" (٤ / ١٥٣).

وهناك ثلاثة أمور تعين الداعية على الإخلاص:

أولاً: الدعاء والتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول في دعائه: (اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً). اهـ من "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٣٧).

وقال هرم بن حيان لأويس القرني رَحِمَهُ اللهُ: أوصني قال: (توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك، ونيتك، فلن تعالج شيئاً أشد عليك منهما). اهـ من "صفة الصفوة" (٢/ ٣١).

قلت: فعلى طلاب العلم أن يكثرُوا من الدعاء، والتضرع بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصدق، وإخلاص لكي يستجيب الله لهم، ويصرف عنهم هذه المفسدة، وغيرها من المفاسد، والفتن ما ظهر منها وما بطن.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

وقال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». متفق عليه. (خ ١١٤٥-٧٥٨).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فينبغي للإنسان أن يجتهد بالدعاء في هذا الجزء من الليل رجاء الإجابة). اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦ / ٥٥).

ثانياً: مجاهدة النفس على الإخلاص:

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده). اهـ من "القول السديد في شرح كتاب التوحيد" (١٣٠).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تنقلب علي). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٢ / ٥٦).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ومن أهم ما يكون من هذا مجاهدة النفس على الإخلاص لله عز وجل في العبادة؛ فإن الإخلاص، أمره عظيم، وشاق جداً، حتى إن بعض السلف يقول: (ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص) ^(٤)، ولهذا كان جزاء المخلصين أن من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه حرمه الله على النار.

لكن متى يكون هذا الأمر؟ إن هذا الأمر شديد جداً، فالمجاهدة على الإخلاص لله من أشق ما يكون على النفوس؛ لأن النفوس لها حظوظ؛ ولأن الإنسان يحب أن يكون مرموقاً عند الناس، ويحب أن يكون محترماً بين الناس، ويحب أن يقال: إن هذا رجل عابد، هذا رجل فيه كذا، وكذا من خصال الخير، فيدخل الشيطان على الإنسان من هذا الباب، ويحمله على مراعاة الناس، وقد قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «من سمع سمع الله به، ومن

(٤) قلت: والقائل هو سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تنقلب

علي). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٢/٥٦).

رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ». ^(٥) يعني أظهر أمره للناس حتى ينكشف، والعياذ بالله. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢ / ٥١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمر مهم بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها، أما إن قصد مراعاة الناس بذلك، أو أراد شيئاً من الدنيا: مالا، أو جاهاً، أو رئاسة، فعمله حابط، ونفعه قليل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٦]. اهـ من "رسالة في الدعوة إلى الله" (٢٤-٢٥).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الإخلاص لا تظن أنه سهل؛ بل إن الإخلاص من أشق الأشياء على النفوس، ولهذا كان من قال: «لا إله إلا الله». خالصة من قلبه دخل الجنة، فالمسألة خطيرة للغاية.

(٥) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٩٨٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولهذا يجب علينا ن نفتش عن قلوبنا هل نحن مخلصون في أعمالنا، في عبادتنا، في طلبنا للعلم، في كل أحوالنا). اهـ من "شرح عمدة الأحكام" (١/ ٢٤).
وقال العلامة السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: (اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله). اهـ من "القول السديد" (١٢٩).

وقال ميمون بن مهران رَحْمَةُ اللَّهِ: (إن أعمالكم قليلة، فأخلصوا هذا القليل). اهـ من "حلية الأولياء" (٤/ ٩٢).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ عند هذه الآية: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. قال: (إِنَّهُ لَا يُرَائِي بِعَمَلِهِ أَحَدًا). اهـ من "تفسيره" (١١/ ٧٠).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ: إذا قال قائل بم يكون الإخلاص في طلب العلم؟ قلنا الإخلاص في طلب العلم يكون في أمور:

الأمر الأول: أن تنوي بذلك امتثال أمر الله لأن الله تعالى أمر بذلك قال:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وحت سبحانه وتعالى على العلم، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به.

الثاني: أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم، والحفظ بالصدور ويكون كذلك بالكتابة كتابة الكتب، تنوي بذلك حماية الشريعة والدفاع عنها لأنه لولا العلماء ما حميت.

والثالث: الشريعة ولا دافع عنها أحد، ولهذا نجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرهم من أهل العلم الذين تصدّوا لأهل البدع وبيّنوا بطلان بدعهم نرى أنهم حصلوا على خير كثير.

والرابع: أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنك لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة.

هذه أمور أربعة كلها يتضمنها قولنا أنه يجب الإخلاص لله في طلب العلم عليه، فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب، كحب الظهور والتفوق على الأقران، وجعله سلماً لأغراضٍ وأعراضٍ من جاءه أو مالٍ أو تعظيم أو سمعة أو طلب محمّدة أو صرف وجوه الناس إليك فإن هذه، وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى بل وتحمي الحمى،

وللعلماء في هذا أقوال، هذا صحيح، ما قاله من وجوب حماية النية من هذه المقاصد السيئة فهو صحيح، ومن طلب علماً وهو مما يتغنى به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضاً من الدنيا لم يجد رائحة الجنة نسأل الله العافية. اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (٧).

ثالثاً: التخفي في الأعمال الصالحة وعدم إظهارها إلا من مصلحة: وعلى ذلك أدلة:

أولاً: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٧٥).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلى بيته، ومن بيته إلى أقاربه، وإخوانه خفي، يخفي نفسه، ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علماً أن يتوقع في بيته، ولا يُعلم الناس، هذا يعارض التقي، فتعليمه الناس خيرٌ من كونه يقبع في بيته، ولا ينفع الناس بعلمه، أو يقعد في بيته، ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمّع نفسه، ويظهر نفسه، ويبين نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذٍ يختار الخفاء، أما إذا كان لا بد من إظهار نفسه، فلا بد أن

يظهرها، هذا ممن يحبه الله عزّ وجلّ، وفيه الحث على أن الإنسان يكون خفياً، يكون غنياً عن غيره عن غير الله عزّ وجلّ، يكون تقياً لربه سبحانه وتعالى، حتى يعبد الله سبحانه وتعالى في خير وعافية. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥١١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «سبعة يظلهم الله في يوم لا ظل إلا ظله... ومنهم... ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». **متفق عليه** (خ ٦٦٠ - م ١٠٣١).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: تصدق بصدقة مخلصاً بذلك لله عزّ وجلّ، حتى إنه لو كان أحداً على يساره ما علم بذلك من شدة الإخفاء فهذا عنده كمال الإخلاص، فيظله الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا ما لم يكون إظهار الصدقة فيه مصلحة وخير، فإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة، وخير كان إظهارها أولى، لكن إذا لم يكن فيه مصلحة، فالإسرار أولى. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦٤٠).

ثانياً: قال الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل). اهـ من "مصنف ابن شيبة" (٧/ ١٣٢).

وقال عبد الله بن داود رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيّة من عمل صالح لا يعلم بها زوجته، ولا غيرها، ولقد كانوا يراقبون الله في ظلم الليل). اهـ من "علل الحديث لأبي حفص الفلاس" (١٩٦).

ثالثاً: عن أسير بن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له، والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٤٢).

الشاهد من الحديث قوله: «أكون في غبراء الناس أحب إلي».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: **كان أويس رَحِمَهُ اللَّهُ** من أولياء الله المخلصين المختفين الذين لا يؤبه لهم، ولولا أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبر عنه،

ووصفه ونعته بنعته، وعلامته، لَمَّا عرفه أحد وكان موجودًا في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمن به، وصدقه، ولم يَلْقَه، ولا كاتبه، فلم يُعَد من الصحابة. اهـ من "تطريز رياض الصالحين" (١/٢٥٣).

رابعاً: عن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: (أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ). متفق عليه. (خ ٦٥١٤ - م ٢٢٠).

قلت: قوله أما إني لم أكن في صلاة، يدل على أنه كان يخفي عمله، ولا يظهره؛ لأن إخفاء العمل أفضل من إظهاره إن لم يكن هناك مصلحة لإظهاره سواء في الصلاة، أو في الصدقة، أو غيرهما.

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

قلت: لقد كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافون من ذلك، فقد كان أحدهم إذا سار في الطريق يسير معه الواحد والاثنان والثلاثة، فإذا زادوا عن

أربعة تركهم وانصرف، فلا يحب أن يكون حوله مجموعة من الناس فينظر إليه بعين أن هذا معه مجموعة من الناس، فما كانوا يحبون إلا الاختفاء بالأعمال، والتقرب إلى الله؛ لأنهم تعلموا ذلك من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. اهـ
من "شرح رياض الصالحين - حطية" (٩٣/٩).

وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ: (اكتُم حسناتك كما تكتُم سيئاتك). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٠٠/٦).

وقال فضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (خير العمل أخفاه، أَمْنَعَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَبْعَدَهُ مِنَ الرِّيَاءِ). اهـ من "الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا" (٥٦/١).
قلت: وكما قيل إخفاء العمل نَجاة، وإخفاء العلم هَلَكَة.



الصفة الثالثة: أن يكون عاملاً بعلمه

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون عاملاً بعلمه ليكون هذا العلم حجة له لا حجة عليه فإن جمال العلم هو العمل به.

قال ابن الوردي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في ازدياد العلم إرغام العدى *** وجمال العلم إصلاح العمل^(٦)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال محمد بن الفضل الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذهاب

الاسلام على يدي أربعة أصناف من الناس:

الصنف الأول: صنف لا يعملون بما يعلمون.

الصنف الثاني: وصنف يعملون بما لا يعلمون.

الصنف الثالث: وصنف لا يتعلمون ولا يعملون.

الصنف الرابع: وصنف يمنعون الناس من التعلم.

(٦) اهـ من "اللامية" (٦).

قلت: الصنف الأول: من له علم بلا عمل؛ فهو أضر شيء على العامة، فإنه حجة لهم في كل نقيصة، ومبخسة.

والصنف الثاني: العابد الجاهل؛ فإن الناس يحسنون الظن به؛ لعبادته وصلاحه، فيقتدون به على جهله.

وهذان الصنفان هما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله: (حذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)؛ فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم، فإذا كان العلماء فجرة، والعباد جهلة عمت المصيبة بهما، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة.

والصنف الثالث: الذين لا علم لهم ولا عمل؛ وإنما هم كالأنعام السائمة. (٧)

والصنف الرابع: نواب إبليس في الأرض؛ وهم الذين يشبّطون الناس

(٧) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

عن طلب العلم والتفقه في الدين، فهؤلاء أضُر عليهم من شياطين الجن، فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه.

فهؤلاء الاربعة أصناف هم الذين ذكرهم هذا العارف رَحِمَهُ اللهُ

عليه، وهؤلاء كلهم على شفا جرف هار، وعلى سبيل هلكة، وما يلقي العالم الداعي إلى الله ورسوله ما يلقاه من الأذى والمحاربة إلا على أيديهم، والله يستعمل من يشاء في سخطه كما يستعمل من يحب في مرضاته، إنه بعباده خير بصير.

ولا ينكشف سر هذه الطوائف وطريقتهم إلا بالعلم؛ فعاد الخير بحذافيره إلى العلم وموجهه، والشر بحذافيره إلى الجهل وموجهه. اهـ من "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٤٥).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
[سورة الصف: ٢-٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي: لم تقولون الخير، وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به، ومتصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للأمر بالخير

أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه
 قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
 تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]. اهد من "تفسيره" (١/ ٨٥٨).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه:
 ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ [سورة هود: ٨٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا أَفْبَحَ التَّزْهِيدِ مِنْ وَاعِظٍ	***	يُزْهَدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا	***	أَضْحَى وَأَمْسَى يَبْئُثُهُ الْمَسْجِدُ
إِنْ رَفَضَ النَّاسُ فَمَا بَالُهُ	***	يَسْتَفْتِحُ النَّاسَ وَيَسْتَرْقُدُ
الرَّزْقُ مَقْسُومٌ عَلَى مَنْ تَرَى	***	يُسْقَى لَهُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَلَسَ أَبُو عَثْمَانَ الْحِيرِيُّ الزَّاهِدُ يَوْمًا عَلَى مَجْلِسِ التَّذْكِيرِ
 فَأَطَالَ السُّكُوتَ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَعَبْرُ تَقْيٍ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتَّقَى *** طَيْبٌ يُدَاوِي وَالطَّيِّبُ مَرِيضُ

قَالَ: فَضَحَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ، وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الشَّاعِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَصَفَتْ التَّقَى حَتَّى كَأَنَّكَ ذُو تَقَى *** وريح الخطايا من شأنك تقطع

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ *** عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
فَأَبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَها عَنْ غِيْها *** فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى *** بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدِ الْبَصْرِيِّ
الْعَابِدِ الْوَاعِظِ قَالَ: دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُرِيَنِي رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَقِيلَ لِي فِي الْمَنَامِ:
هِيَ امْرَأَةٌ فِي الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهَا: مَيْمُونَةُ السَّوْدَاءِ، فَقَصَدْتُ الْكُوفَةَ لِأَرَاهَا فَقِيلَ
لِي: هِيَ تَرَعَى غَنَمًا بِوَادٍ هُنَاكَ، فَجِئْتُ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي وَالْغَنَمُ
تَرَعَى حَوْلَهَا وَبَيْنَهُنَّ الذَّنَابُ لَا يَنْفِرْنَ مِنْهُ، وَلَا يَسْطُو الذَّنَابُ عَلَيْهِنَّ. فَلَمَّا
سَلَّمْتُ قَالَتْ: يَا ابْنَ زَيْدٍ، لَيْسَ الْمَوْعِدُ هُنَا إِنَّمَا الْمَوْعِدُ ثَمَّ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ شَأْنِ
الذَّنَابِ وَالْغَنَمِ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْلَحْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِي فَأَصْلَحَ مَا بَيْنَ
الذَّنَابِ وَالْغَنَمِ، فَقُلْتُ لَهَا: عِظِينِي. فَقَالَتْ: يَا عَجَبًا مِنْ وَاعِظٍ يُوعِظُ، ثُمَّ
قَالَتْ: يَا ابْنَ زَيْدٍ، إِنَّكَ لَوْ وَضَعْتَ مَوَازِينَ الْقِسْطِ عَلَى جَوَارِحِكَ لِحَبْرَتِكَ
بِمَكْتُومٍ مَكْنُونٍ مَا فِيهَا، يَا ابْنَ زَيْدٍ، إِنَّهُ بَلَغَنِي مَا مِنْ عَبْدٍ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا
فَابْتَغَى إِلَيْهِ تَابًا إِلَّا سَلَبَهُ اللَّهُ حُبَّ الْخُلُوةِ وَبَدَّلَهُ بَعْدَ الْقُرْبِ الْبُعْدَ وَبَعْدَ الْأَنْسِ
الْوَحْشَةَ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

يَا وَاعْظَا قَامَ لَا حِسَابَ *** يَزْجُرُ قَوْمًا عَنِ الذُّنُوبِ
 تَنَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ السَّقِيمُ حَقًّا *** هَذَا مِنَ الْمُنْكَرِ الْعَجِيبِ
 تَنَّهُ عَنِ الْغَيِّ وَالْتِمَادِي *** وَأَنْتَ فِي النَّهْيِ كَالْمُرِيبِ
 لَوْ كُنْتَ أَصْلَحْتَ قَبْلَ هَذَا *** غَيِّكَ أَوْ تُبِتَ مِنْ قَرِيبِ
 كَانَ لِمَا قُلْتَ يَا حَبِيبِي *** مَوْضِعُ صِدْقٍ مِنَ الْقُلُوبِ (٨)

وقال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عن بني إسرائيل أنهم يأمرُونَ الناسَ بِالْبِرِّ، ويفعلُونَ خلاف ذلك: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَهُوَ جَمَاعُ الْخَيْرِ أَنْ تَنْسُوا أَنْفُسَكُمْ، فَلَا تَأْتِمِرُوا بِمَا تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِهِ، وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، وَتَعْلَمُونَ مَا فِيهِ عَلَى مَنْ قَصَرَ فِي أَوْامِرِ اللهِ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ بِأَنْفُسِكُمْ؛ فَتَنْتَبِهُوا مِنْ رَقَدَتِكُمْ، وَتَتَبَصَّرُوا مِنْ عَمَائَتِكُمْ. وَهَذَا كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ

قِتَادَةٌ فِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة

البقرة: ٤٤].

قَالَ: كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِتَقْوَاهُ، وَبِالْبِرِّ، وَيُخَالِفُونَ، فَعَيَّرَهُمُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ وَكَذَلِكَ قَالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقُونَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَيَدْعُونَ الْعَمَلَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ، فَعَيَّرَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ أَمَرَ بِخَيْرٍ فَلْيَكُنْ أَشَدَّ النَّاسِ فِيهِ مُسَارَعَةً. اهـ من "تفسيره" (١/٢٤٦).

وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِيئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة: ٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا تَنْبِيْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَمَلَ الْكِتَابَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ وَيَعْلَمَ مَا فِيهِ، لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الدَّمِّ مَا لَحِقَ هَؤُلَاءِ.

وقال الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ:

زوامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عَنْدهُمْ *** وَبِجِيْدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبْعَادِ

لَعَمْرُكَ مَا يَذِرُ الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا *** بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ^(٩)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَاسَ مَنْ حَمَلَهُ سُبْحَانَهُ كِتَابَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَيَتَذَبَّرَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَدْعُوَ إِلَيْهِ ثُمَّ خَالَفَ ذَلِكَ وَلَمْ يَحْمِلْهُ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ قَلْبٍ، فَقَرَأَتْهُ بَغَيْرِ تَذَبُّرٍ وَلَا تَفَهُمٍ وَلَا اتِّبَاعٍ وَلَا تَحْكِيمٍ لَهُ وَعَمَلٍ بِمُوجِبِهِ، كَحِمَارٍ عَلَى ظَهْرِهِ زَامِلَةٌ أَصْفَارٍ لَا يَذِرِي مَا فِيهَا، وَحَظُّهُ مِنْهَا حَمْلُهَا عَلَى ظَهْرِهِ لَيْسَ إِلَّا؛ فَحَظُّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَحَظِّ هَذَا الْحِمَارِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي عَلَى ظَهْرِهِ؛ فَهَذَا الْمَثَلُ وَإِنْ كَانَ قَدْ ضُرِبَ لِلْيَهُودِ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِمَنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ فَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّهُ، وَلَمْ يَرَعَهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ). اهـ من "أعلام الموقعين" (١/ ١٢٧).

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». **متفق عليه.** (٣٢٦٧-٣٢٦٨ م ٢٩٨٩).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث فيه التحذير الشديد من الرجل الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، والعياذ بالله.

يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة». أي تأتي به الملائكة، فيلقى في النار إلقاء، لا يدخلها برفق، ولكنه يلقي فيها كما يلقي الحجر في اليم، وتندلق أقتاب بطنه، يعني أمعائه، الأقتاب: جمع: قتب، وهو المعني، ومعنى تندلق: تخرج من بطنه من شدة الإلقاء، والعياذ بالله.

«فيدور بها كما يدور الحمار في الرحي»، وهذا التشبيه للتقبيح، شبهه بالحمار الذي يدور على الرحي، وصفة ذلك: أنه في المطاحن القديمة قبل أن توجد هذه المعدات الجديدة، كان يُجعل حجران كبيران، وينقشان فيما بينهما أي ينقران، ويوضع للأعلى منها فتحة تدخل منها الحبوب، وفيها خشبة تربط بمتن الحمار، ثم يستدير على الرحي، وفي استدارته تطحنُ الرحي، فهذا الرجل الذي يلقي في النار يدور على أمعائه، والعياذ بالله كما يدور الحمار على رجاه، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون له: ما لك؟ أي شيء جاء بك إلى هنا، وأنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول مقرأً على نفسه: «كنت آمر بالمعروف ولا آتية»، يقول للناس، صلوا ولا يصلي،

ويقول لهم: زكوا أموالكم، ولا يزكي، ويقول: بروا الوالدين، ولا يبر والديه، وهكذا يأمر بالمعروف ولكنه لا يأتيه.

«وأنهى عن المنكر وآتيه». يقول للناس: لا تغتابوا الناس، لا تأكلوا الربا، لا تغشوا في البيع، لا تسيئوا العشرة، لا تسيئوا الجيرة، وما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة التي ينهى عنها، ولكنه يأتيها والعياذ بالله، يبيع بالربا، ويغش، ويسيء العشرة، ويسئ إلى الجيران وغير هذا، فهو بذلك يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر، ويأتيه نسأل الله العافية فيعذب هذا العذاب ويخزي هذا الخزي.

فالواجب على المرء أن يبدأ بنفسه، فيأمرها بالمعروف، وينهاها عن المنكر؛ لأن أعظم الناس حقاً عليك بعد رسول الله ﷺ نفسك. ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم.

ابدأ بها ثم حاول نصح إخوانك، وأمرهم بالمعروف، وانهم عن المنكر، لتكون صالحاً مصلحاً نسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصالحين المصلحين، إنه جواد كريم. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٤٦١).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليلة أسري بي رأيت قوماً تقرض ألستهم بمقارض من نار»، أو قال: «من حديد، قلت: من

هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء من أمتك». **رواه أبو يعلى** في "مسنده" (١١٨/٧)، وهو في "الصحيح المسند" للإمام **الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ** (٧٧/١).

وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالَا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى إلى أن قال: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة». **رواه البخاري** في "صحيحه" (٧٠٤٧)، وهو حديث طويل.

الشاهد من الحديث قوله: «فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة».

وقوله: «فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه». أي: لا يعلم به، فصار هذا القرآن حُجة عليه لا حُجة له كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» (١٠).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «والقرآن حجة لك أو عليك». لأن القرآن هو حبل الله المتين، وهو حجة الله على خلقه، فإما أن يكون لك، وذلك فيما إذا توصلت به إلى الله، وقمت بواجب هذا القرآن العظيم من التصديق بالأخبار، وامتنال الأوامر، واجتناب النواهي، وتعظيم هذا القرآن الكريم واحترامه، ففي هذه الحال يكون حجة لك، أما إن كان الأمر بالعكس، أهنت القرآن، وهجرته لفظاً ومعني وعملاً، ولم تقم بواجبه؛ فإنه يكون شاهداً عليك يوم القيامة.

ولم يذكر الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مرتبة هاتين المرتبتين! **يعني:** لم يذكر أن القرآن لا لك، ولا عليك؛ لأنه لا بد أن يكون إما لك، وإما عليك على كل حال، فنسأل الله أن يجعله لنا جميعاً حجة نهتدي به في الدنيا وفي الآخرة؛ إنه جواد كريم. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١/ ١٨٦).

(١٠) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن جندب بن عبد الله الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس، ويحرق نفسه». رواه الطبراني وإسناده حسن إن شاء الله وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢/ ٢٨٩).

قلت: إياك أن تدل الناس على طريق الخير ثم تفقد أنت الطريق واستعذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَائِمًا أَنْ تَكُونَ جَسْرًا يُعْبَرُ عَلَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ ثُمَّ يُرْمَى فِي النَّارِ. اهـ.

قالت أم عبد الله بنت الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ورحم الله والذي الشيخ مقبل صاحب العلم والعمل فقد كان يحث على الصدقة من الأضحية ويتصدق من أضحيته ما شاء الله وقد سمعته في خطبة عيد الأضحى يحث على ذلك ويقول: أسأل الله أن يعينني على نفسي وألا أكون مثل ذلك الرجل الذي حث الناس في الخطبة على الصدقة من الأضاحي فرجع وقد ذبح ولده الأضحية وتصدق فسأله أين اللحم؟ قال: تصدقت به لأنني سمعتم تعظ الناس به. فقال له: أنا قلت أيها الناس ولم أقل: يا أيها نحن). اهـ "أحكام الأضحية" لأم عبد الله بنت الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا نَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ - أَوْ قَالَ: جَمَعَ - فَقَالَ: «إِنِّي نَهَيْتُ عَنْ كَذَا وَكَذَا،

وَالنَّاسُ إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ إِلَى اللَّحْمِ، فَإِنْ وَقَعْتُمْ وَقَعُوا، وَإِنْ هَبْتُمْ هَابُوا، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُوتَى بِرَجُلٍ مِنْكُمْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَهَيْتُ عَنْهُ النَّاسَ، إِلَّا أَضْعَفْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ لِمَكَانِهِ مِنِّي، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَقَدَّمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَأَخَّرْ». **رواه**

معمر بن راشد في "جامعه" (٢٠٧١٣)، وسنده صحيح ورجاله ثقات.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرهم، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٥٠).

الشاهد من الحديث قوله: «يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرهم». **وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** (إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال: قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟). اهـ من «أخلاق العلماء للأجري» (٨٠).

وقال الأجري رَحِمَهُ اللَّهُ: جاء عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي لَا يَعْلَمُ مَرَّةً، وَوَيْلٌ لِلَّذِي يَعْلَمُ، وَلَا يَعْمَلُ سَبْعَ مَرَّاتٍ». **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ:** مَنْ تَدَبَّرَ هَذَا أَشْفَقَ مِنْ

عَلِمِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لَا لَهُ فَإِذَا أَشْفَقَ مَقَتَ نَفْسَهُ، وَبَانَ بِأَخْلَاقِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لَنَا وَلَكُمْ إِلَى الرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ). اهـ من "أخلاق العلماء" (٨١).

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا)، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَاقِلُ لَا يَشْتَغِلُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَقَصْدَهُ الْعَمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ سَعَى فِيهِ لَغَيْرِ مَا وَصَفْنَا ازْدَادَ فَخْرًا وَتَجَبَّرًا، وَلِلْعَمَلِ تَرْكًا، وَتَضْيِيعًا، فَيَكُونُ فَسَادُهُ فِي الْمَتَأَسِّينَ بِهِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ فَسَادِهِ فِي نَفْسِهِ، وَيَكُونُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥]. اهـ من "روضة العقلاء" (٣٥).

وَقَالَ الشَّاعِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعَالِمٌ بَعْلَمَهُ لَمْ يَعْمَلَنَّ *** مَعَذِبٌ مِنْ قَبْلِ عِبَادِ الْوُثْنِ
وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ الْأَصْلُ الْأَكْبَرُ، وَالْمَسْكِينُ كُلُّ الْمَسْكِينِ مِنْ ضَاعَ عَمْرُهُ فِي عِلْمٍ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، فَفَاتَتْهُ لَذَاتُ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتُ الْآخِرَةِ، فَقَدِمَ مَفْلِسًا، عَلَى قُوَّةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ). اهـ من "صيد الخاطر" (١٥٩).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا بدَّ من عِلْمٍ ولا بدَّ من عمل وأن يكون كلاهما موافقاً لما جاء به الرسول فيجب العلم والعمل والاعتصام بالكتاب والسنة ولهذا قال من قال من السلف الدين قولٌ وعملٌ وموافقة السنة ولفظ بعضهم لا ينفع قولٌ إلا بعمل ولا ينفع قولٌ وعملٌ إلا بمتابعة السنة وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة

فاطر: ١٠]. اهـ من "الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق" (٢٠٨/١).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرَأُونَ الْقُرْآنَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالُوا فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ. اهـ من "مجموع الفتاوى" (٣٠٨/١٣).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل).

اهـ من "إحياء علوم الدين" (٥٩/١).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هتف العلم بالعمل، فإن أجاب وإلا ارتحل). رواه الخطيب في "اقتضاء العلم العمل" (٣٥).

وقال المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال لي أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم، وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجم).^(١١) اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢١٣).

(١١) أخرج مالك في "الموطأ" (٢ / ٩٧٤) في الاستئذان: باب ما جاء في الحجامة وأجرة الحجام، والبخاري (٤ / ٢٧٢) في البيوع: باب ذكر الحجام، وباب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم، وفي الاجازة: باب ضريبة العبد، وتعاهد ضرائب الاماء، وباب من كلم موالي العبد أن يخففوا من خراجه، وفي الطب: باب الحجامة من الداء، ومسلم (١٥٧٧) في المساقاة: باب حل أجرة الحجامة، كلهم من طرق عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: حجج رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو طيبة، فأمر له بصاع من تمر، وأمر أهله أن يخففوا عنه من خراجه.

وأخرجه الدارمي ٢ / ٢٧٢، والترمذي (١٢٧٨)، وأبو داود (٣٤٢٤)، وأحمد (٣ / ١٠٠ و ١٧٤ و ١٨٢).

وفي بعض هذه الروايات.

فأمر له بصاع من طعام.

وفي بعضها: بصاع من شعير.

وفي بعضها: بصاعين من طعام.

ولم يرد فيها أنه أعطاه ديناراً.

وسياقي الحديث عند المصنف في ص: (٣٠٧).

وقال الرَّحْمَنُ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (مَا بَلَغَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، وَلَوْ مَرَّةً). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٢٤٢/٧).

وقال عمرو بن قيس الملائي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا سمعت شيئاً، من الخير فاعمل به تكن من أهله ولو مرة). اهـ من "كتاب الزهد" للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥٧٠).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ ينشد في مجالسه:

مواعظ الواعظ لن تقبلاً	***	حتى يعيها قلبه أولاً
يا قوم من أظلم من واعظ	***	قد خالف ما قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه	***	وبارز الرحمن لما خلا ^(١٢)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَجَاهِدُ النَّفْسَ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيتَ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَّةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

(١٢) اهـ من "لطائف المعارف" (١٧/١).

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلْ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ. فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عِلْمَ وَعَمَلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ). اهـ من "زاد المعاد" (٩ / ٣).

الشاهد من هذا قوله: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

وقال إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع رَحِمَهُ اللَّهُ: (كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به). اهـ من "اقتضاء العلم والعمل" (٩٠ / ١).

وقال الرِّبِّيع رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِرَارًا كَثِيرَةً يَقُولُ: «لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حُفِظَ الْعِلْمُ مَا نَفَعَ». اهـ من "الحلية" (٩ / ١٢٣).

وجاء عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم

فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه». رواه **الترمذي** في "سننه" (٢٤١٧)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٦٢٩ / ٢).

وفي رواية: «وماذا عمل فيما علم». رواه **الترمذي** في "سننه" (٢٤١٦)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٦٢٩ / ٢).

الشاهد من الحديث قوله: «وماذا عمل فيما علم».

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيجب أن نتذكر أن العلم بالنسبة للعمل هو كالوسيلة بالنسبة للغاية فمثل من يعلم، ولا يعمل كمثل من يتوضأ، ولا يصلي فوضوؤه هذا لا يفيد شيئاً، ولا يقربه إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى زُلْفَى**). اهـ من "الهدى والنور" (٨٣٥ / ١).

وقال العلامة ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد أجمع أهل العلم والعقل على ذم العمل بغير العلم، وعلى أن ثمرة العلم، وسبب شرفه، وفضله هو العمل به). اهـ من "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم" (٣٠٢ / ٢).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه

حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الراحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه، ويتعدون عما ينهون عنه.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موبخاً اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية». (١٣) هذه حال من دعا إلى الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله ففعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك، فمن أهم الأخلاق ومن أعظمها في حق

(١٣) متفق عليه. (٣٢٦٧-٣٢٨٩)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الداعية، أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهى عنه). اهـ من "مجموع فتاواه" (٣٤٦ / ١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (أسأل الله أن يعينني وإياكم على تطبيق ما علمنا؛ لأننا نعلم كثيراً ولكن لا نعمل إلا قليلاً). اهـ من "كتاب العلم" (٨٦).

قلت: العمل بالعلم المراد به فعل ما أوجب الله عز وجل، وترك ما حرم الله عز وجل مما علم من نصوص الكتاب والسنة، **قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** [سورة السجدة: ٢٤].

فجعل الهداية بالعلم، فلا هداية إلا بعلم، ولا يمكن أن يكون العلم صحيحاً إلا إذا كان معه العمل، قالوا في الحكمة: (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل). (١٤)

فأي سنة تتعلمها تحرص على تطبيقها، فإذا سمعت رحمك الله: أن الله يحب الصلاة والمصلين، فمن عملك بعلمك حينما علمت أن أفضل ما تكون الصلاة أن تبكر إليها، فتبكر أول الناس إلى المسجد، إن استطعت أن لا يؤذن للفريضة إلا وأنت في المسجد فقد عملت بما علمت، وإن استطعت

(١٤) رواه الخطيب في "اقتضاء العلم بالعمل" (٣٥). عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إذا دخلت المسجد فصليت أن لا تجلس صامتاً؛ لأنك تعلم فضل الذكر، فتجلس ما بين تلاوة القرآن وتسييح وذكر الله واستغفار وانكسار لله عز وجل حتى تصلي والملائكة تصلي عليك؛ فقد عملت بما علمت لأنك علمت فضل هذه الأمور فعملت بها.

فإذا صليت رحمك الله ووسعك أن تنتظر الصلاة بعد الصلاة، وسمعت ما ورد من السنة في فضل ذلك فجلست ورابطت واحتسبت الأجر عند الله عز وجل، خاصة إذا كنت من طلاب العلم ومن أهل القدوة فتحرص على أن تكون إماماً لغيرك؛ فإذا حرصت على ذلك فقد عملت بما علمت.

فإذا صليت وأديت الصلاة على أتم وجوها وجاءتك الفرائض ونوافلها ورواتبها حرصت على الأكمل والأسمى، فانتقلت من السنن الراتبة ومن الوتر إلى إحياء الليل وقيامه، فحرصت على قيام الليل، فلا تمر عليك ليلة إلا قمتمها ما لم تكن مسافراً أو عندك عذر، ثم إذا وفقك الله إلى قيام الليل حرصت على الإكثار من النوافل في النهار، وعلمت فضل الوضوء وفضل الصلاة بعد الوضوء، فصرت لا تحدث حتى تتوضأ، ولا تتوضأ حتى تصلي ركعتين، فبورك لك في علمك بالصلاة وفضائلها.

تنتقل بعد ذلك إلى فضائل الصدقات علمت أن الله يحب المتصدقين، وأن الصدقة صدق في الإيمان، وتصديق لما ورد من الرحمن مما يكون من فضائل الصدقة في الدين والدنيا والآخرة، والمراتب العلى في الجنان، فسخرى قلبك، وأنفقت يمينك، فأصبحت الدنيا في يدك لا في قلبك، وأصبحت لا تبالي بما تنفق، وأصبح أحب ما يكون عندك أن تلتمس مرضاة الله، فإذا علمت أن الله يحب منك الصدقة الخفية، فبعد أن كنت تتصدق أمام الناس علمت أن الأفضل أن تخفيها: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

فتنتقل إلى مرتبة الإخفاء، فكنت تتصدق بالنهار ثم صرت تتصدق بالليل، كنت تتصدق مع أناس فإذا بك تحمل الصدقة لوحده، ثم بعد الصدقات انتقلت إلى درجة الإيثار، فكنت تتصدق بالفضل، فجاءك أخوك في كربة أو دين أو نكبة وعندك مال، فعلمت أن الله يبتليك، وخرجت من المسجد ورأيت مكروباً منكوباً يقول لك: لله! وليس في جيبك إلا ريال أو ريالان أو عشرة أو عشرون، وهو أشد ما يكون حاجة لها، فعلمت معنى: (الله) أي: أعطني وثوابك على الله، فأعطيته فقد عملت بما علمت، ولذلك كان بعض

مشايخنا رَحِمَهُ اللَّهُ عليهم ينزعج إذا قيل له: في سبيل الله، ولا يمكن أبداً أن يبرح حتى يعطي، يقول: لأنه قال لي: الله وفي سبيل الله، ولا يمكن أن أبرح حتى أعطيه؛ لأنه يعلم ما معنى هذه الكلمة.

ففائدة العلم أن يعمل الإنسان بما علم، وأن يعلم كيف يعامل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم تنتقل إلى مراتب أخرى حتى يجعلك الله عز وجل من العلماء العاملين، والله يبتلي طالب العلم من أول خطوة يخطوها، من اليوم تفكر أنك لا تتعلم شيئاً إلا عملت به، ولا تسمع بسنة إلا عملت بها، قالوا: اعمل بالحديث ولو مرة تكن من أهله، حتى إن بعض أئمة الحديث كالإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره كانوا إذا قرءوا أحاديث الصدقات جمعوا ما عندهم فتصدقوا بها، لا يحبون أن يمر عليهم أمر من أوامر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ندب أو طلب أو رغبة أو رهبة أو رجاء إلا حرصوا على تطبيقه والعمل به؛ وعندها ينشرح صدره، ويثبت على الخير قدمه، ولذلك تجد بعض طلاب العلم لا يطلب العلم شهراً أو شهرين إلا وجد نفحات العلم وبركاته في صدره وقلبه وقالبه، تجد فعلاً أن العلم أثر عليه.

وتجد بعض طلاب العلم - نسأل الله السلامة والعافية - إذا دخل في طلب العلم إذا به يحفظ الصغير والكبير، وإذا به أقسى الناس قلباً، وأبعدهم

عن الله عز وجل، وتجده يمر على المواقف التي تهز عامة المسلمين ولا يحرك فيه ساكناً؛ لأنه إذا طبع على القلب أو مقت الله صاحبه فلا تسأل عن حاله، فنسأل الله بعزته وجلاله أن يعيذنا من هذا.

على كل موفق سعيد أن يحرص على أن يكون بينه وبين الله سر، وأفضل ما يكون العمل بالعلم إذا كان بينك وبين الله عز وجل، وأفضل ما يكون وأكمل ما يكون عملك بعلمك حينما يكون بينك وبين الله في أسرار خفية لا يعلمها إلا الله عز وجل.

تجلس مع الناس وتعاشر طلابك وإخوانك وأهل مسجدك كواحد منهم، تسافر معهم وتجلس معهم ولا يشعرون بقيامك في ليلك، ولا بطاعتك ولا بنفقاتك ولا بأمورك الخفية؛ لأنك تخاف الرياء على نفسك، فإذا خلوت بربك علم الله أن بينك وبينه سراً وهو الخوف الصادق والخشية الخفية، فعندها يبوئك الله ميوأ الصادقين، ويفتح عليك حتى تبلغ درجات العلماء العاملين، هذه مرتبة، ثم إذا أراد أن يتم عليك النعمة أوصلك إلى درجة لا تبالي بما أظهرت وأخفيت من عملك، فتصبح عندك السر والعلانية سواء، بحيث إنك لو أظهرت العمل لم تبال بالناس، ولو جلست في محاضرة وفي مسجد تخطب خطبة وأمامك عشرة آلاف، فكأنك جالس وحدك.

هذه كلها مراتب للمخلصين والأئمة المهتدين، ولذلك كان أئمة السلف يضربون أروع الأمثلة في المعاملة مع الله عز وجل.

نسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى ووجهه الكريم، أن يجعلنا علماء عاملين أئمة مهديين، غير ضالين ولا مضلين، إنه ولي ذلك وهو أرحم الراحمين. اهـ من "شرح زاد المستقنع" (١٧/٣٠٩).

قلت: والعمل بالعلم رفعة لصاحبه: **قال ابن الملquin رَحِمَهُ اللَّهُ:** وهو يصف عطاء بن أبي رباح **رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:** (وكان حبشيًا أسود أعور أفتس أشل أعرج لامرأة له، من أهل مكة، ثم عمي بآخره، ولكن العلم والعمل به رفعه). اهـ من "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (٣/٤٨٠).



الصفة الرابعة: أن يكون مراقباً لله تعالى في السر والعلن

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون مراقباً لله في سره وعلنه وفي خلواته وأن يكون ظاهره وباطنه سواء فإن العبد لا يعرف بمراقبته لربه إلا في خلوته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

عند سماع القرآن:

وفي مجالس الذكر:

وفي أوقات الخلوة:

فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلبٍ فإنه لا قلب لك. اهـ من "الفوائد" (١٤٨).

الموطن الأول: عند سماع القرآن.

هل تتأثر بسماع القرآن عندما تقرأ أو تسمع أم أن قلبك قد صار قاسياً وصارت الجبال أفضل منه تتأثر وتتخشع وتتصدع بسماع القرآن.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحشر: ٢١].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الحديد: ١٦].

الموطن الثاني: في مجالس الذكر:

هل تستحضر قلبك عندما تجلس في مجالس الذكر أنها مجالس الملائكة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (مجالس الذكر مجالس الملائكة). اهـ من "الوابل الصيب" (٤٣).

وهل يستحضر قلبك أيضاً أن مجالس الذكر فيها فضائل عظيمة من أعظمها أنها سبب لدخول الجنة وحصول المغفرة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَستَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَّكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ

الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمْ؟»
قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ:
«اللهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ
أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي
بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٧٠١).

الشاهد من الحديث قوله: قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا
لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا غَنِيمَةُ
مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ». **رواه أحمد** في "مسنده"
(٦٧٧٧)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** في "السلسلة الصحيحة" (١٠٠٣ / ٧).

الشاهد الحديث قوله: «مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ
بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قَالُوا: وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ». **رواه**
الترمذي في "سننه" (٣٥١٠)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** في "السلسلة الصحيحة" (١٣٠ / ٦).

الشاهد من الحديث: قَالُوا: وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَخَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جِتَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جِتِّي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جِتِّي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَبَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٨٩).

الشاهد من الحديث قوله: «فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَادْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ». متفق عليه. (خ ٦٦ - م ٢١٧٦).

الشاهد من الحديث قوله: «فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٢٤٥٣)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٥ / ٢٤٥).

الشاهد من الحديث قوله: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ».

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُنْتُ أَحْضَرُ مَجْلِسَ أَبِي حَارِثٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْغَدَاةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ دَرَسٌ، لِئَلَّا أَنْفُضَ عَادَتِي مِنَ الْحُضُورِ). اهـ من "كتاب الحث على طلب العلم" (٧٨).

الموطن الثالث: في أوقات الخلوة.

هل تستحضر أن الله يراك ويراقبك في جميع أوقاتك ومن ذلك في أوقات خلواتك: كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلَبُكَ فِي**

السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [سورة الشعراء: ٢١٨-٢٢٠].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [سورة الحديد: ٤].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾** [سورة المجادلة: ٧].

أما أنك ممن قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾** [سورة النساء: ١٠٨].

وممن قال فيهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً»، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٤٢٤٥)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٣٢ / ٢)، وهو في "الصحيح المسند" (١٥٩ / ١) **للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ**.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (خاتمة السوء تكون بسبب دسيمة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، وقال بعضهم: ذنوب الخلوات تؤدي إلى الانتكاسات، وطاعة الخلوات طريق للثبات حتى الممات بإذن الله). اهـ من "دروس تربوية من أحاديث نبوية" (١٩ / ١).

وقال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ *** وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً *** وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ ^(١٥)

(١٥) اهـ من "جامع العلوم والحكم" (٤٨٠ / ٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت فقال لها ما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوبها.

أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الأبواب فقال لها هل بقي باب لم يغلق قالت نعم الباب الذي بيننا وبين الله تعالى فلم يتعرض لها.
رأى بعض العارفين رجلاً يكلم امرأة فقال إن الله يراكما سترنا الله وإياكما). اهـ من "كلمة الإخلاص وتحقيق معناها" (٤٩).

قلت: وما أحسن ما جاء عن أبي بكر المسكي رَحِمَهُ اللَّهُ عندما راودته امرأة على أن يفعل الفاحشة بها وأخذته إلى بيتها، لكنه أبى ذلك، وراقب الله في خلوته بهذه المرأة، ورفض أن يفعل بها الفاحشة.

جاء عنه أنه حين قيل له: إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام، فما سببه؟
فقال: والله لي سنين عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليّ حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: إن لي حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة، ففعلت.

فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة، أي: (الغائط)، وألقيتها على جسمي، ثم رجعت إليها، وأنا على تلك الحالة، فلما رأني دهشت، ثم أمرت بإخراجي فمضيت واغتسلت.

فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائلاً يقول لي: (فعلت ما لم يفعله أحد غيرك، لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة) فأصبحت، والمسك يفوح مني، واستمر ذلك إلى الآن. اهـ من "موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق" (١/ ٢٨١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: دَوَامُ الْمُرَاقَبَةِ: التَّحَلِّي بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ؛ سَائِراً إِلَى رَبِّكَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَإِنَّهُمَا لِلْمُسْلِمِ كَالْجَنَاحَيْنِ لِلطَّائِرِ، فَأَقْبِلْ عَلَى اللَّهِ بِكُلِّيَّتِكَ، وَلِيَمْتَلِئْ قَلْبُكَ بِمَحَبَّتِهِ، وَلِسَانَكَ بِذِكْرِهِ، وَالْأَسْتَبْشَارِ وَالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ بِأَحْكَامِهِ وَحِكْمِهِ سُبْحَانَهُ.

هذا من المهم؛ دوام المراقبة لله، وهذا من ثمرات خشية أن الإنسان يكون مع الله دائماً يعبد الله كأنه يراه. يقوم للصلاة فيتوضأ وكأنه ينفذ قوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا

وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦].

يقوم يتوضأ وكأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، ويقول: «من توضأ نحو وضوئي هذا». كمال المراقبة.. وهذا أمر مهم..

وقوله: يكون سائراً بين الخوف والرجاء فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر، هذا أحد الأقوال في هذه المسألة، وهي: هل الأولى للإنسان أن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء؟ أو يغلب جانب الخوف؟ أو يغلب جانب الرجاء؟

الإمام أحمد رحمه الله يقول: ينبغي أن يكون خوفه ورجاه واحداً فأيهما غلب هلك صاحبه.

ومن العلماء من يفصل ويقول: إذا هممت بطاعة فغلب جانب الرجاء، فإنك إذا فعلتها قبلها الله منك ورفعك بها درجات-من أجل أن تقوى -، وإذا هممت بمعصية فغلب جانب الخوف حتى لا تقع فيها، فعلى ذلك يكون التغليب لأحدهما بحسب حال الإنسان.

ومنهم من قال: بحسب الحال، على وجه آخر، فقال: أما في المرض فيغلب جانب الرجاء، لأن النبي ﷺ قال: «لا يموتن أحدكم إلا

وهو يحسن الظن بربه». ^(١٦) ولأنه إذا غلب في حالة المرض جانب الخوف فربما يدفعه ذلك إلى القنوط من رحمة الله، في حال الصحة يغلب جانب الخوف لأن الصحة مدعاة للفساد كما قال الشاعر الحكيم:

إن الشباب والفراغ والجدة *** مفسدة للمرء أي مفسدة

والذي أرى: أن الإنسان يجب أن يعامل حاله بما تقتضيه الحال، وأن أقرب الأقوال في ذلك: أنه إذا عمل خيراً فيغلب جانب الرجاء، وإذا همّ بسيئة فليغلب جانب الخوف، هذا أحسن ما أراه في هذه المسألة الخطيرة العظيمة.

إذا قال قائل: تغليب جانب الرجاء هل يجب أن يكون مبنياً على سبب صالح للرجاء، أو يكون رجاء المفلسين؟
الإجابة: الأولى.

إنسان مثلاً يعصي الله دائماً وأبداً ويقول: رحمة الله واسعة، هذا غلط، لأن إحسان الظن بالله ورجاء الله لا بد أن يكون هناك سبباً ينبني عليه الرجاء

(١٦) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإحسان الظن، وإلا كان مجرد أمنية، والتمني كما يقول عامة أهل نجد
التمني رأس مال المغاليس - إلي ما عندهم شيء. ١٠٤هـ من "شرح حلية طالب العلم" (٢٦).



الصفة الخامسة: أن يسعى لإصلاح سريره لكي يصلح الله علانيته

على الداعية إلى الله تعالى أن يسعى بكل جد إلى إصلاح سريره فإن صلحت سريره أصلح الله علانيته فأصلاح السريرة من الأمور المهمة والداعية إلى الله أحوج الناس لذلك.

قال معقل بن عبيد الله الجزري رَحِمَهُ اللهُ: كانت العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ إذا التقوا تواصلوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض أنه: من أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه). اهـ من "الآداب الشرعية لابن مفلح" (١/١٣٦).

وقال الشاعر:

وإذا أظهرت شيئاً حسناً *** فليكن أحسن منه ما تسرّ
فمسرّ الخير موسوم به *** ومسرّ الشرّ موسوم بشرّ

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (فَإِذَا حَسُنَتْ السَّرَائِرُ أَصْلَحَ اللهُ الظَّوَاهِرَ). اهـ من "مجموع فتاواه" (٣/٢٧٧).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْمُؤْمِنُ إِذَا كَانَتْ سَرِيرَتُهُ صَحِيحَةً مَعَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ ظَاهِرُهُ لِلنَّاسِ). اهـ من "تفسيره" (٧ / ٣٦١).

وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَصْلِحُوا آخِرَتَكُمْ تَصْلَحْ لَكُمْ دُنْيَاكُمْ، وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ تَصْلَحْ لَكُمْ عَلَانِيَتَكُمْ). اهـ من "حلية الأولياء" (٦ / ٢٦٥).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: والله، لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت، ويتخشع في نفسه ولباسه، والقلوب تنبو عنه، وقدره في النفوس ليس بذاك! ورأيت من يلبس فاخر الثياب، وليس له كبير نفل، ولا تخشع، والقلوب تتهافت على محبته، فتدبرت السبب، فوجدته السريرة. كما روي عن أنس بن مالك: أنه لم يكن له كبير عمل من صلاة وصوم؛ وإنما كانت له سريرة، فمن أصلح سريرته، فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر. اهـ من "صيد الخاطر" (٢٢٠).



الصفة السادسة: أن يكون حسن القصد والنية

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون حسن القصد والنية في قوله وفعله فإن العبد إذا كان صاحب مقصد حسن ونية حسنة أُجر على ذلك وإن لم يفعل ذلك العمل فهو يُؤجر على حسن نيته ومقصده.

عن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخطئ في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء». **رواه الترمذي** في "سننه" (٥٢٣٢)، وهو حديث صحيح، وقد حسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح الترمذي" (٢٣٢٥).

الشاهد من الحديث قوله: «فهو بنيته فأجرهما سواء».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن وزر الفاعل والناوي الذي ليس مقدوره إلا بقوله دون فعله سواءً، لأنه أتى بالنية ومقدوره التام، وكذلك أجر الفاعل والناوي الذي اقترن قوله بنيته). اهـ من "طريق الهجرتين" (١/ ٣٦٠).

وقد ذكر ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: وصية الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لولده بنية الخير.

قال عبد الله بن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لأبيه يوماً أوصني يا أبت، فقال (يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير)، وهذه وصية عظيمة سهلة على المسؤول سهلة الفهم والامثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعاً سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يثاب عليها ولم أجد في الثواب عليها خلافاً قال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإيمان: ما هم به من القول الحسن والعمل الحسن، وإنما يكتب له به حسنة واحدة، وإذا صار قولاً وعملاً كتب له عشر حسنات إلى سبعمائة، وذلك للحديث المشهور في الهم. اهـ من "الآداب الشرعية" (١/ ٤٠١).



الصفة السابعة: أن يكون صادقاً في قوله وفعله

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون صادقاً في قوله وفعله فمنزلة الصدق منزلة عالية رفيعة، إذ أن الصادق يكون مع الذين ذكرهم الله في هذه الآية قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].**

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].**

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤].**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا سُئِلَ الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟). اهـ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٨٣).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». **متفق عليه**. (خ. ٦٠٩٤ - ٢٦٠٧م).

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ غَنَمِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سَبِيًّا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: قِسْمُ قَسَمِهِ لَكَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «قَسَمْتُهُ لَكَ»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ

بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ». **رواه النسائي** في "سننه" (١٩٥٣)، وهو حديث صحيح.

الشاهد من الحديث قوله: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ».



الصفة التاسعة: أن يكون صبوراً على ما يلقى من الأذى

لا مناص من ابتلاء الداعية إلى الله تعالى فإذا اعتاد الداعية الصبر هابه عدوه، ومن عزَّ عليه الصبر طمع فيه عدوه فليوطن المسلم نفسه على الصبر، وليثق بالثواب من الله، فإنه من وثق بالثواب لم يضره مس الأذى، والمؤمن همته فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، والإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حرم الله عليه أو ترك ما أوجب الله عليه، فلا بد أن يكون الداعية صبوراً على الأذى، وأن يعلم أن هذا الطريق طريق محفوف بالمكاره، وأن الأذى فيه مضمون، لكن الأذى معلمة من معالم الطريق يعرف به أنه سلك طريق الحق فإن المراتب العالية لا تنال إلا بالصبر على البلاء كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْمَنَازِلُ الْعَالِيَةُ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْبَلَاءِ). اهـ من "مجموع فتاواه" (٣٠٢/٢٥).

فإذا أراد الداعية إلى الله أن يمكن في دعوته فليصبر على الأذى لهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: سَأَلَ رَجُلٌ الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَيِّمَا أَفْضَلُ

للرجل أن يَمَكَّنَ أو يَتَّيَلَّى؟ **فَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** لَا يَمَكَّنُ حَتَّى يَتَّيَلَّى فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أَجْمَعِينَ فَلَمَّا صَبَرُوا مَكْنَهُمْ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةَ وَهَذَا أَصْلُ عَظِيمٍ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَهُ وَهَذَا يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَدْنِي بِالطَّبْعِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَعِيشَ مَعَ النَّاسِ وَالنَّاسُ لَهُمْ إِرَادَاتٌ وَتَصَوُّرَاتٌ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يُوَافِقُوهُمْ آذَوْهُ وَعَذَّبُوهُ. اهـ من "الفوائد" (٢٠٨).

ولك أن تتأمل أيها الداعية إلى الله تعالى هذه الفقرة وهي أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لم يسلم من الأذى بعض خلقه وهو ربهم وخلقهم ورازقهم ومع ذلك لم يسلم منهم فكيف بك أنت تريد أن تسلم هذا شيء محال.

عن أبي موسى الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ». **متفق عليه.** (خ ٦٠٩٩ - م ٢٨٠٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ** معناه أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والند، **قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ:** حقيقة الصبر منع النفس من الانتقال أو غيره فالصبر نتيجة الامتناع فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك، **قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ:** والصبور من أسماء الله تعالى وهو

الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام. اهد من "شرح مسلم" (١٧/١٤٦).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾** [سورة لقمان: ١٧].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾** [سورة الأنعام: ٣٤].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَتَبْلُوتَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾** [سورة آل عمران: ١٨٦].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾** [سورة إبراهيم: ١٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا خُبْرَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَاتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» قَالَ قُلْتُ: «لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا». متفق عليه. (خ ٣٤٠٥ - م ١٠٦٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعتبر بمن مضى من الرسل، ولهذا قال: «لقد أُوذِيَ موسى بأكثر من هذا فصبر»، (١٧) لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

ويقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]. فأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي بهدي الأنبياء قبله، وهكذا ينبغي لنا نحن

أن نقتدي بالأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الصبر على الأذى، وأن نحاسب الأجر على الله، وأن نعلم أن هذا زيادة في درجاتنا مع الاحتساب، وتكفير لسيئاتنا. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢٥٧/١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». رواه أحمد في "مسنده" (٢٣٠٩٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٨٨) وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٩٣٩).

وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ، فَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَلْقَاهُ فَلَقِيْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، بَلَغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ فَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ فَاسْأَلْكَ عَنْهُ، فَقَالَ: قَدْ لَقِيتَ فَاسْأَلْ. قَالَ: قُلْتُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَثَلَاثَةٌ يُغْضِبُهُمُ اللَّهُ» قَالَ: نَعَمْ، فَمَا أَخَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا يَقُولُهَا، قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ مُجَاهِدًا مُحْتَسِبًا فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ

فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [سورة الصف: ٤].

وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ، فَيَضْرِبُ عَلَى أَذَاهُ وَيَحْتَسِبُهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ، وَرَجُلٌ يَكُونُ مَعَ قَوْمٍ فَيَسِيرُونَ حَتَّى يَشُقَّ عَلَيْهِمُ الْكَرَى وَالنُّعَاسُ، فَيَنْزِلُونَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَيَقُومُ إِلَى وُضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ: «قَالَ: قُلْتُ: مَنْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: «الْفَخُورُ الْمُخْتَالُ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾» [سورة لقمان: ١٨].

وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ، وَالتَّاجِرُ أَوْ الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ». رواه أحمد في "مسنده" (٢١٥٣٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (١٦٤ / ٢).

الشاهد من الحديث قوله: «وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ، فَيَضْرِبُ عَلَى أَذَاهُ وَيَحْتَسِبُهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: **حكى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن نبي من الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن قومه ضربوه، ولم يضربوه إلا حيث كذبوه حتى أدموا وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». ^(١٨) وهذا غاية ما يكون من الصبر، لأن الإنسان وضرب على شيء من الدنيا لاستشاط غضباً، وانتقم ممن ضربه، وهذا يدعو إلى الله، ولا

(١٨) متفق عليه. (خ ٣٤٧٧-م ١٧٩٢)، من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يتخذ على دعوته أجراً، مع هذا يضربونه حتى يدموا وجهه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وهذا الذي حدثنا به رسول الله ﷺ لم يحدثنا به عبثاً أو لأجل أن يقطع الوقت علينا بالحديث، وإنما حدثنا بذلك من أجل أن نتخذ منه عبرة نسير عليها، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** [سورة يوسف: ١١١].

والعبرة من هذا أن نصبر على ما نؤذى به من قول أو فعل في سبيل الدعوة إلى الله، وأن نقول متمثلين: «هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت»، ^(١٩) وأن نصبر على ما يصيبنا مما نسمعه أو ينقل إلينا مما يقال فينا بسبب الدعوة إلى الله، وأن نرى أن هذا رفعة لدرجاتنا وتكفير لسيئاتنا، فعسي أن يكون في دعوتنا خلل من نقص في الإخلاص أو من كيفية الدعوة وطريقها، فيكون هذا الأذى الذي نسمع، يكون كفارة لما وقع منا، لأن الإنسان مهما عمل فهو ناقص لا يمكن أن يكمل عمله أبداً، إلا أن يشاء الله،

(١٩) عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَمِيتُ إِصْبَعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ

الْمَشَاهِدِ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتَ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ». متفق عليه. (خ ٢٨٠٢ - ١٧٩٦م).

فإذا أصيب وأوذى في سبيل الدعوة إلى الله فإن هذا من باب تكميل دعوته ورفعة درجته، فليصبر وليحتسب ولا ينكص على عقبيه، لا يقول لست بملزم، أنا أصابني الأذى، أنا تعبت، بل الواجب الصبر، والدنيا ليست طويلة! أيام ثم تزول، فاصبر حتى يأتي الله بأمره.

وفي قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كأني أنظر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحكي لنا» فيه دليل على أن المحدث أو المخبر يخبر بما يؤيد ضبطه للخبر والحديث، وهذا أمر شائع عند الناس، يقول: كأني أنظر إلى فلان وهو يقول لنا كذا وكذا، أي: كأني أنظر إليه الآن، وكأني أسمع كلامه الآن. فإذا استعمل الإنسان مثل هذا الأسلوب لتثبيت ما يحدث به فله في ذلك أسوة من السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والله الموفق. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٢٤١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وتأمل حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حكى عنه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسלט الدم عنه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». رواه البخاري ومسلم (٢٠) كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم

(٢٠) متفق عليه. (خ ٣٤٧٧-م ١٧٩٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العظيمة إليه **أحدها**: عفوهم عنهم، **والثاني**: استغفاره لهم، **الثالث**: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، **الرابع**: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا، ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي، واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها، وينعمها به اعلم أن لك ذنباً بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك، ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك، وإساءتك جزاء وفاقا فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى ما أساء إليه هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة كما، قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم، وهم يسيئون إليه فقال: «لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك». رواه مسلم^(٢١) هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإنه كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر الله عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكرياً، لا يعرفهم، ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعاً ولا خبراً هذا مع أنه لا بد له مع عدوه، وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه، فيستعبده، وينقاد له، ويذل له، ويبقى من أحب الناس إليه، وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا إله غيره، وهو المسئول أن يستعملنا، وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه، وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى. اهـ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٨-٢٤٥).

(٢١) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من صبر على الأذى في سبيله أن يكفر عنه سيئاته ويُدخله الجنة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِيَّ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَتَى رَجُلٌ عَبْدَ اللَّهِ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ فَلَانًا يُكْفِرُكَ! فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا». (٢٢)

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُونَ لَهُ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقَعُ فِيكَ. فَيَقُولُ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: ٧٦].

(٢٢) رواه البخاري في "صحيحه" (خ ٦١٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء بنحوه متفق عليه. (خ ٦١٠٤ - ٦٠٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيَتْلُو أَيْضًا: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [سورة فاطر: ٤٣].
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ إِبرَاهِيمَ: كَيْفَ لَا تَدْعُو اللَّهَ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 يَظْلِمُونَكَ وَيَتَنَاوَلُونَكَ وَيَبْهَتُونَكَ؟
 فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اضْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». اهـ
 من "سير أعلام النبلاء" (١٢ / ٤٦١). (٢٣)



(٢٣) متفق عليه. (خ ٣٧٩٢-م ١٨٤٥) من حديث أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصفة الثامنة: أن يكون مؤدبا في قوله وفعله

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون صاحب أدب مع سائر الناس ولا خير في داعية لا أدب عنده فالأدب يعتبر نصف العلم.

فلا بد أن نعلم أن ثمرة العلم هو الأدب والسلوك، والامتثال والانقياد، وقديماً قال السلف **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**: (إن نصف العلم الأدب) ليس العبرة بكثرة ما يحفظ الإنسان، أو يقرأ، وإنما الثمرة هو أن يحرص على أن يطبق ما علمه؛ حتى يكون لذلك أثراً عظيماً في حياة الإنسان وسلوكه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ: فَهُوَ مُعَامَلَتُهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ - بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ. فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ أَدَبٌ، وَالْمَرَاتِبُ فِيهَا أَدَبٌ خَاصٌّ.

فَمَعَ الْوَالِدَيْنِ: أَدَبٌ خَاصٌّ وَلِلْأَبِ مِنْهُمَا: أَدَبٌ هُوَ أَحْصَى بِهِ، وَمَعَ الْعَالِمِ: أَدَبٌ آخَرُ، وَمَعَ السُّلْطَانِ: أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِ، وَلَهُ مَعَ الْأَقْرَانِ أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِمْ، وَمَعَ

الْأَجَانِبِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَذَوِي أُنْسِهِ. وَمَعَ الضَّيْفِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

وَلِكُلِّ حَالٍ أَدَبٌ: فَلِلْأَكْلِ آدَابٌ. وَلِلشُّرْبِ آدَابٌ. وَلِلرُّكُوبِ وَالِدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَالسَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ وَالنَّوْمِ آدَابٌ. وَلِلْبَوْلِ آدَابٌ. وَلِلْكَلامِ آدَابٌ. وَلِلسُّكُوتِ وَالِاسْتِمَاعِ آدَابٌ.

وَأَدَبُ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ، وَقِلَّةُ أَدَبِهِ: عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ. فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ.

فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ: كَيْفَ نَجَى صَاحِبُهُ مِنْ حَبْسِ الْغَارِ حِينَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ؟ وَالْإِخْلَالُ بِهِ مَعَ الْأُمِّ - تَأْوِيلًا وَإِقْبَالًا عَلَى الصَّلَاةِ - كَيْفَ امْتَحَنَ صَاحِبُهُ بِهِدْمِ صَوْمَعَتِهِ وَضَرْبِ النَّاسِ لَهُ، وَرَمْيِهِ بِالْفَاحِشَةِ؟ وَتَأَمَّلْ أَحْوَالَ كُلِّ شَقِيٍّ وَمُغْتَرٍّ وَمُدْبِرٍ: كَيْفَ تَجِدُ قِلَّةَ الْأَدَبِ هِيَ الَّتِي سَاقَتْهُ إِلَى الْحِرْمَانِ؟

وَانْظُرْ قِلَّةَ أَدَبِ عَوْفٍ مَعَ خَالِدٍ: كَيْفَ حَرَمَهُ السَّلْبُ بَعْدَ أَنْ بَرَدَ بِيَدَيْهِ؟ وَانْظُرْ أَدَبَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ أَوْرَثَهُ مَقَامَهُ وَالْإِمَامَةَ بِالْأُمَّةِ بَعْدَهُ؟ فَكَانَ ذَلِكَ التَّأَخُّرُ إِلَى خَلْفِهِ - وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ اثْبُتْ مَكَانَكَ - جَمْرًا، وَسَعْيًا إِلَى قُدَّامٍ؟ بِكُلِّ خُطْوَةٍ إِلَى وَرَاءَ مَرَّاحِلٍ إِلَى قُدَّامٍ. تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ من "مدارج السالكين" (٢/ ٣٦٨).



الصفة التاسعة: أن يكون متأنياً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون متأنياً في سائر شأنه إلا ما كان فيه مصلحة أو مسارعة لطاعة الله عَنِ قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ». (٢٤)

قال العلامة العباد حفظه الله: يعني: التؤدة مطلوبة في كل شيء إلا في عمل الآخرة فإنه يبادر فيها، ويحرص عليها، ولا يتهاون فيها، ولا تترك الفرصة لاقتناء ما يعود على الإنسان بالخير.

قوله: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»

يعني: أن أمور الدنيا يتأنى الإنسان ويتروى فيها، وأما بالنسبة لأموال الآخرة فلا يتأنى فيها، بل يقدم ويسارع، وهذا يدلنا على أن أمور الآخرة لا بد فيها من منافسة ومسابقة، ولا بد فيها من الجهد والاجتهاد، ولا بد فيها من اغتنام

(٢٤) رواه أبو داود في "سننه" (٤٨١٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود"

(٤٨١٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفرص وعدم التساهل، بخلاف أمور الدنيا فالإنسان يتأني، وقد يكون في التأني الخير الكثير، بخلاف العجلة فإنه قد يترتب عليها شيء من الضرر، فأمر الدنيا التأني والتروي فيها لا شك أنه خير للإنسان. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (١٠ / ٥٧٤).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». **رواه أبو يعلى** في "مسنده" (٤٢٥٦)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٤ / ٤٠٤).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: استقرت القاعدة الشرعية: (أن من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه). اهـ من "تفسيره" (١٦٨).

وقال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: (التصدر قبل التأهل: احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة في العلم، والعمل، وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه). اهـ من "حلية طالب العلم" (١٩٨).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا أيضاً مما يجب الحذر منه، أن يتصدر الإنسان قبل أن يكون أهل للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأول: إعجابه بنفسه، حيث تصدر فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه، ومعرفته بالأمور، وإذا الناس رأوه متصديراً، أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الثالث: إنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم، لأن غالب من كان هذا قصده الغالب أنه لا يبالي أن يحطم العلم تحطيماً، وأن يجيب عن كل ما سئل عنه.

الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق، لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره، وإن كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بأهل في العلم. اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (١٨٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من الثبوت والوقار والحلم وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها وتجلب عليه أنواعاً من الشرور وتمنعه أنواعاً من الخير وهي قرين الندامة فقل من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة). اهـ من "كتاب الروح" (١/ ٣٥٢).

قلت: ومما يستثنى من العجلة خمسة أشياء:

قال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ: كان يُقال: العجلة من الشيطان، إلا في خمسٍ: أولاً: إطعام الطعام إذا حضر الضيف.

ثانيًا: وتجهيز الميت إذا مات.

ثالثًا: وتزويج البكر إذا أدركت.

رابعًا: وقضاء الدين إذا وجب.

خامسًا: والتوبة من الذنب إذا أذنب.

إطعام الضيف:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا

قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة هود: ٦٩].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٢٦].

وتجهيز الميت إذا مات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سَوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ». متفق عليه. (خ ١٣١٥ - م ٩٤٤).

وتزويج البكر إذا أدركت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ،

وَفَسَادٌ عَرِيضٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي "سُنَنِهِ" (١٠٨٤)، وَحَسَنَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ" (٢٠ / ٣).

وقضاء الدين إذا وجب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مَعْلُوقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى يَقْضَى عَنْهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي "سُنَنِهِ" (١٠٧٨)، وَحَسَنَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ" (١٠٧٨).

والتوبة من الذنب إذا أذنب:

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [سورة التحريم: ٨].

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٣١].



الصفة العاشرة: أن يكون رحيماً بالصغار والكبار

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون رحيماً بمن يخاطبهم من الصغار والكبار تأسيّاً بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». رواه مسلم في «صحيحه» (٢٣١٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». متفق عليه. (خ ٥٩٩٧-م ٢٣١٨).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن الأحاديث التي ذكرها المصنف حديث أبي هريرة ^(٢٥) **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَبَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَابْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ أَبِي طَالِبٍ

هو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ فجده من أمه رسول الله ﷺ، وأبوه علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يحبُّ الحسن والحسين؛ لأنهما سبطاه، يفضل الحسن علي الحسين، لأن الحسن قال فيه النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين». (٢٦) فكان الأمر كما قال النبي ﷺ لما حصلت الفتنة في زمن معاوية، وآلت الخلافة إلى الحسن بعد أبيه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تنازل عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حقناً لدماء المسلمين؛ لأنه يعلم أن في الناس أشراراً، وأنهم ربما يأتون إليه ويغرونه كما فعلوا بأخيه الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ غرّه أهل العراق وحصل ما حصل من المقتلة العظيمة في كربلاء وقتل الحسين.

أما الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فصار ذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ: «ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

(٢٦) رواه البخاري في "صحيحه" (٧١٠٩) من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان عند النبي ﷺ الأقرع بن حابس من زعماء بني تميم، والغالب أن أهل البادية وأشباههم يكون بهم جفاء، فقبل النبي ﷺ الحسن، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، أعوذ بالله من قلب قاسٍ لا يقبلهم ولو كانوا صغاراً، فنظر إليه النبي ﷺ وقال: «من لا يرحم لا يُرحم»^(٢٧) يعني أن الذي لا يرحم عباد الله لا يرحمه الله، ويُفهم من هذا أن من رحم عباد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كذلك فقد قال النبي ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن»^(٢٨).

ففي هذا دليل: على أنه ينبغي للإنسان أن يستعمل الرحمة في معاملة الصغار ونحوهم، وأنه ينبغي للإنسان أن يقبل للإنسان أن يقبل أبناءه، وأبناء بناته، وأبناء أبنائه، يقبلهم رحمة بهم، واقتداءً برسول الله ﷺ، أما ما يفعله بعض الناس من الجفاء، والغلظة بالنسبة للصبيان، فتجده لا يمكن

(٢٧) تقدم تخريجه.

(٢٨) رواه أبو داود في "سننه" (٤٩١١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (٤٩٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

صبيه من أن يحضر على مجلسه، لا أن يمكّن صبيه من أن يطلب منه شيئاً، وإذا رآها عند الرجال انتهره، فهذا خلاف السنة وخلاف الرحمة.

كان النبي ﷺ يصلي بالناس إحدى صلاتي العشي، إما العصر وإما الظهر، فجاءته بنت بنته "أمامة"، فكان النبي ﷺ يحملها وهو يصلي بالناس؛ إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، ^(٢٩) فأين هذا الخلق من أخلاقنا اليوم؟ الآن لو يجد الإنسان صبيه في المسجد أخرجه فضلاً عن كونه يحمله في الصلاة.

وكان النبي ﷺ يوماً من الأيام ساجداً، فجاءه الحسن أو الحسين فركب عليه - أي جعله راحلة له - فأطال النبي ﷺ السجود، فلما سلم قال: «إن أبنی أرتحلني، وإني كرهت أن أقوم حتى يقضي نهيمته». ^(٣٠)

(٢٩) تقدم تخريجه.

(٣٠) رواه النسائي في "سننه" (١١٤١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح النسائي"

(١١٤١) من حديث عبد الله بن شداد عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وكان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليخطب الناس يوماً على المنبر، فأقبل الحسن والحسين وعليهما ثوبان جديدان يعثران بهما، فنزل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وحملهما بين يديه وقال: صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة التغابن: ١٥].

نظرت إلى هذين الصبيين يعثران فلم أصبر يعني فما طابت نفسه حتى نزل وحملهما. (٣١)

ففي هذا كله وأمثاله دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يرحم الصغار، ويلطف بهم، وأن ذلك سبب لرحمة الله عز وجل، نسأل الله أن يعمنا وإياكم برحمته ولطفه وإحسانه. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٥٣).

وعن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا نُقْبَلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ». متفق عليه. (خ ٥٩٩٨ - م ٢٣١٧).

(٣١) رواه أبو داود في "سننه" (١١٠٩) وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح أبي داود"

(١١٠٩) من حديث بريدة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فيما نقله عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جاء قوم من الأعراب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألوا: هل تقبلون صبيانكم؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نعم". الأعراب كما نعلم جميعاً جفاة، وعندهم غلظة وشدة ولا سيما رعاة الإبل منهم، فإن عندهم من الغلظة والشدة ما يجعل قلوبهم كالحجارة، نسأل الله العافية، قالوا: إنا لسنا نقبل صبياننا، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة»؟^(٣٢) يعني لا أملك لكم شيئاً إذا نزع الله الرحمة من قلوبكم.

وفي هذا دليل: على تقييل الصبيان شفقة عليهم ورقة لهم ورحمة بهم.

وفيه دليل: على أن الله تعالى قد أنزل في قلب الإنسان الرحمة، وإذا أنزل الله في قلب الإنسان الرحمة، فإنه يرحم غيره، وإذا رحم غيره رحمه الله عز وجل، كم في الحديث^(٣٣) الثاني حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من لا يرحم لا يرحمه الله» نسأل الله العافية.

(٣٢) تقدم تخريجه.

(٣٣) تقدم تخريجه.

الذي لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزّ وجلّ، والمراد بالناس: الناس الذين هم أهل للرحمة كالمؤمنين وأهل الذمة ومن شباههم، وأما الكفار الحربيون فإنهم لا يُرحمون، بل يقتلون؛ لأن الله تعالى قال في وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وقال تعالى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٣].

ذكر الله تعالى هذه الآية في سورتين من القرآن الكريم بهذا اللفظ نفسه:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التحريم: ٩].

ذكرها الله في سورة التوبة، وفي سورة التحريم، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَطُوتَنَّ

مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوا مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠].

وكذلك أيضاً: رحمة الدواب والبهائم؛ فإنها من علامات رحمة الله عزّ

وجلّ للإنسان؛ لأنه إذا رق قلب المرء رحم كل شيء ذي روح، وإذا رحم

كل شيء ذي روح رحمه الله. قيل: يا رسول الله؛ ألنا في البهائم أجر؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد رطبة أجراً»^(٣٤) اهـ من «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٥٣).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ تَذِيهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلَصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا». متفق عليه. (خ ٥٩٩٩-م ٢٧٥٤).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ، لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». متفق عليه. (خ ٧٣٧٦-م ٢٣١٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ». رواه أبو داود في «سننه» (٤٩٤١) وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٩٤).

(٣٤) متفق عليه. (خ ٢٣٦٣-م ٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة العباد حفظه الله: وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم يَرَحْمُونَ يُرَحْمُونَ، فحينما حصلت منهم رحمة للخلق الذين يستحقون الرحمة فجزاؤهم أن يرحمهم الله تعالى. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٥٦٢ / ٣).

الصفة الحادية عشر: أن لا يشق على الناس في جانب الخطبة والإمامة

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن لا يشق على الناس في خطبته فيطيل حتى يمل الناس فإن الأصل في الخطبة أن تكون قصيرة نافعة فإنها كلما كانت قصيرة كانت أنفع للناس فتجد من الناس من يقول يا ليتته زاد في خطبته **قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ**: (من الحكمة أخرج الناس من الموعظة وهم يقولون ليتته زاد في خطبته). اهـ من "كتاب أكثر من ألف فائدة علمية" (١٣٨).
وتقصير الخطبة من السنة وقد حثنا النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على تقصير الخطبة بقوله وفعله.

أما من جانب قوله:

فَعَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبَنَا عَمَّارٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنْفَسْتَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ،**

وَقَصَرَ خُطْبَتَهُ، مَتْنَةً مِنْ فِقْهِهِ، فَأُطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنْ مِنْ
الْبَيَانِ سِحْرًا». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٨٦٩).

وأما من جانب فعله:

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ
مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمُسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ». **رواه النسائي** في "سننه" (١٤١٤)،
وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح النسائي" (١٤١٤).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٨٦٦).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ السَّوَائِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتُ يَسِيرَاتٍ». **رواه أبو داود** في
"سننه" (١١٠٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١١٠٧).

وعن الْحَكَمُ بْنُ حَزْنٍ الْكَلْفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَفَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ - أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ - فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
زُرْنَاكَ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَأَمَرَ بِنَا، أَوْ أَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ، وَالشَّأْنُ إِذْ ذَاكَ
دُونُ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ

مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا، أَوْ قَوْسٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا - أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا - كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا، وَأَبْشُرُوا». **رواه أبو داود** في "سننه" (١٠٩٦)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح أبي داود" (١٠٩٦).

التخفيف في جانب الإمامة:

فعلى الداعية إلى الله أن لا يشق على الناس عندما يصلي بهم إماماً بل يراعي أحوالهم وينظر المصلحة في ذلك ومن المصلحة عدم التطويل الذي يسبب النفرة عن صلاة الجماعة في المسجد.

عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس إنا منكم منفرين فأیکم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وإذا الحاجة». **متفق عليه**. (خ ٧١٥٩-٤٦٦م).

قلت: ويستفاد من هذا أن الإنسان لا يطيل على الناس بحيث تحصل لهم المشقة والتعب، وقد تكون إطالة الصلاة سبب لتنفير الناس عن صلاة الجماعة والواجب على الإمام مراعاة الناس، وينظر المصلحة في ذلك،

والأفضل في زماننا أن لا يقرأ بما يؤدي إلى تنفير القوم عن الجماعة، لأن تكثير الجماعة أفضل من تطويل القراءة.

والرسول ﷺ كان يأمر الصحابة بالتخفيف وعدم الإطالة على الناس قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصفات» رواه النسائي في «سننه» (٨٢٦)، وهو في «الصحيح في المسند» للإمام الوادعي (١/ ٥٨٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أم أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض». وفي رواية: «وذا الحاجة فإذا صلى وحده فليصل كيف يشاء».

وفي رواية: «وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء». متفق عليه. (خ ٧٠٣-٤٦٧). وعن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ: «إذا أُممت قوماً فأخف بهم الصلاة». رواه مسلم في «صحيحه» (٤٦٨). وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: «كان من أخف الناس صلاة في تمام».

وفي رواية: «ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من رسول الله ﷺ» متفق عليه. (خ ٧٠٨-٤٧٠).

والأدلة كثيرة في هذا باب في مراعاة الناس في جانب الصلاة ويكون التخفيف عند الحاجة أشد من غيره.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال؛ قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي، فأخفف من شدة وجد أمه به». **متفق عليه**. (خ ٧٠٨-٧٠٩ م ٤٧٠).

كما في رواية: **عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: فيقرأ بالسورة الخفيفة أو السورة القصيرة.

وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال؛ قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي كراهيته أن أشق على أمه». **رواه البخاري** في «صحيحه» (٧٠٧).

فتأمل كيف كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يعامل الناس بمجرد ما يسمع بكاء الصبي يخفف الصلاة خشية ألا تحصل المشقة على أمه وهذا يدل على رحمة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالناس وفي هذا نصيحة لجميع الدعاة إلى الله أن يتأسوا بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويراعوا أحوال الناس، وقد صح عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه صلى بالزلزلة في ركعتي الفجر.

وعن رجل من جهينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الصبح: «إذا زلزلت الأرض» في الركعتين كليهما فلا أدري أنسي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم قرأ ذلك عمداً. رواه أبو داود في "سننه" (٨١٦) في "الصحيح المسند" (٤٤٥ / ١) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال بعض أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ويحمل هذا الحديث على أمرين:

الأمر الأول: إما أنه كان في سفر فخفف صلاة الفجر.

الأمر الثاني: وإما أنه كان مريضاً فخفف من أجل المرض.

وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن صلى بالمعوذتين:

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أقود برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقته في سفر فقال لي: «يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتاً؟»، فعلمني قل: «هو أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس» قال: فلم يرنى سررت بهما جداً فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة التفت إلى فقال: «يا عقبة، كيف رأيت؟»! رواه أبو داود

في "سننه" (١٤٦٢)، وهو في "الصحيح المسند" (٣١ / ٢) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: فتأمل كيف صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الفجر بقصار السور

مع أن المعلوم أن في صلاة الفجر السنة فيها تطويل القراءة لكنه
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفف لمصلحة عامة.

تنبيه: ولا يعني هذا أن الإمام يخل بشيء من الصلاة من أجل التخفيف
 ليس هذا هو المقصود إنما المقصود هو مراعاة الناس في جانب القراءة
 المستحبة بعد قراءة الفاتحة، ولا يكون هذا على إطلاقه فإذا وجد من الناس
 محبة الإطالة في القراءة أطال القراءة، وإن وجد عدم الرغبة لا يطيل القراءة
 بعد الفاتحة مع المحافظة على أركان الصلاة وواجباتها وما يتعلق بها اهـ.



الصفة الثانية عشر: أن يكون صاحب خلق حسن

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون صاحب خُلُقٍ حسن مع الناس فإن خير ما أعطيه الإنسان الخلق الحسن والداعية هو أحوج الناس إلى الخلق الحسن فالحق ثقيل على الناس لا يقبله أن من وفقه الله وأراد به خيرا فلا تثقله بسوء أخلاقك ومعاملاتك **قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ:** (الحق ثقيل فلا تثقلوه أكثر بسوء أخلاقكم كنت أعتقد أن المشكلة في الأمة مشكلة عقيدة وتبين لي أنه عقيدة وأخلاق). اهـ من "الهدى والنور" (٩٠٠).

فقد جاء عن في حديث أسامة ابن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالُوا: مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ». **رواه أحمد في "مسنده" (١٨٤٥٤)، وإسناده صحيح.**

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ»،

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا مَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟
 قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ». **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٠١٨)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ**
 في "صحيح الترمذي" (٢٠١٨).

فحسن الخلق شأنه عظيم، إذ أنه سبب عظيم للقرب من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
 في الجنة، وهكذا أيضاً سبب عظيم لدخول الجنة، جاء **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**
 قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ:
 «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسِئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفُحْمُ
 وَالْفَرْجُ». **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٠٠٤)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في
 "السلسلة الصحيحة" (٦٦٩/٢).

وهكذا أخبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعثه ليُتمم مكارم الأخلاق،
 وصالح الأخلاق مما يدل على فضل حسن الخلق.

جاء **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ
 صَالِحَ الْأَخْلَاقِ». **رواه أحمد** في "مسنده" (٨٩٥٢)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ**
 في "السلسلة الصحيحة" (١١٢/١)، وهو في "الصحيح المسند" (٣٧٤/٢) **للإمام**
الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.



الصفة الثالثة عشر: أن يكون صاحب معاملة حسنة مع الناس

على الداعية إلى الله تعالى أن يعامل الناس معاملة حسنة فطبيعة الناس أنهم يتأثرون بالأفعال أكثر من الأقوال وهذا شيء مجرب وملموس.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وكثير من الناس يتأسون بالعالم، بأخلاقه وأعماله أكثر مما يتأسون بأقواله. اهـ من "كتاب العلم" (١٦٦).

وأقل درجات المعاملة أن يعامل الناس بمثل ما يجب أن يعامله الناس به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (مُلا طِفَّةُ الْخَلْقِ وَهِيَ مُعَامَلَتُهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ مِنَ اللَّطْفِ، وَلَا يُعَامِلُهُمْ بِالْعُنْفِ وَالشَّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُنْفَرُهُمْ عَنْهُ، وَيُغْرِيبُهُمْ بِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَحَالَهُ مَعَ اللَّهِ وَوَقْتَهُ، فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ، فَإِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بِذَلِكَ: إِمَّا أَجْنَبِيٌّ، فَتَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَإِمَّا صَاحِبٌ وَحِيبٌ فَتَسْتَدِيمُ صُحْبَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ. وَإِمَّا عَدُوٌّ وَمُبْغِضٌ، فَتُطْفِئُ بِلُطْفِكَ جَمْرَتَهُ، وَتَسْتَكْفِي شَرَّهُ، وَيَكُونُ احْتِمَالُكَ لِمَضَضِ لُطْفِكَ بِهِ دُونَ احْتِمَالِكَ لِضَرَرِ مَا يَنَالُكَ مِنَ الْغِلْظَةِ عَلَيْهِ وَالْعُنْفِ بِهِ). اهـ من "مدارج السالكين" (٤٧٨/٢).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما

يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره). اهـ من "تفسيره" (٨٦٨).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به،

مثلاً: إذا أردت أن تعامل شخصاً معاملة، فاعرضها أولاً على نفسك: هل إذا

عاملك إنسان بها، هل ترضى أم لا؟ إن كنت ترضى، فعامله، وإلا، فلا

تدافعه). اهـ من "شرح العقيدة الواسطية" (٢٢٦).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (هذا هو الإحسان إلى الناس، أن تعامل

الناس بما تحب أن يعاملوك به، من حسن الخلق، وطلاقة الوجه، وكف

الأذى، وبذل الندي إلى غير ذلك مما هو معروف، فهؤلاء محسنون في عبادة

الله، ومحسنون إلى عباد الله). اهـ من "تفسيره" (١٢٥ / ١).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: (حسن الخلق حسن المعاملة الطيبة أبلغ

وأبلغ من ألف موعظة). اهـ



الصفة الرابعة عشر: أن يكون رفيقا

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون رفيقاً في دعوته للناس فيرفق بهم ويتعد عما يسبب نفرتهم على الحق ومحبة الدعوة فبعض الدعاة إلى الله هدامهم الله عنده غلظة وشدة وسوء خُلُق جعلت الناس ينفرون منه ومن دعوته فالله الله في الرفق فإن بركة الدعوة وحصول الخير يكون بالرفق ومن حُرِم الرفق فقد حُرِم الخير كله.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرِ أَوْ مَنْ يُحَرِّمُ الرَّفْقَ، يُحَرِّمُ الْخَيْرَ». رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٩٢).

وفي رواية أبي داود في «سننه» (٤٨٠٩) بإسناد صحيح قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ يُحَرِّمُ الرَّفْقَ يُحَرِّمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ».

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (يعني أن الإنسان إذا حرم الرفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنه يحرم الخير كله أي فيما تصرف فيه، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير فيما فعل، وهذا شيء مجرب ومشاهد أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف

والشدة؛ فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل على خيرٍ كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رفيقاً حتى ينال الخير). اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥٩٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا العصر، عصر الرفق والصبر والحكمة، وليس عصر الشدة، والناس أكثرهم في جهل، في غفلة وإيثار للدنيا، فلا بد من الصبر، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة، وحتى يبلغ الناس وحتى يعلموا). اهـ من "مجموع فتاواه" (١٠/ ٩١).

ونسأل الله للجميع الهداية.

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أنصحك أن تدعو إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** برفق ولين، فالرفق واللين هو الذي ينفع الله به، وأما الشدة نحن ليس بأيدينا سلطة حتى نقتل من أبى أن يدخل من أبى أن يدخل في دين الإسلام، وليس بأيدينا

أيضا سلطة حتى نسجن من استحق السجن فما بقي إلا دعوة برفق ولين. اهـ
من "غارة الأشرطة" (٣٢١ - ٣٢٢).



الصفة الخامسة عشر: أن يكون متبسماً بشوشاً طليق الوجه

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون متبسماً بشوشاً في وجوه من يلقاهم
ويخاطبهم فهله أسوة حسنة بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان يتبسم في وجوه
من يلقاهم ويخاطبهم.

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا
رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَتُبُّ عَلَى الْخَيْلِ،
فَضْرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا». **متفق عليه**. (خ ٣٠٣٥ - م ٢٤٧٥).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تَبَسُّمُكَ فِي
وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ،
وإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ
الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَةَ وَالْعِظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ،

وَأَفْرَاغَكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ». **رواه الترمذي** في "سننه" (١٩٥٦).

وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (١١٦/٢).

وَعَنْ أَبِي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٠٨٤)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٣١١٠٩ / ٣).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وطلاقة الوجه: هو إشراقه حين مقابلة الخلق، وضد ذلك عبوس الوجه، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سُئِلَ عن البر فقال: وجه طلق ولسان لين. وقد نظمه بعض الشعراء فقال:

بني إن البر شيء هين *** وجه طليق ولسان لين
فطلاقة الوجه وتدخل السرور على الناس، وتجذب المودة، والمحبة،
وتوجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك.

لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، وربما تصاب بعقدٍ نفسيه، وربما تصاب

بالمرض الخطير وهو ما يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أنجع العقاقير المانعة من هذا الداء ولهذا ينصح الأطباء من ابتلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يثيره ويغضبه، لأن ذلك يزيد في مرضه، فانشراح الصدر، وطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض، ويكون بذلك الإنسان محبوباً إلى الخلق كريماً عليهم.

هذه هي الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسنُ الخلق في معاملة الخلق. اهد من "مكارم الأخلاق" (٢٩).



الصفة السادسة عشر: أن لا يكون عبوساً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون عبوساً بل يكون منبسطاً في قوله وفعله لكي لا ينفر الناس عنه وعن حديثه.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، وربما تصاب بعُقدٍ نفسيه، وربما تصاب بالمرض الخطير وهو ما يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أنجع العقاقير المانعة من هذا الداء ولهذا ينصح الأطباء من ابتلي بهذا الداء بأن يتعد عما يثيره ويغضبه، لأن ذلك يزيد في مرضه، فانشراح الصدر، وطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض، ويكون بذلك الإنسان محبوباً إلى الخلق كريماً عليهم، هذه هي الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسنُ الخلق في معاملة الخلق. اهـ من "مكارم الأخلاق" (٢٩).



الصفة السابعة عشر: أن يكون متواضعاً

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون متواضعاً لا متكبراً فإن الداعية المتواضع محبوب عند الناس فتجد الناس يحبونه ويقبلون كلامه هذا مجرب، فعليك أيها الداعية بالتواضع فإنه من أفضل العبادات.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُّعَ». اهـ

من "التواضع والخمول لابن أبي الدنيا" (٨٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو، إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٨٨).

وعن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨٦٥).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحجر: ٨٨].

قال السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: أي: (أَلنْ لَهُم جَانِبَكَ، وَحَسَنَ لَهُم خَلْقَكَ، مُحِبَّةً وَإِكْرَامًا وَتَوَدُّدًا). اهـ من "تفسيره" (٤٣٤).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٥].

قال السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: بليّن جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ذلك كما قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

فهذه أخلاقه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتراء به، أن يكون كلا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول فظيعه؟.

إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات

الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق، والمداهنة، وقد كمل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان، وخدعه له. اهـ من "تفسيره" (٥٩٨).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ: (وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن آتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولا ضربت الجدار بكل ما خالفها). اهـ من "رسائل شخصية" (٢٥٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَّاضُعِ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ). اهـ من "مدارج السالكين" (٣٢١ / ٢).

وقال ابن الحاج رَحِمَهُ اللهُ: (فمن أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها، فكأن سائلاً سأل ما صعد بك هاهنا أعني في رأس الشجرة، وأنت قد نزلت تحت أصلها، فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه الله). اهـ من "المدخل" (١٢٠ / ٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فعلى المسلم أن يتبع هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبول الحق ممن جاء به من ولي وعدو، وحبيب، وبغض، وبر، وفاجر، ويرد الباطل على من قاله كائنا من كان). اهـ من "إعلام الموقعين" (١٠٤ / ١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدي لما اختلف فيه من الحق). اهـ من "الصواعق المرسلّة" (١٨/١).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن هنا قال بعض السلف: التَّوَّاضُّعُ أَنْ تَقْبَلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا، فَمِنْ قَبْلِ الْحَقِّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ، سَوَاءَ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، وَسَوَاءَ كَانَ يُحِبُّهُ أَوْ لَا يُحِبُّهُ، فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ، وَمَنْ أَبَى قَبُولَ الْحَقِّ تَعَاضُطًا عَلَيْهِ، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ). اهـ من "جامع العلوم والحكم" (١/٣٣٢).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّوَّاضُّعُ مِنْ أَخْلَاقِ الْكَرَامِ وَالتَّكَبُّرِ مِنْ شِيَمِ اللَّثَامِ التَّوَّاضُّعُ يُورِثُ الْمَحَبَّةَ، وَالْقَنَاعَةُ تُورِثُ الرَّاحَةَ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/٢٨٠).

ثالثًا: البدء بالسلام كل من لقيت من أهل الإسلام.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنْ مِنْ التَّوَّاضُّعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ كُلَّ مَنْ لَقَيْتَ). اهـ من "بهجة المجالس وأنس المجالس" (١/١٦٠).

رابعًا: أَنْ يَتَوَاضَّعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ بِالْعِلْمِ.

قال ابن جريج رَحِمَهُ اللهُ: عن عطاء رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: (إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمع، وقد سمعته قبل أن يولد). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨٦/٥).

خامساً: أن تخضع للحق، وتقبله ففي ذلك رفعة لك.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: (التواضع أن تخضع للحق، وتنقاد له ولو سمعته من أجهل الناس قبلته). اهـ من "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (١٠٥٤).

وقال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللهُ: (والتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل). اهـ من "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (١٢٤/١).

وقال الخطيب رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلِبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخَلْقِ تَوَاضَعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقْلَهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرَعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآدَابِهِ وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَدْوَنِهَا). اهـ من "الجامع لأخلاق الراوي" (٧٨/١).

الصفة الثامنة عشر: أن لا يكون متكبرا

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتعد عن الكبر في قوله وفعله فالكبر خصلة ذميمة من اتصف بها عرض نفسه للمقت والكره والبغض فلا تكاد تجد متكبرا يُحِبُّهُ الناس، فعلى الداعية أن يتعد عن الكبر ويتبرأ منه وذلك لقبحه ومذمته في عند الناس لأنه قد يتلى بالكبر بعض من ينتسب للعلم وأهله، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: كثير من المنتسبين إلى العلم يُبتلى بالكِبَر كما يُبتلى كثير من أهل العبادة بالشرك ولهذا فإن آفة العلم الكِبَر وآفة العبادة الرياء وهؤلاء يُحَرِّمون حقيقة العلم كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَاءَ صَرَفُ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ يَكْذِبُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].

من "الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق" (٢٠٨/١).

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبَرِ، وَالْغُلُولِ، وَالْدَّيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه الترمذي في "سننه" (١٥٧٢)، وهو في "الصحيح المسند" (١٦٠/١) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا أبو حيان، عن أبيه، قال: **التقى عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** ثم أقبل عبد الله بن عمر وهو يبكي، فقال له القوم: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: الذي حدثني هذا، قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «لا يدخل الجنة إنسان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». **رواه أحمد** في «مسنده» (٦٥٢٦)، وإسناده حسن.

وجاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس». **رواه مسلم** في «صحيحه» (٩١).

وجاء عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة، أمثال الذر، في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم، يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال، عصارة أهل النار». **رواه أحمد** في «مسنده» (٦٦٧٧)، وإسناده حسن.

وَجَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجْزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعَذُّ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُم مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ فَهَذَا لَكَ تَمْتَلِي وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

رواه مسلم في "صحيحه" (٢٨٤٦).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِيَحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ (أَنَا)، (وَلِي)، (وَعِنْدِي)، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَفَاطَ الثَّلَاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ، وَقَارُونُ: ﴿قَالَ

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [سورة الأعراف: ١٢]. لِإِبْلِيسَ، وَ: ﴿لِي مُلْكٌ مِصْرَ﴾ [سورة

الزخرف: ٥١]. لِفِرْعَوْنَ، وَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [سورة القصص: ٧٨].

لقارون. اهـ من "زاد المعاد" (٢ / ٤٣٤).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (العاصي الخائف خير من العابد المتكبر). اهـ

من "أنيس المحبين" (١٠٦).

الصفة التاسعة عشر: أن يكون صاحب سكينه ووقار

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون صاحب سكينه ووقار فإن السكينه والوقار زينة الداعية إلى الله تعالى .

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبَعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ). اهـ من "الجامع لأخلاق الراوي" (١٥٦/١).

وقال المروزي رَحِمَهُ اللهُ عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (لَمْ أَرِ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ، كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمْ، مُقْصِرًا عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُّعِ، تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَإِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا، لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ، لَمْ يَتَصَدَّرْ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٢١١٨/١١).

وقال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: التحلي برونق العلم: التحلي بـ (رونق العلم) حسن السمات، والهدي الصالح، من دوام السكينه، والوقار،

والخشوع، والتواضع، ولزوم المحجة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلي عن نواقضها.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: إن حسن السمات، والهدي الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، قد سبق الإشارة إليها وأنه ينبغي لطالب العلم أن يكون أسوة صالحة في هذه الأمور. اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (٢٦).



الصفة العشرون: أن يكون قنعا بما آتاه الله وبمنهج أهل السنة والجماعة

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون قنعاً بهذا المنهج القويم الذي منشئه من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة فلا يبقى يتخبط يمناً ويسرة بل يجب عليه أن يثبت على هذا المنهج القويم فما أكثر الذين يتخبطون لعدم وجود القناعة عندهم.

قال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي

الْمُتَوَفَّى في السابع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٩٣ هـ رحمه الله تعالى متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله لقد جئت من البلاد شنقيط ومعني كنز قل أن يوجد عند أحد، وهو (القناعة) ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أوتر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية فرحمه الله تعالى رحمه واسعة آمين.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الكلام من الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ وأشباهه من أهل العلم لا يريدون بذلك تزكية النفس إنما يريدون بذلك نفع الخلق وأن يقتدي الناس بهم وأن يكونوا على هذا الطريق لأننا نعلم هذا من أحوالهم يعني أحوال العلماء أنهم لا يريدون تزكية النفس وهم أبعد الناس عن ذلك وهو رَحِمَهُ اللَّهُ كما ذكره الشيخ بكر من الزهاد إذا رأيت لا تقول إلا أنه رجل من أهل البادية حتى العبادة تجد أن عليه عبادة عادية وكذلك الثياب ولا تجده يهتم بهندمة نفسه وثيابه. اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (٤٣).

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالدعوة عندنا، أعز من أنفسنا، ومن أهلينا، وأموالنا، ومستعدون أن نأكل ولو التراب، ولا نخون ديننا، وبلدنا، ولا نتلون، التلون ليس من شيمة أهل السنة). اهـ من "الباعث على شرح الحوادث" (٥٧).

وعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا كذا وشبك بين أصابعه؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «اعمل بما تعرف، ودع ما تنكر، وإياك والتلون في دين الله، وعليك بخاصة نفسك، ودع عوامهم». رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٥٩٨٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤١٦/١).

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال له أبو مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أوصني، قال: (إن الضلالة حقّ الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين، فإن دين الله واحد). اهـ من "الإبانة الكبرى لابن بطة" (١/ ١٨٩).

وقال مغيرة، عن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (كانوا يكرهون التلون في الدين). اهـ من "حلية الأولياء" (٤/ ٢٣٣).

فعليك بالقناعة بهذا المنهج، وإن قل أهله، وأتباعه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه». رواه مسلم في "صحيحه" (١٠٥٤).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين). اهـ من "تفسير ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ" (١/ ٢٥).

وقال العلامة أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاحرص يا عبد الله على إتباع الحق، وسلوك الطريق المستقيم، والاقتداء بالسلف الأول أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تستوحش من قلة السالكين وكثرة المخالفين، فقد كان إبراهيم عليه السلام أمة وحده، وبالله التوفيق). اهـ من "إرشاد الساري في شرح السنة للبرهاري" (ص ٥٤).

وقال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله: نحن أعزة بطلب العلم، ولولا القناعة بهذا الخير لصرنا مدراء، وقواد، وقد جاءوا لي وقالوا: نريدك تكون قائد الجبهات في اليمن، ووعدوا بشيك مفتوح فقلت لهم: لا أستطيع نحن طلاب علم، وانظروا من هو أعرف مني بها. اهـ كُتِبَ أَبُو الْيَمَانِ ٢ ذُو الْقَعْدَةِ / ١٤٤١ هـ.

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطَّيِّبِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْحِيرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ زَكَرِيَّا بْنَ دَلْوَيْهِ الْوَاعِظَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ الْقَطَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَا خُرَّاسَانِي، مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ دِيَارِكَ؟) قُلْتُ: حُبُّ الشَّرَفِ، فَقَالَ لِي: (صَدَقْتَ، الزَّمِ الْقَنَاعَةَ تَشْرُفْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ الشَّرَفُ فِي الْإِكْثَارِ). اهـ من "الزهد للبيهقي" (١ / ٨٣)



الصفة الحادية والعشرون: أن لا يكون كثير المزاح عند العوام

ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون كثير المزاح مع الناس وخصوصاً العوام فكم تجد من بعض الدعاة إلى الله هذا دأبه وحاله في جانب المزاح مع كثير من الناس وعوامهم فإن كثرة المزاح تقلل من هبة ومكانة الداعية عند الناس وقد يجترئون عليه بالكلام وغير ذلك من الأمور التي لا تحمل عقباها.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: (واحذر مجالسة العوام، فإن فعلت فعليك بالتغافل عما يجرى من سوء أخلاقهم وترك الخوض في حديثهم، واحذر كثرة المزاح فإن اللبيب يحقد عليك في المزح، والسفيه يجترئ عليك). اهـ من "مختصر منهاج القاصدين" (١/ ١٠٥).



الصفة الثانية والعشرون: أن لا يكون كثير الضحك

على الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون كثير الضحك فإن كثرة تقلل من هيئته عند الناس.

ولو تأملنا إلى حال النبي ﷺ في أكثر من حديث أنه كان يضحك أحياناً حتى تظهر نواجذه ولا يسعني المقام لذكرها.

ولو تأملنا في جانب آخر لوجدنا أنه كان أكثر ضحكه التبسم؛ **قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ** قَالَتُ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ». **متفق عليه**. (خ ٤٨٢٨ - م ٨٩٩).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني ليس يضحك ضحكاً فاحشاً بقهقهة يفتح فمه حتى تبدو لهاته ولكنه ﷺ كان يتبسم أو يضحك حتى تبدو نواجذه أو تبدو أنيابه وهذا من وقار النبي ﷺ ولهذا تجد الرجل كثير الكركرة الذي إذا ضحك قهقهه وفتح فاه يكون هيناً عند الناس

وضيعاً عندهم ليس له وقار وأما الذي يكثر التبسم في محله فإنه محبوباً

تشرح برؤيته الصدور وتطمئن به القلوب). اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٩٢/٤).

وهكذا لا ينبغي للداعية أن يكون كثير الضحك فقد بين النبي ﷺ

فإن كثرة الضحك تميت.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «كن ورعاً تكن

أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك

تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن

كثرة الضحك تميت القلب». رواه ابن ماجه في "سننه" (٤٢١٧)، وحسنه الإمام

الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٦٠١/٢).

فعلى الداعية إلى الله أن يتوسط في الضحك فلا يكثر منه ولا يتركه بالكلية

حتى لا يصاب الكبر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَتَرَكُ الضَّحِكِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْكِبَرِ وَالتَّجَبُّرِ وَسُوءِ

الْخُلُقِ، وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْخِفَّةِ وَالطَّيْشِ، وَالْإِعْتِدَالُ بَيْنَ ذَلِكَ غَيْرُ مُنْكَرٍ). اهـ من

"هداية الحيارى" (٣٦٣).



الصفة الثالثة والعشرون: أن لا يكون كثير الكلام والقليل والقال إلا ما فيه مصلحة

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون كثير القيل والقال والكلام الذي لا فائدة منه فلا ينبغي للداعية أن يكون هذا حاله مع القيل والقال بل يشغل نفسه بما هو أنفع له في دينه ودينه، فما أكثر القيل والقال في أوساط بعض الدعاة فالموفق من ابتعد عن الخصة الذميمة، ولهذا كره النبي ﷺ القيل والقال فيما لا فائدة منه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». رواه مسلم في «صحيحه». (١٧١٥)،

الشاهد من الحديث قوله: «ويكره لكم: قيل وقال» أي: الذي لا فائدة منه، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». **متفق عليه.** (خ ٦١٣٨ م ٤٨)، من حديث **أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني نقل الكلام، وكثرة ما يتكلم الإنسان ويثرثر به، وأن يكون ليس له هم إلا الكلام في الناس، قالوا كذا وقيل كذا، ولا سيما إذا كان هذا في أعراض أهل العلم وأعراض ولاية الأمور، فإنه يكون أشد وأشد كراهة عند الله عز وجل.

والإنسان المؤمن هو الذي لا يقول إلا خيراً كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت». اهـ من «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٢١١). (٣٥)

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاحرص على أن لا تتكلم إلا حيث كان الكلام خيراً؛ فإن ذلك أقوى لإيمانك، وأحفظ للسانك وأهيب عند إخوانك). اهـ من «شرح الأربعين النووية» (٢١٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: هو يصف لنا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** (وَكَانَ طَوِيلَ السُّكُوتِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَامِ، فَضْلٌ لَا فُضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، وَإِذَا كَرِهَ الشَّيْءَ عُرِفَ فِي وَجْهِهِ). اهـ من "زاد المعاد" (١/ ١٧٥).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي فِي أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ عَلَى طِيبَةِ نَفْسٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَاقْتَرَبَ مُعَاذٌ إِلَيْهِ فَسَارَا جَمِيعًا، فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا أَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا قَبْلَ يَوْمِكَ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ شَيْءٌ وَلَا نَرَى شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَيُّ الْأَعْمَالِ نَعْمَلُهَا بَعْدَكَ؟ فَصَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «نِعْمَ الشَّيْءُ الْجِهَادُ، وَالَّذِي بِالنَّاسِ أَمْلَكُ مِنْ ذَلِكَ فَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ» قَالَ: «نِعْمَ الشَّيْءُ الصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ» فَذَكَرَ مُعَاذٌ كُلَّ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ ابْنُ آدَمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «وَعَادِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ» قَالَ: فَمَاذَا يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي عَادِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِلَى فِيهِ قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» قَالَ: وَهَلْ تُؤَاخِذُ بِمَا

تَكَلَّمْتُ بِهِ أَلَسْتِنَا؟ قَالَ: فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخِذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقْتُ بِهِ أَلَسْتِنَهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنُمُوا وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا». رواه الحاكم في «مستدركه» (٧٨٥٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧٧٢ / ١).



الصفة الرابعة والعشرون: أن لا يكون كثير الجدال

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون مجادلاً بل يبين الحق لمن يخاطبه فإن قبل فيها وإن لم يقبل فقد أدى ما عليه وبرأت ذمته كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾** [سورة الأعراف: ١٦٤].

فالجدال الذي ليس فيه مصلحة مذموم ذمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وذمه رسوله الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾** [سورة الكهف: ٥٤].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الزخرف: ٥٨]. رواه الترمذي في "سننه" (٣٢٥٣)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح الترمذي" (٣٢٥٣).

الصفة الخامسة والعشرون: أن لا يكتر من مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة

على الداعية إلى الله تعالى أن لا يكتر من مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة والمصلحة الشرعية لأن كثرة المخالطة تسبب القسوة في القلب وقد يصاب الداعية بالغفلة بسبب المخالطة لأن الغالب على الناس أنهم غافلون عن ذكر الله وطاعته إلا من رحم الله بخلاف الداعية فهو من أبعد الناس عن الغفلة لذا لو تأمل إلى العلماء لوجدنا أنهم لا يكثرون مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة والضرورة وذلك لما في مخالطة الناس من المنكرات والمخالفات التي يجدها الداعية عندهم وقد لا يستطيع إنكارها أو تغييرها فالسلامة له أن لا يكتر المخالطة إلا بقدر الحاجة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله تعالى وأمره ومكايده عدوه وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحا فلا حاجة لك في خلطته وهم من لا يستغنى عنه مخالطتهم في مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من **القسم الثالث:** وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضرباً عليك فإذا فارقك سكن الألم ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت

فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به فهو يحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس وإن سكت فأثقل من نصف الرحي العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرهما على الأرض ويذكر عن **الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه قال: «ما جلس إلى جانبي ثقیل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر» ورأيت يوماً عند شيخنا **رَحِمَهُ اللَّهُ** رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعف القوى عن حمله فالتفت إلي وقال: «مجالسة الثقیل حمى الربيع ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت لها عادة» أو كما قال وبالجملۃ فمخالطة كل مخالف حمى للروح فعرضية ولازمة ومن نكد الدنيا على العبد أن يتلى بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم فإن اتفق لأكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم الله وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله الداعون

إلى خلافها: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [سورة الأعراف: ٤٥].

فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكراً والمنكر معروفاً إن جردت التوحيد بينهم قالوا تنقصت جناب الأولياء والصالحين وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا أنت من المشبهين وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا: أنت من المفتنين وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين وإن انقطعت إلى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا أنت من المبلسين وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله تعالى من الخاسرين وعندهم من المنافقين فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم وأن لا تشتغل بإعتابهم ولا باستعتابهم ولا تبالي بدمهم ولا بغضبهم فإن عين كمالك كما قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص *** فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال آخر:

وقد زادني حبا لنفسي أنني *** بنغض إلى كل امرئ غير طائل

بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم وهي فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه أبواب جهنم وفتح عليها أبواب الرحمة وانغمر ظاهره وباطنه ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء فعند الممات يحمد القوم التقى وعند الصباح يحمد القوم السرى والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه. اهـ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٧٥-٢٧٦).

الصفة السادسة والعشرون: أن يكون متعففا مستغنيا زاهدا عما في أيدي الناس

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون متعففا زاهداً لا متطلعاً لما في أيدي الناس فإن التطلع لما في أيدي الناس ليس من دأب أهل السنة والجماعة فإنهم قد تربوا على العفة إنما هذا دأب أصحاب الجمعيات والتحزبات.

فالداعية إذا تطلع لما في أيدي الناس أو احتاج إليهم نقص قدره عندهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَعْظَمَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إِذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ مَعَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عَنْدهُمْ، وَمَتَى احْتَجْتَ إِلَيْهِمْ - وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ - نَقَصَ قَدْرَكَ عَنْدهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِمْ). اهـ من "مجموع الفتاوى" (١/ ٣٩).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا تَزَالُ كَرِيمًا عَلَى النَّاسِ أَوْ لَا يَزَالُ النَّاسُ يُكْرِمُونَكَ مَا لَمْ تُعَاطِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ اسْتَخَفُّوا بِكَ، وَكَرِهُوا حَدِيثَكَ وَأَبْغَضُوكَ). اهـ من "حلية الأولياء" (٣/ ٢٠).

فعلى الداعية أن يستغني ويتعفف عما في أيدي الناس وله بذلك أسوة حسن بالأنبياء عليه الصلاة والسلام فقد كان يسألون الناس أموالهم ولا يتطلعون ذلك كم أخبر عنهم فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن نبيه نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَيَقَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْكُمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾** [سورة هود: ٢٩].

وقال الله عن نبيه هود **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿يَقَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** [سورة هود: ٥١].
وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾** [سورة الأنعام: ٩٠].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعِفِفْ

يُعِفُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». **متفق عليه**. (خ ١٤٦٩ - م ١٠٥٣).

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَتَكَفَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ أَتَقَبَّلُ» أَوْ «أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» قَالَ ثَوْبَانُ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا» فَقَالَ فَكَانَ ثَوْبَانُ رَبَّمَا وَقَعَ سَوْطُهُ فَيَنْزِلُ حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ. **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٢٣٦٦)، وهو حديث صحيح في "الصحيح المسند" (١/ ١٥٩) **للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ** وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ٤٩٧).

وفي رواية: عند أحمد في "مسنده" (٢٢٤٠٥): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي وَاحِدَةً وَأَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ؟» قَالَ: قُلْتُ: أَنَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» قَالَ: فَكَانَ سَوْطُ ثَوْبَانَ يَسْقُطُ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ فَيَنْبِخُ حَتَّى يَأْخُذَهُ، وَمَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ:

«عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٠٤٣).

الشاهد من الحديث قوله: «وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلُوءٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّي. **رواه**

البخاري في "صحيحه" (١٤٧٢).

الشاهد من الحديث قول حَكِيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا.
ومعنى لا أرزأ: أي: لا أسأل أحداً بعدك.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَأُزِدَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «تَعَفَّفْ».

رواه أحمد في "مسنده" (٢١٣٢٥)، وإسناده صحيح. (٣٦)

(٣٦) الحديث بتمامه: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَأُزِدَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «تَعَفَّفْ». قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ شَدِيدٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ، يَعْنِي الْقَبْرَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «اصْبِرْ» قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَعْنِي حَتَّى تَغْرُقَ حِجَارَةُ الرَّيْبِ مِنَ الدَّمَاءِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ» قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَتْرُكْ؟ قَالَ: «فَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَكُنْ فِيهِمْ» قَالَ: فَأَخَذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: «إِذَنْ تُشَارِكُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ». رواه أحمد في "مسنده" (٢١٣٢٥)، وإسناده صحيح.

الصفة السابعة والعشرون: أن يكون كريماً جواداً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون كريماً جواداً يُجود بماله تأسياً بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان أجود الناس والداعية هو أحوج الناس بالاتصاف بهذه الصفة صفة الكرم والجود فكم من أناس أحب الإسلام والدعوة بسبب أنهم وجود الكرم والجود من قبل هذا الداعية.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ». **متفق عليه**. (خ ٢٩٠٨-م ٢٣٠٧).

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٣١٢).

وفي رواية: في صحيح مسلم في "صحيحه" (٢٣١٢) **عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيُّ

قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لَا». متفق عليه. (خ ٦٠٣٤ - م ٢٣١١).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ سَهْلٌ: هَلْ تَدْرِي مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا لِأَزَارُهُ، فَجَسَّهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْسُنِيهَا، قَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهَا إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رواه البخاري في "صحيحه" (٥٨١٠).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ

لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ
الرَّيْحِ الْمُرْسَلَةِ». متفق عليه. (خ ٦-م ٢٣٠٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَصْحَابُنَا وَالْإِفْضَالُ مُسْتَحَبٌّ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ أَفْضَلُ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالسَّلَفِ
وَلِأَنَّهُ شَهْرٌ شَرِيفٌ فَالْحَسَنَةُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ. اهد من "المجموع" (٦ / ٣٧٧).



الصفة الثامنة والعشرون: أن يكون محسناً لغيره بقوله وفعله

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون محسناً للناس بقوله وفعله وإن وجد
إساءة منهم فليصبر على ذلك لينال محبة الله كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**
﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ
وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ:
«لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ
مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٥٨).

ومعنى قوله: «فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ». أي: فكأنما تسفهم الرماد الحار.

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ
الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة النحل: ٣٠].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ
أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [سورة
الرحمن: ٦٠].



الصفة التاسعة والعشرون: أن يكون نافعاً لغيره بقوله وفعله

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون نافعاً لغيره بقوله وفعله فالذي ينفع الناس من خير الناس عند الله ومن أحب الناس إلى الله تعالى، وكفى بهذه المنقبة شرفاً وفضلاً أن يكون النافع لغيره من أحب الناس إلى الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيه أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَتْبَتَهَا لَهُ أَتْبَتَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ» **رواه الطبراني** في "الأوسط"

(٦٠٢٦)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٥٧٤ / ٢).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ». **رواه**

الطبراني في "الأوسط" (٥٧٨٧)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٧٨٧ / ١).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أرخص النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في رقية الحية لبني عمرو قال أبو الزبير: وسمعت جابر بن عبد الله يقول: لدغت رجلاً منا عقرب، ونحن جلوس مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال رجل: يا رسول الله أرقني؟ قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢١٩٩).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أحب أن يلحق بدرجة الأبرار ويتشبهه بالأخيار، فليكن في كل يوم تطلع فيه الشمس نفع الخلق). اهـ من "الايمان الأوسط" (٦٠٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ**: (يسعى في قضاء حوائج الناس سعياً شديداً؛ لأنه يعلم أنه كلما أعان غيره أعانه الله، ولذا تجد الكسالى أكثر الناس همًا، وغمًا، وحزنًا ليس لهم فرح، ولا سرور بخلاف أرباب النشاط، والجد في العمل). اهـ من "روضة المحبين" (١٦٨ / ١).

ما أجمل قصة العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ مع باص العمرة الأردني سافر شباب من الأردن إلى العمرة، وفي خير قَدَّرَ الله عليهم حادثاً صدموا به عمود الإنارة فهرعت الشرطة لمكان الحادث وأصروا على السائق أن يدفع تكاليف العمود وكانوا قد قَدَّرُوا ذلك بـ (٢١) ألف ريال!

وهذا السائق ومن معه لا يقدرّون على دفع مثل هذا المبلغ، فحجزت الشرطة جواز سفر السائق لحين تدبير المبلغ ودفعه عند رجعتهم من أداء العمرة. فغلب الشباب على أمرهم وفكروا في طريقة تحصيل المبلغ، ولم يكن أمامهم إلا عرض الموضوع على بعض المشايخ، فكان أن ذهب واحدٌ منهم - وهو الذي حدثني بالقصة إلى **الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ** في غرفته في الحرم المكي بعد صلاة العصر.

فعرّف الشيخ منه القصة، وقال له: تعال غداً وإن شاء الله يصير خير **قال الشاب:** فلم أرجع للشيخ لأنني عرفت أن المبلغ كبير والشيخ لا يعرفنا، ولم يُعرف عن الشيخ أنه يساعد في مثل هذه الأمور، لكنني ذهبت تحقيقاً لرغبة الشباب في أن أكلم الشيخ فقط.

ثم رجع القوم إلى الأردن، وكان لا بدّ من المرور على خير لأخذ الجوازات ولعلّ الله أن يكون قد رقق قلوبهم، فيسقطوا عنا المبلغ.

ولما دخل الشباب إلى المركز أصرَّ الضابط على إحضار المبلغ كاملاً، وإلا لن يجعلهم يمرون، فتحير الشباب وسأقهم ماذا يفعلون؟

توجهوا للشاب الذي ذهب للشيخ ابن عثيمين، فقالوا له: ألم تذهب أنت للشيخ ماذا قال لك؟

قال: قال: تعال غداً!!

قالوا: فهل ذهبتَ له؟

قال: لا!!

قالوا: اتَّصل به لعل الله أن يكون الفرج على يديه ونحن محبوسون عن أهلنا هنا، ونحن في آخر أيام رمضان.

قال: فاتَّصلْتُ بالشيخ في غرفته فردَّ عليَّ، وأخبرته بحالنا.

قال: أنت الشاب الأردني؟

قلت: نعم يا شيخ.

قال: ألم أقل لك تعال في الغد لمَ لمَ تأتِ؟

قال: استحييتُ.

قال: فلمَ كلمتني إذن طيب على كل حال المبلغ كان جاهزاً في اليوم نفسه فلم يصدّق صاحبي الخبر، وكاد الشباب أن يطيروا فرحاً، ومعهم السائق بالطبع!

قال الشاب: والحل يا شيخ؟

قال الشيخ: أنا أحوّل المبلغ للمركز، وأطلب منهم أن ييسروا أمرهم وترجعوا إلى أهليكم قبل العيد...!!

قال الشيخ: أعطني الضابط المسؤول، فكلمّ الضابطُ الشيخ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بنوع من اللامبالاة!

قال الشيخ: المبلغ عندي وأعطني رقم حسابكم وأنا أحوله لكم وأطلقوا الشباب وسائقهم ليذهبوا إلى أهليهم!

ردّ الضابط بقلة أدب: آسفين يا شيخ! لا بدّ من إحضار المبلغ نقداً وإلا فلن يسافروا ولن يرجعوا!!

غضب الشيخ جداً من الضابط وقال: أقول لك المبلغ عندي دعهم يذهبوا إلى أهليهم! رفض الضابط مرة أخرى! ثم أغلق الشيخ السماعة قال الشاب: فما هي إلا لحظات إلا والمركز ينقلب رأساً على عقب!! ما الخطب؟ إنه أمير المدينة!! الأمير عبد المجيد اتصل يسأل عن الضابط الذي رفض طلب

الشيخ، وبدأ يهدد ويتوعد بالعقوبة!! حاول الضباط وأفراد الشرطة التستر على زميلهم، ورأى الشباب تغير العنجهية بصورة سريعة ومذهلة إلى رقة وأدب! فأمرهم أمير المدينة بإطلاق الشباب وسائقهم فوراً، وتصليح العمود على حساب الدولة!! ولا يتصور أحد مدى فرحة الشباب بهذا الخبر! فشكروا للشيخ جهوده وارتفعت أصواتهم بالدعاء للشيخ وأكبروا في الأمير احترامه للعلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ وتقديره لمكانتهم في موقف لن ينساه أحد منهم ما عاش أبداً... رَحِمَهُمُ اللَّهُ ابن عثيمين وجزاك الله خيراً.

المصدر: كتبها ونشرها الأردني أبو طارق (إحسان بن محمد بن عايش العتيبي) من إربد - بيت راس في ١٢ / ١ / ٢٠٠١ هـ.



الصفة الثلاثون: أن يكون قوالاً بالحق صادعاً به

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون قوالاً بالحق صادقاً به كما قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٤].
وقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ
يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ،
فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُم أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ
أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آيَةً أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنَّ عِشْتَ فَسْتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ
فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي
أَيْدِيهِمْ حَصَا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيَكْبُرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلَّلُوا مِائَةً، فَيَهْلَلُونَ
مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيَسْبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا

قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتَظَرِ رَأْيِكَ أَوْ انْتَظَرِ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًّا نَعُدُّ بِهِ التَّكْيِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيَحْكُمَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَنِيَّتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَدَّثَنَا أَنَّ». قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ"، وَائِمُّ اللَّهِ مَا أَذْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلِيكَ الْحَلَقِ يُطَاعُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ. **رواه الدارمي** في "سننه" (٢١٠)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (١١ / ٥).

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه القصة: فإن فيها عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السنة، فإن هؤلاء إذا أنكر عليهم منكر ما هم فيه اتهموه بإنكار الذكر من أصله! وهذا كفر لا يقع فيه مسلم في الدنيا، وإنما

المنكر ما ألصق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكون مشروعة على عهد النبي ﷺ وإلا فما الذي أنكره ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أصحاب تلك الحلقات؟ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذكر بعدد لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلقة، ويأمرهم به من عند نفسه، وكأنه مشرع عن الله تعالى! ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: ٢١].

زد على ذلك أن السنة الثابتة عنه ﷺ فعلاً وقولاً إنما هي التسبيح بالأنامل، كما هو مبين في "الرد على الحبشي"، وفي غيره. ومن الفوائد التي تؤخذ من الحديث والقصة، أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما كونها على السنة، بعيدة عن البدعة، وقد أشار إلى هذا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله أيضاً: "اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة". ومنها: أن البدعة الصغيرة يريد إلى البدعة الكبيرة، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب؟ فهل من معتبر؟! اهـ من "السلسلة الصحيحة" (١١ / ٥).

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تَرَكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». رواه مسلم في "صحيحه" (٤٩).

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: روى البيهقي (٣٧) بسند صحيح عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثُر فيها الركوع والسجود فنهاه فقال: يا أبا محمد! يعذبني الله على الصلاة؟! قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة.

وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ وهو سلاح قوى على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها ذكر وصلاة ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!!

(٣٧) رواه البيهقي في "سننه الكبرى" (٤١٣١)، بسند صحيح: عَنْ أَبِي رَبَاحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَكْثَرَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُكْثِرُ فِيهَا الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ فَنَهَاها، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يُعَذِّبُنِي اللَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ يُعَذِّبُكَ عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ».

وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك. اهـ
من "إرواء الغليل" (٢/٢٣٦).

**وإليك همة الإمام الوادعي رحمه الله في الصدع بالحق وتغير المنكر
وإنكاره على من يحجز في المسجد:**

ذكر الشيخ الفاضل عادل بن أحمد شيخ حفظه الله في تعليقه على عمدة الأحكام في مدينة صيبا نقلاً عن الشيخ الوالد حسن بن هتان صديق الشيخ مقبل وزميله وكان أحد الحاضرين في تلك القصة؛ قصة تدل على علم الشيخ مقبل وشجاعته **رَحْمَةُ اللَّهِ** وإقدامه على تغير المخالفة الشرعية وعدم التهيب من الناس في بيان الحق والدعوة إليه وذلك:

أن الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** ذهب إلى القصيم فدخل الجامع الكبير في مدينة القصيم الذي يخطب فيه الشيخ صالح الخريصي **رَحْمَةُ اللَّهِ** رئيس محاكم القصيم آنذاك وكان تجار القصيم آنذاك يرسلون أولادهم يوم الجمعة لحجزوا الصفوف الأول بالنعال من الجلد فدخل الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** فوجد الصفوف الأول محجوزة بالنعال فقال هاتوا كرتون فقرب الشيخ حسن هتان **حفظه الله** كرتون فجمع الشيخ مقبلاً **رَحْمَةُ اللَّهِ** النعال فيه وقال اطرحوه على باب المسجد ثم قال لمن هم داخل المسجد تقدموا إلى

الصفوف الأول فتقدموا فجاء تجار القصيم فلم يجدوا حجوزاتهم التي
 حجزوها فصلوا في الصفوف الأخيرة وبعد الصلاة أشار الناس إلى أن من
 رمى النعال هو هذا الرجل يعنون الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** فقام أهل القصيم
 غاضبون على الشيخ مقبل وكان الشيخ صالح الخريصي لا يعلم بوجود
 الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** فلما رأى الشيخ مقبل غضبهم قام إلى الشيخ صالح
 الخريصي واستأذنه في أن يتكلم فأخذ المكرفون وسرد على الناس سبعة
 عشر حديثاً بالسند في النهي عن الحجز في المسجد انبهر الناس فقام الشيخ
 صالح الخريصي **رَحْمَةُ اللَّهِ** وقال لهم هذا علامة الحجاز: **الشيخ مقبل بن**
هادي الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ وكان ذلك قبل خروج الشيخ مقبل إلى اليمن ومن ذو
 ذلك اليوم ماتت تلك العادة في ذلك الجامع، فرحم الله الشيخ مقبل رحمة
 الأبرار وجمعنا به في دار القرار.

كتبه: أبو الحارث جعفر يوم الإثنين ١٧ / ذو القعدة ١٤٣٩ هـ.

قلت: وهذا يدل على همة **الشيخ مقبل رَحْمَةُ اللَّهِ**، وقوة، صدقه، وإخلاصه
 فقد كان الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** صداعاً بالحق قوالاً به لا يخاف في الله لومة
 لائم، وهذا الفعل لا يصدر إلا ممن قوي صدقه وإخلاصه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصَّدْعُ بِالْحَقِّ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلَاصٍ،
فَالْمُخْلِصُ بِلاَ قُوَّةٍ يَعْجزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، وَالْقَوِيُّ بِلاَ إِخْلَاصٍ يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ
بِهِمَا كَامِلًا، فَهُوَ صِدِّيقٌ، وَمَنْ ضَعُفَ، فَلَا أَقْلَ مِنْ التَّائِمِ وَالْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ،
لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيمَانٌ فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١١ / ٢٣٤).

وأرجو أن يشمل الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ
يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَاهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ» قَالَ: وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ
أَسْمَعُهُ. **رواه أحمد** في "مسنده" (١١٠١٧)، وإسناده صحيح وهو في "الصحيح
المسند" (١ / ٣٥٠) **للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ**

الصفة الحادية والثلاثون: أن يكون أمر بالمعروف ناهياً عن المنكر عاملاً بهما

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بضوابطه الشرعية صابراً على ما يلقاه في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى والتهم الباطلة من قبل المعارضين والمشوهين والمرضى قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: ﴿يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان: ١٧].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [سورة المزمل: ١٠].
والهجر الجميل: هو الذي لا أذى فيه.

تعريف المعروف: هو كل ما عُرف حُسْنُهُ من جهة الشرع أو هو كل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإنك تأمر به.

تعريف المنكر: هو ما عُرف قُبْحُهُ من جهة الشرع أو كل ما نهى الله عنه أو

نهى عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تَرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٤٩).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [سورة التوبة: ٧١].

الصفة الثانية والثلاثون: أن يكون محذرا من أهل البدع والأهواء والتحزبات

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يبين حال أهل البدع والأهواء والتحزبات بجميع أصنافهم وأشكالهم ويحذر منهم لأنهم يدعون الناس إلى باطلهم وضلالهم وانحرافهم فيحصل الضرر للناس في دينهم ودينهم لذلك فإن التحذير منهم ومن بدعهم مطلب شرعي لا يقوم به إلا أهل السنة والجماعة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٢].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة المؤمنين: ٥٣].

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فنحن نحارب الحزبية لأنها مساختة، فكم من شخص يكون مؤلفاً وخطيباً داعياً إلى الله، وبعد أن يختطفه الحزبيون يموت، ويبقى إما رجل أناشيد، وإما رجل تمثيلات، وإلى غير ذلك من الأمور المساختة). اهـ من "غارة الأشرطة" (١/ ٧٣).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا إله إلا الله كم من شاب صالح حافظ للقرآن مبرز في علم السنة أفسده الحزبيون بأمانيتهم الكاذبة وسيسألون أمام الله عَزَّوَجَلَّ عن هذا التضليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل). اهـ من "غارة الأشرطة" (١/ ١٠).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (مرض الحزبية مرض أعظم من مرض الإيدز). اهـ من "غارة الأشرطة" (١/ ١٣٠).

وقال العلامة الفوزان حفظه الله: (اللهم أني بريء من دعوة الإخوان المسلمين، ومؤسسها المخالفة للكتاب والسنة، وما عليه سلف هذه الأمة). اهـ من "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة" (٢٩).

قلت: وكم أفسدت الحزبية من العلماء، والمشايخ، والدعاة، وطلاب العلم من أهل السنة والجماعة، بسبب الأموال التي يمتلكها أصحابها فاغتر بها من اغتر ممن هو على منهج أهل السنة والجماعة، وصار معها،

ويناصررها، ويدعمها، وصار يحارب أهل السنة والجماعة بسبب انتمائه إلى الحزبية.

فالحذر الحذر من الحزبية المساخة، والحذر من أصحابها، ومن يدعو إليها أو يروج لها.

فمن أعظم ما يفسد الداعية إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** التحزب فكم رأينا ممن تحزب، وقع في المخالفات الكثيرة التي كان ينكرها، ويعتقد حرمتها مثل التصوير، والاختلاط، والانتخابات، وغيرها من الضلالات، فهذا هو الانحراف والضلال بعينه، **وما أحسن ما قاله حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال له أبو مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أوصني، قال: (إن الضلالة حقّ الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين، فإن دين الله واحد).** اهـ من "الإبانة الكبرى لابن بطة" (١/ ١٨٩).

الصفة الثالثة والثلاثون: أن يكون شجاعاً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم فله بذلك أسوة بنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان أشجع الناس.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ». وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبْطَأُ. **متفق عليه.** (خ ٢٩٠٨ - م ٢٣٠٧).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

الصفة الرابعة والثلاثون: أن يكون مجتهداً في طلب العلم

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون مجتهداً غاية الاجتهاد في طلب العلم
وتحصيله لكي يكون من العلماء فعلى قدر اجتهاده ينال من العلم.

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن الله يهبُ العلم على قدر الإخلاص

والهمة). اهـ من "رحلات دعوية" (١١٢).

وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيِّ
يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ
الْخَضِرِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، سَمِعْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ يَقُولُ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَطِيبًا
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ
أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكَتَلٍ،
فَحَيْثُ تَفَقَدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَاذْطَلَقْ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ،

فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُوتًا فِي مِكَتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى آتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكَتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكَتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِفَتَاهُ: آتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، قَالَ مُوسَى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

[سورة الكهف: ٦٤].

قَالَ يَقْصَانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى آتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَى أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف: ٦٦].

قَالَ: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف: ٦٧].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة الكهف: ٦٨].

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [سورة

الكهف: ٦٩].

قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ

مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف: ٧٠]. قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَىٰ يَمْشِيَانِ

عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا

الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَىٰ لَوْحٍ مِنَ الْأَوَاحِ السَّفِينَةِ

فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَيْنَا سَفِينَتَهُمْ فَخَرَقْتَهَا

﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾

[سورة الكهف: ٧٣].

ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ

الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ يَدَيْهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿أَقْتَلْتَ

نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف: ٧٥].

قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [سورة

الكهف: ٧٧].

يَقُولُ مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، سَأَنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحُمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا»، قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ» قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ يَقْرَأُ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا» وَكَانَ يَقْرَأُ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا». متفق عليه. (خ ١٢٢ - م ٢٣٨٠).

الشاهد من الحديث قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام: «إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟».

وَعَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ،
فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ
حَكٌّ فِي صَدْرِي الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ بَعْدَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ، وَكُنْتُ أَمْرًا مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا،
قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَوْ مُسَافِرِينَ أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
وَلِيَالِيَهُنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ، فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ
فِي الْهَوَى شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَبَيْنَا نَحْنُ
عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهَوْرِيٌّ يَا مُحَمَّدُ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَحْوٍ مِنْ صَوْتِهِ هَاؤُمْ وَقُلْنَا لَهُ: وَيَحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ
فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَغْضُضُ.
قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَكَّمَا يَلْحَقُ بِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ أَبَا بَا مِنْ قَبْلِ
الْمَغْرِبِ مَسِيرَةَ عَرْضِهِ، أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا،
قَالَ سُفْيَانُ: قَبْلَ الشَّامِ خَلَقَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَفْتُوحًا يَعْنِي

لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ. **رواه الترمذي** في "سننه" (٣٥٣٥)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح الترمذي" (٣٥٣٥).

الشاهد من الحديث قوله: «مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَعْلَى الِهْمَمِ فِي طَلَبِ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَفْسُ الْمُرَادِّ وَعِلْمُ حُدُودِ الْمَنْزِلِ وَأَخْسَ هِمَمِ طُلَّابِ الْعِلْمِ قَصْرُ هِمَّتِهِ عَلَى تَتَبُعِ شَوَازِ الْمَسَائِلِ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ وَلَا هُوَ وَاقِعٌ أَوْ كَانَتْ هِمَّتُهُ مَعْرِفَةَ الْإِخْتِلَافِ وَتَتَبُعِ أَقْوَالِ النَّاسِ وَلَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّحِيحِ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ وَقَلٌّ أَنْ يَنْتَفِعَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ بِعِلْمِهِ). اهـ من "الفوائد" (٦١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «منهومان لا يشبعان منهومان في العلم لا يشبع منه و منهومان في الدنيا لا يشبع منها». **رواه البيهقي** في "شعب الإيمان" (١٠٢٧٩)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "مشكاة المصابيح" (٦٣).

الشاهد من الحديث قوله: «منهومان في العلم لا يشبع منه».

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَخْوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ

أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ». رواه الترمذي في "سننه"

(٢٣٤٥)، وهو حديث صحيح صححه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" (١/٤٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ». متفق عليه. (خ ٥٠٠٢ - م ٢٤٦٣).

الشاهد من الحديث قوله: «وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».

وقال أبو بكر محمد بن طرخان التركي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد يعني: والد أبي بكر بن العربي أخبرني أبو محمد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد. وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة.

قال: فقامت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقبل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة وكان بعد العصر قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون.

قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على (موطأ مالك)، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه، وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة. في جانب طلب العلم). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٨ / ١٩٩).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: كان البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوري السراج، ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجَه، ثم يقوم مرة أخرى حتى كان يتعدد ذلك منه قريباً من عشرين مرة.

وقد كان أصيب بصره وهو صغير، فرأت أمه إبراهيم الخليل، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: يا هذه، قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك، أو قال: بكائك. فأصبح وهو بصير.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: فكرت البارحة فإذا أنا قد كتبت في مصنفاتي نحواً من مائتي ألف حديث مسنده، وكان يحفظها كلها). اهـ من "البداية والنهاية" (١٤ / ٥٢٨).

همة الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في طلب العلم:

كان عمره رَحِمَهُ اللَّهُ عندما توفي (٤٥) سنة، استطاع فيها أن يحصل هذه العلوم الجمة، وأن يؤلف تلك الكتب العظيمة التي انتشرت وملأت الأرض شرقاً وغرباً فهل أتى هذا من فراغ؟!.

قال ابن العطار في ترجمته: «وذكر لي الشيخ أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً: درسين في الوسيط، ودرساً في المذهب، ودرساً في الجمع بين الصحيحين، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جنى، ودرساً في اصطلاح المنطق لابن السكيت، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه تارة في اللمع لأبي إسحاق وتارة في المنتخب لفخر الدين، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة، وبارك الله لي في وقتي». اهـ من "فصل لخطاب" (٣/ ٦١٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وقد حدثني شيخنا المثار عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ أنه ذكر عن الكسائي رَحِمَهُ اللهُ إمام أهل الكوفة في النحو أنه طلب النحو فلم يتمكن، وفي يوم من الأيام وجد نملة تحمل طعاماً لها وتصعد به إلى الجدار وكلما صعدت سقطت، ولكنها تابرت حتى تخلصت من هذه العقبة وصعدت الجدار، فقال الكسائي رَحِمَهُ اللهُ: هذه النملة تابرت حتى وصلت الغاية، فتأبر حتى صار إماماً في النحو). اهـ من "كتاب العلم" (٤٧).

وقال هارون بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ قال أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: (لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحني في العلم الذي يتحقق به فجاءني يوماً

رجل فسألني عن شيء من العروض ولم أكن نشطت له قبل ذلك فقلت له علي قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض فإذا كان في غد فصر إلي وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً). اهـ من "معجم الأدباء" (٥ / ٢٥١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ويروى أيضاً عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه استضافه الإمام **أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ** ذات ليلة فقدم له العشاء، فأكل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ثم تفرق الرجلان إلى منامهما، فبقي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يفكر في استنباط أحكام من حديث، وهو قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا عمير ما فعل النغير»**. (٣٨) أبو عمير كان معه طائر صغير يسمى النغير، فمات هذا الطائر فحزن عليه الصبي، وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يداعب الصبيان، ويكلم كل إنسان بما يليق به، فظل طول الليل يستنبط من هذا الحديث ويقال: إنه استنبط منه أكثر من ألف فائدة، ولعله إذا استنبط فائدة جر إليها حديث آخر، وهكذا حتى تتم فلما أذن الفجر قام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يتوضأ ثم انصرف إلى بيته، وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يثني عليه عند أهله.

(٣٨) متفق عليه. (خ ٦٢٠٣ - م ٢١٥٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقالوا له: يا أبا عبد الله كيف تشني على هذا الرجل الذي أكل فشرب ونام ولم يقيم، وصلى الفجر بدون وضوء؟ فسئل الإمام الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ** فقال: أما كوني أكلت حتى أفرغت الإناء فذلك لأنني ما وجدت طعاماً أطيب من طعام الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فأردت أن أملأ بطني منه، وأما كوني لم أقم لصلاة الليل فإن العلم أفضل من قيام الليل، وقد كنت أفكر في هذا الحديث، وأما كوني لم أتوضأ لصلاة الفجر فكنت على وضوء من صلاة العشاء، ولا يحب أن يكلفهم بماء الوضوء). اهـ من "كتاب العلم" (٤٧).

وإليك همة العلامة ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ في طلب العلم بعد أن انقطع عنه لخمس سنوات:

قال العلامة ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ: كانت عائلتنا فقيرة كأغلب العوائل في عنيزة حيث مر على الناس جوع ومخمصة لقلة الأمطار ولندرة المال، ولانعدام الأمن، حيث يعجز الواحد أن يخرج من عنيزة لبريدة أو لأي مدينة أخرى حينما يحل الظلام خوفاً من السراق وجماعات النهب والسلب كانت عائلتنا تملك بقرة حلبو نشرب من حليبها ولبنها ونتغذى من سمنها ولحمها في المواسم.. كما هو الحال في كل بيوت عنيزة، وكان والدي يذهب نهارة للوادي لكي يزرع ويسقي نخله وغرسه فكنت أساعده في شؤون عمله

حب الله تعالى لي العلم وطلبه قبل أن تنشأ المدارس النظامية والمعاهد، فالتحقت بحلقة **شيخنا ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ** مروراً بدروس بعض تلاميذه الكبار اللذين كانوا يدرسون مبادئ العلوم لصغار الطلبة ومنهم أنا (يعني الشيخ نفسه فكنت أحرص على الجمع بين الطلب ومساعدة الوالد **رَحْمَةُ اللَّهِ** استمر الشيخ عدة سنوات في الدراسة على شيخه ابن سعدي وأقبل الطلبة عليه من عنيزة وخارجها حيث هو علامة القصيم حينها بلا منازع يقول الشيخ: كان شيخنا ابن سعدي رجلاً حليماً ورحيماً بطلابه فكان يشجعنا على الطلب بكل ما توفر له من إمكانيات فكان يثير جو المنافسة بين المجموعات بالمناظرات والمجادلة والمحاورة، فيكافئ المجموعة الفائزة أو الطالب المجد بحفنة من تمرات الرطب أو العنب أو بمكافأة مالية رمزية وكان الشيخ في دروسه يبسط الكلام ليستوعب الصغير والكبير عنه ويحاور طلابه ويمازحهم أحياناً في دروسه، مما يثير جو الحرص وحب الاستماع والاستفادة من علمه وأدبه وكان الشيخ يزور الطلبة في بيوتهم ويحضر مناسباتهم ويعود مرضاهم.

يقول شيخنا: كانت مكتبتي حينها عبارة عن غرفة صغيرة، أن حشر فيها وتصعب عليّ فيها الحركة سوى بمشقة ولها كوة صغيرة تشرف

على زريبة البقر ولم أكن أتأذى من روائحها التنتنة لأنني لا أشم أصلاً!! أراجع في مكتبتي المتواضعة دروسي من كتاب الروض وتفسير الجلالين وغيرهما.

يقول الشيخ: ثم مرت بعد ذلك فترة من الركود العلمي فتضائل عدد الطلاب عند الشيخ ابن سعدي وشغل الناس بأمور سياسية ومذاهب فكرية كالناصرية والقومية العربية الاشتراكية وغيرها بسبب الإعلام المنحرف والموجه انفتحت أبواب التجارة والعمل والتعليم في الجامعات والمعاهد فهاجرت كثير من العوائل للمدن الكبرى كالرياض والمنطقة الشرقية وغيرها.

يقول الشيخ: ثم إنني أصابني ما أصاب الناس فانصرفت عن دروس الشيخ واشتغلت بالزراعة في الوادي مع الوالد..

قلت له: كم الفترة التي انقطعت فيها عن العلم؟؟

قال: خمس سنوات تقريباً!!

قلت له: وماذا كنت تعمل حينها؟؟

قال: أزرع واحصد ولم أكن أذاكر أو أراجع العلم الذي حصلته عن

الشيخ ابن سعدي، وكدت أنسى القرآن غير أنني كنت أراجعه وأنا

أسير على حماري إلى الوادي!!
ولولا ذاك لنسيته ولكن الله سلم..

يقول الشيخ: ولم يكن يحضر حلقة الشيخ بن سعدي سوى عدد بسيط من كبار طلبت، ومع ذلك صمد الشيخ واستمر في التعليم والتأليف والإفتاء والخطابة وتدريس العوام دونما انقطاع **رَحْمَةُ اللَّهِ** رحمة واسعة.
يقول شيخنا: ثم إن الله تعالى حينما أراد بي خيراً..

جئت يوماً لجامع الشيخ ابن سعدي وحضرت درسه لأول مرة منذ سنوات.

فما عاتبني الشيخ ولا نهمني لانقطاعي ولم يقل لي:
لم غبت؟؟

أو لم تركت العلم؟؟ أو نحو ذلك مما أثر في نفسي وحبب الشيخ ابن سعدي لنفسه.

فرفع ذلك السلوك من الشيخ همتي.

وتوجهت بكل جوارحي للعلم، فزاحمت الكبار وثبتت الركب بين يديه وحصلت من علمه وأدبه ما فتح الله علي به، فحزت رضاه وإعجابه ففقر بني وخصني بدروس لي خاصة أو مع خاصة تلاميذه.

فقرأت عليه متونا كثيرة في الفقه والتفسير والأصول والنحو والصرف والحديث والمصطلح وغيرها من العلوم النافعة، وحصل أن انتقلت عائلة الشيخ محمد لمدينة الرياض.

فطلب الشيخ ابن سعدي من والد الشيخ محمد كما سبق وذكرنا أن يبقى شيخنا في عيزة ليكمل طلبه للعلم، حيث رأى الشيخ فيه علامات النبوغ والنباهة فحرص على بقاءه ليستمر في التحصيل وهذا ما كان وبعد سنوات افتتحت المعاهد العلمية.

فاستأذن شيخنا من شيخه ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ ينتقل للدراسة في المعهد العلمي في الرياض فأذن له شيخه. اهـ من "رحلتي إلى النور" (١/ ١١٧).

وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: (إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد). اهـ من "الرحلة في طلب الحديث" (١٢٧).

وروى الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ أَنْ جابراً الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حدثه قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث سمعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم أسمعه منه قال: فابتعت بغيراً فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، قال: فأرسلت إليه أن جابراً

على الباب، قال: فرجع إلي الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟، فقلت: نعم، قال: فرجع الرسول إليه، فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته، قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد أو قال يحشر الله الناس قال وأوماً بيده إلى الشام عراة غرلاً بهما» قلت: ما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء» قال: «فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، قال: قلنا كيف هو؟ وإنما نأتي الله تعالى عراة غرلاً بهما قال بالحسنات والسيئات». **رواه الخطيب البغدادي** في «الرحلة في طلب الحديث» (٣١)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٣٠).

الشاهد من الحديث قول جابر رضي الله عنه: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه قال: فابتعت بغيراً فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، قال: فأرسلت إليه أن جابراً على الباب،

قال: فرجع إلي الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟، فقلت: نعم، قال: فرجع الرسول إليه، فخرج إليّ فاعتنقني واعتنقته، قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: كان الكسائي رَحِمَهُ اللهُ: (راعياً للغنم حتى بلغ (٤٠) عاماً وفي يوم من الأيام وهو يسير رأى أما تحث ابنها على الذهاب إلى الحلقة للحفظ: القرآن والولد لا يريد الذهاب فقالت لأبنها يا بني أذهب إلى الحلقة لتتعلم حتى إذا كبرت لا تكون مثل هذا الراعي فقال الكسائي أنا يضرب بي المثل في الجهل فذهب فباع أغنامه وانطلق إلى التعليم وتحصيله فأصبح إماماً في اللغة وإماماً في القراءات ويضرب به المثل في العلم وكبر الهمّة). اهـ من "الجواهر والدرر لأبن حجر".

وقال العلامة حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ: (إن مقبل الوادعي تلميذي وأنا الذي اخترت له الموضوع (في الماجستير) وكان يقرأ علي في البيت أيام الحرية الشرقية، وكنت أناصحته وأقول له يا مقبل أنت قدمت من بلادك لطلب العلم فلا تخالط هؤلاء الناس دع عنك مخالطتهم وأقبل إلى ما رحلت من أجله، ولكنه أبتلى، وأمتحن فوق فيما حذرته منه، وكنت أقول له: أرجو أن تكون

في اليمن في هذا الزمان كالشوكاني في زمانه، وقد كان مقبل تلميذاً ما رأيت مثله في النشاط وطلب العلم). اهـ من "المجموع في فتاوى العلامة حماد الأنصاري" (٢/ ٦٠٧).

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (حينما عرفت في آخر لحظة وقد أخذوني في سيارة لاند روفر هذه تبع الجيش أنني سأنفى إلى سجن الحسكة أرسلت بسرعة إلى أحد أولادي يجب لي صحيح مسلم وشنطة وبراية وقلم رصاص إلخ.. من شأن أشتغل هناك فيه). اهـ من "الهدى والنور" (١٣/ ١٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر). اهـ من "الوابل الصيب" (٧٧).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت لرجل من الأنصار يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم اليوم كثير». فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه، وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا

ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن أتيك. فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رأي، وقد اجتمع الناس علي، فقال: (كان هذا الفتى أعقل مني). **رواه الدارمي** في "سننه" (١/ ٤٦٧). بإسناد صحيح.

الشاهد من هذه القصة قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتيه، وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن أتيك فأسأله عن الحديث.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو إسحاق المرادي رَحِمَهُ اللَّهُ: عن الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجاورته في المدرسة يعني بالقاهرة حماها الله بيتي فوق بيته اثني عشر سنة فلم استيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشغول بالعلم وحتى كان في حال الأكل والكتاب والكتب عنده يشتغل فيها). اهـ من "بستان العارفين" (١/ ٧٩).

وهذا الإمام بقي بن مخلد الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي رحل إلى بغداد ماشياً على قدميه، وكان جُلُ بغيته أن يلقي إمام أهل السنة **أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ** ليأخذ عنه العلم، حُكي عنه أنه قال: (لما قُرِبْتُ من بغداد اتصل بي خبرُ المحنة التي دارت على **أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ**، وأنه ممنوع من الاجتماع

إليه والسماع منه، فاغتممتُ بذلك غمًّا شديدًا، فاحتللتُ الموضوع، فلم أعرج على شيء بعد إنزالي متاعي في بيت اكرتيته في بعض الفنادق أن أتيتُ المسجد الجامع الكبير، وأنا أريد أن أجلس إلى الخلق وأسمع ما يتذاكرونه. فدُفِعْتُ إلى حلقة نبيلة، فإذا برجل يكشف عن الرجال، فيُضَعِّفُ ويُقَوِّي، فقلت: "من هذا؟" لمن كان قربي، فقال: "هذا يحيى بن معين"، فرأيتُ فرجة قد انفرجت قُربَه، فقمْتُ إليه فقلت له: "أبا زكريا رحمك الله، رجل غريب نائي الدار، أردتُ السؤال فلا تَسْتَخْفَنِي"، فقال لي: "قُل"، فسألته عن بعض من لقيتُ من أهل الحديث، فبعضًا زكَّى، وبعضًا جرَّح.

فسألته في آخر السؤال عن هشام بن عمار، وكنتُ قد أكثرت من الأخذ منه، فقال: "أبو الوليد هشام بن عمار صاحبُ صلاة، دمشقي ثقة وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر وتقلد كبرًا ما ضرَّه شيئًا لخبره وفضله"، فصاح أهلُ الحلقة: "يكفيك رحمةُ الله عليك، غيرُك له سؤال" فقلت: وأنا واقف على قدمي: "أكشفُك عن رجل واحد: أحمد بن حنبل؟"، فنظر إليَّ يحيى بن معين كالمتعجب وقال لي: "ومثلنا نحن يكشف عن أحمد بن حنبل؟! إنَّ ذاك إمامُ المسلمين، وخيرُهم، وفاضلهم" ثم خرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدُلْتُ عليه، فقرعتُ بابه، فخرج إليَّ وفتح الباب، فنظر

إلى رجل لم يعرفه، فقلت: "يا أبا عبد الله رجل غريب الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالبٌ حديث ومُقيّدُ سُنّة -أي: جامعُ سُنّة-، ولم تكن رحلتي إلا إليك"، فقال لي: "ادخل الأسطوان، ولا تقع عليك عين" فقال لي: "وأين موضعك؟"، قلت: "المغرب الأقصى"، فقال لي: "إفريقية؟" فقلت: "أبعدُ من ذلك، أجوزُ من بلدي البحرَ إلى إفريقية، الأندلس"، فقال لي: "إن موضعك لبعيد، وما كان شيء أحبَّ إليَّ من أن أحسنَ عَوْنَ مثلك على مطلبه، غيرَ أني في حيني هذا ممتحنٌ بما لعله قد بلغك"، فقلت له: "بلى قد بلغني، وأنا قريب من بلدك مقبلاً نحوك" فقلت له: "أبا عبد الله هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي في كل يوم في زِيِّ السُّوَال، فأقولُ عند باب الدار ما يقولون، فتخرجَ إلي هذا الموضع، فلو لم تحدثني في كل يوم إلا بحديث واحد لكان فيه كفاية"، فقال لي: "نعم، على شرط أن لا تظهر في الخلق، ولا عند أصحاب الحديث"، فقلت: "شَرطك" فكنْتُ آخذُ عودًا بيدي، وألُفُّ رأسي بخرقة، وأجعل كاغدي -أي: ورقي- ودَوَاقِي في كُمِّي، ثم آتي بابه فأصيح: "الأجرَ رحمكم الله"، والسُّوَالُ هنالك كذلك، فيخرج إليّ، ويغلق باب الدار، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمتُ ذلك، حتى مات الممتحنُ

له، ووَلِّي بعده من كان على مذهب السُّنَّة، فظهر أحمد بن حنبل، وسَمَّا ذكره، وعَظَّمَ في عيون الناس، وعَلَّتْ إمامته، وكانت تُضْرَبُ إليه آباط الإبل، فكان يَعْرِفُ لي حَقَّ صبري.

فكنت إذا أَتَيْتُ حَلَقَتَهُ فَسَحَ لي وأَدْنَانِي من نفسه، ويقول لأصحاب الحديث: "هذا يقع عليه اسمُ طالب العلم"، ثم يقص كلهم قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرأه عليّ، وأقرأه عليه.

فاعتَلْتُ أَشْفِيَتْ منها، ففَقَدَنِي من مجلسه فسأل عني، فأعلم بعِلَّتِي، فقام من فوره مقبلاً إِلَيَّ عائداً لي بمن معه، وأنا مضطجع في البيت الذي كنت أكرت، ولَبِدي تحتي، وكسائي عليّ، وكتبي عند رأسي، فسمعتُ الفندق قد ارتَجَّ بأهله وأنا أسمعهم -يقولون-: «هو ذاك، أبصروه، هذا إمام المسلمن مقبلاً» فبَدَرَ إِلَيَّ صاحبُ الفندق مسرعاً فقال لي: "أبا عبد الرحمن! هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مقبلاً إِلَيْكَ عائداً لك" فدخل، فجلس عند رأسي، وقد احتَشَى البيتُ من أصحابه، فلم يسعهم، حتى صارت فرقة منهم في الدار وقوفاً وأقلامهم بأيديهم، فما زادني على هذه الكلمات؛ فقال لي: "يا أبا عبد الرحمن أبشِرْ بثواب الله، أيامُ الصحة لا سَقَمَ فيها، وأيامُ السقم لا صحة فيها، أعلاك الله إلى العافية،

وَمَسَحَ عَنْكَ بِيَمِينِهِ الشَّافِيَةَ"، فرأيت الأقلام تكتب لفظه، ثم خرج عني، فأتاني أهل الفندق يَلْطَفُونَ بي، ويخدمونني ديانةً وحِسْبَةً، فواحدٌ يأتي بفراش، وآخر بلحافٍ، وبأطياب من الأغذية، وكانوا في تمريضي أكثر من تمريض أهلي لو كنت بين أظهرهم، لعيادة الرجل الصالح. اهـ من "تاريخ الإسلام" (٢٠/٢٢٣).

قلت: فالله الله في طلب العلم وترك الكسل، وما أحسن ما قاله ابن الوردي رَحِمَهُ اللهُ:

اطلب العلم ولا تكسل *** فما أبعد الخير عن أهل الكسل (٣٩)

وقال الشاعر رَحِمَهُ اللهُ:

اطلب العلم ولا تضجرأ *** فآفة الطالب أن يضجرأ

ألم تر الحبل بتكراره *** في الصخرة الصماء قد أثراً

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ومن نام على فراش الكسل أصبح ملقى بوادي الأسف

الجد كله حركة، والكسل كله سكون فتورك عن السعي في طلب الفضائل دليل

على تأنيث العزم إذا أردت أن تعرف الديك من الدجاجة وقت خروجه من البيضة

فعلقه بمنقارة فإن تحرك فديك وإلا فدجاجة). اهـ من "بدائع الفوائد" (٣/٢٢٥).

قلت: ونحن نعاني من ضعف الهمة في جانب العلم، وهذه مصيبة كبيرة.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة وهناك أمور لا بد منها:

الأمر الأول: الإخلاص لله عز وجل في الطلب والإنسان إذا أخلص لله في طلب وعرف أنه يُثاب على طلبه وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة فإن همته تنشط: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

ثانياً: أن يُلازم زملاء يحثونه على العلم ويساعدونه على المناقشة، والبحث، ولا يمل من صحبتهم ما داموا يعينونه على العلم.

ثالثاً: أن يصبر نفسه بمعنى يحبسها لو أرادت أن تتفلت، قال الله تعالى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

فليصبر؛ وإذا صبر وتعود الطلبة صار الطلب سجية له وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يومًا طويلًا عليه، أما إذا أعطى نفسه العنان فلا، فالنفس أمارة بالسوء والشيطان يحثه على الكسل وعدم التعلم. اهـ من "كتاب العلم" (١/٧٩).



الصفة الخامسة والثلاثون: أن يكون مجتهدا نشيطا في الدعوة إلى الله تعالى ونشر العلم

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون نشيطاً في جانب نشر العلم والدعوة وتعليم الناس ولا يكون أهل الباطل أنشط منه بل يكون هو أنشط منهم وله بذلك أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أنشط الناس في نشر العلم وتعليم الناس.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾** [سورة العنكبوت: ١٤].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبر تعالى عن حكمه وحكمته في عقوبة الأمم المكذبة، وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحا عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الأنداد والأصنام: **﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾** [سورة العنكبوت: ١٤]. نبياً داعياً: **﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾**

عَامًّا ﴿سورة العنكبوت: ١٤﴾. وهو لا يني بدعوتهم، ولا يفتر في نصحتهم، يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، فلم يرشدوا ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مع شدة صبره وحلمه واحتماله، فقال: ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾ [سورة نوح: ٢٦]. ﴿**فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ**﴾ [سورة العنكبوت: ١٤].

أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة: ﴿**وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: ١٤]. مستحقون للعذاب. اهـ من "تفسيره" (٦٢٧).

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصرف وقته وجل اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بين الله - عز وجل - ذلك في محكم التنزيل: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [سورة نوح: ٢٣]. اهـ من "كتاب التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام" (٨).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ: «**لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُن لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ

النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». **متفق عليه.** (خ ٢٩٤٢م - ٢٤٠٦م).

الشاهد من الحديث قوله: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٦٧٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر ﷺ أَنَّ الْمَتَسَبِّبَ إِلَى الْهُدَى بِدَعْوَتِهِ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ اهْتَدَى بِهِ وَالْمَتَسَبِّبَ إِلَى الضَّلَالَةِ بِدَعْوَتِهِ عَلَيْهِ مِثْلُ إِثْمِ مَنْ ضَلَّ بِهِ لِأَنَّ هَذَا بَذْلُ قُدْرَتِهِ فِي هِدَايَةِ النَّاسِ وَهَذَا بَذْلُ قُدْرَتِهِ فِي ضَلَالَتِهِمْ فَنَزَلَ

كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ التَّامِّ وَهَذِهِ قَاعِدَةُ الشَّرِيعَةِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي
 غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [سورة
 العنكبوت: ١٣].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ دَعَا الْأُمَّةَ إِلَى غَيْرِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَهُوَ عَدُوهُ حَقًّا
 لِأَنَّهُ قَطَعَ وَصُولَ أَجْرِ مَنْ اهْتَدَى بِسُنَّتِهِ إِلَيْهِ. اهـ من "مفتاح دار السعادة" (١/ ٦٢).
**همة العلامة ابن عثيمين رحمه الله في تعليم الناس ونشر العلم والجواب
 على أسئلة الناس.**

قال الشيخ فهد بن يحيى العماري حفظه الله: كان من عادة شيخنا أن يأتي
 إلى مكة في العشر الأواخر من رمضان فلم يترك هذا البرنامج منذ زمن طويل
 ومن حبه لهذا البرنامج أنه لم يتركه حتى وهو على فراش مرض موته عليه
 سبحانه الرحمة همة حتى على فراش الموت مرض الموت؛ فأين الأصحاء
 والكسالى منها؟! كان يملأ العشر بما يلي: يبدأ درسه بعد الفجر حتى
 الإشراق ثم يأتي وراءه الناس مسلمين وسائلين في منظر جميل حتى يصل

لمسكنه أو غرفته بالحرم ثم يأخذ قسطاً من الراحة ثم أذان الظهر يواصل برنامجه ما بين قراءة للقرآن وكان يختم عشرة أجزاء كل يوم وطواف ثم بعد العصر يستقبل الناس وأسئلتهم وحاجتهم حتى المغرب يقول أحد مرافقيه: وفي يوم كان الشيخ متعباً ويجيب على أسئلة الناس: عن طريق الهاتف ومن شدة غلبة النوم سقط الهاتف من يده فقمنا بفصل الهاتف، ثم انتبه الشيخ وهو يقول أين الهاتف؟ فنخبره بما حصل فيصر على فتحه ويقول الناس بحاجة إلى من يفتيها وأنا أنا؛ رحمك الله يا شيخ أين حال كثير من طلبة العلم اليوم؟! والله المستعان.

فلو لم تجد في كفه غير روحه *** لجاد بها فليثق الله سائله
ثم يبدأ بعد التراويح درسه الذي ما شهد الحرم له مثيل بطريقة شرحه المتميزة وأسلوبه الممتع وطرافته يستوعبه الجميع ثم تأتي صلاة القيام وبعد الصلاة يزدحم الناس عليه حتى تشفق عليه وهو يجيب هذا ويسلم على ذاك وينحني للصغير ليسلم عليه ويقضي حاجات الناس ثم يسير والناس حوله في منظر رائع وكان لا يترك الطواف يومياً في الغالب وكان نومه قليلاً حتى كان في درس الفجر يغلبه النوم فيغفو وهو يواصل ويجاهد نفسه وكان يتعهد رجلاً بالصدقة كلما أتى مكة.

وفي موافقه وقصصه هذه فوائد جمة **رَحِمَهُ اللهُ** فقد كان إماماً متواضعاً ومربياً عظيماً وللقاري وهو مسافر أن يجعل من معه يستخلصون الفوائد والعبر من هذه السير فتراجم الرجال مدارس الأجيال كما يقول ابن حزم **رَحِمَهُ اللهُ**. اهـ من "المختصر في أحكام السفر" (٢١٣-٢١٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (ولقد أوصاني رجل من عامة الناس فقال لي: يا بني احرص على نشر العلم حتى في المجالس كمجالس القهوة أو الغداء أو ما أشبه ذلك، ولا تترك مجلساً واحداً إلا وأهديت إلى الجالسين، ولو مسألة واحدة أوصاني بذلك، وأنا أوصيكم بذلك؛ لأنها وصية نافعة). اهـ من "التعليق على صحيح مسلم" (١٥٢/٧١١٤).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: من أحب أن يكون للأنبياء وارثاً وفي مزارعهم حارثاً فليتعلم العلم النافع، وهو علم الدين ففي الحديث العلماء ورثة الأنبياء وليحضر مجالس العلماء، فإنها رياض الجنة ومن أحب أن يعلم ما نصيبه من عناية الله فليُنظر ما نصيبه من الفقه في دين الله ففي

الْحَدِيثُ مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ ^(٤٠) وَمَنْ سَأَلَ عَنْ طَرِيقٍ تَبْلُغُهُ
الْجَنَّةَ فَلْيَمْشِ إِلَى مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي الْحَدِيثِ مِنْ سَلَكِ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهَا
عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ: ^(٤١) (وَمَنْ أَحَبَّ أَلَّا يَنْقَطِعَ عَمَلُهُ بَعْدَ
مَوْتِهِ، فَلْيَنْشُرِ الْعِلْمَ) بِالتَّدْوِينِ، وَالتَّعْلِيمِ فِي الْحَدِيثِ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ
عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ. اهـ
من "التذكرة" (١/ ٥٥).

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا أعلم بعد النبوة درجة أفضل من بث العلم).
اهـ من "تهذيب الكمال" (١٦/ ٢٠).

قلت: فعلى المسلم أن يكون صاحب همة عالية في جانب نشر العلم وبثه
عند الناس، فإن نشر العلم له ثمار عظيمة:

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: تجد بعض الناس أعطاه الله علمًا كثيرًا لكنه
بمنزلة الأمي، لا يظهر أثر العلم عليه في عبادته، ولا في أخلاقه، ولا في سلوكه، ولا
في معاملته مع الناس، بل قد يُكْسِبُهُ الْعِلْمُ اسْتِكْبَارًا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَعُلُوًّا عَلَيْهِمْ،

(٤٠) متفق عليه. (خ ٧١-١٠٣٧)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء بنحوه عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

في "سنن الترمذي" (٢٦٤٥)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٥٢٤) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤١) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واحتقاراً لهم، وما علم هذا أن الذي منّ عليه بالعلم هو الله، تجده لم ينتفع الناس بعلمه، لا بتدريس، ولا بتوجيه، ولا بتأليف، بل هو منحصر على نفسه، وهذا بلا شك حرمان عظيم، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله للعبد؛ لأن العلم إذا علّمته غيرك ونشرته بين الناس، أُجِرْتَ على ذلك من عدة وجوه:

الأول: أن في نشرك للعلم نشرًا لدين الله - عزّ وجلّ - فتكون من المجاهدين في سبيل الله؛ لأنك تفتح القلوب بالعلم، كما يفتح المجاهد البلاد بالسلاح والإيمان.

الثاني: من بركة نشر العلم وتعليمه أن فيه حفظاً لشريعة الله عزّ وجلّ، وحماية لها؛ لأنه لولا العلم لم تحفظ الشريعة.

الثالث: من بركة نشر العلم، أنك تُحسّن إلى هذا الذي علمته؛ لأنك تبصره في دين الله - عزّ وجلّ - فإذا عبد الله على بصيرة كان لك مثل أجره؛ لأنك أنت الذي دللته على الخير، والదال على الخير كفاعله.

الرابع: أن في نشر العلم وتعليمه زيادة له، فعلم العالم يزيد إذا علّم الناس؛ لأنه استذكار لما حفظ وانفتاح لما لم يحفظ، كما قال القائل:

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفاً شددت أي: إذا أمسكته ولم تعلمه

نقص. اهـ من "شرح دعاء قنوت الوتر" (٦).

الصفة السادسة والثلاثون: أن يكون صاحب هممة عالية في البحث وتأليف الكتب العلمية

فعلى الداعية إلى الله تعالى الذي قد فتح الله عليه بالعلم وصارت عنده
مكنة في العلم والتأليف أن يكون صاحب هممة عالية في جانب تأليف الكتب
العلمية، فإن تأليف العالم هو ولده المخلد الذي يبقى بعد موته: **قال ابن
الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (أو أن يصنف كتابًا في العلم؛ فإن تصنيف العالم ولده المخلد
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَحْيَاءُ). اهـ من "صيد الخاطر" (١ / ٣٤).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إني لأفرح بالكتاب حين يخرج أعظم من فرحي
بالولد). اهـ

وقال المزني رَحِمَهُ اللَّهُ سمعت البويطي يقول: قلت للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (إنك تتغنى في
تأليف الكتب وتصنيفها والناس لا يلتفتون عليك ولا إلى تصنيفك فقال لي إن هذا هو
الحق والحق لا يضيع). اهـ من "تاريخ دمشق" (٥١ / ٣٦٥).

وما أحسن ما قيل في فضل تأليف الكتب:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى *** ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء *** يسرّك في القيامة أن تراه
أجلّ ما كسبت يد الفتى قلم *** وخير ما جمعت يده الكتب

وما أحسن ما قيل:

أموت ويبقى كل ما قد كتبه *** فيأليت من يقرأ كتابي دعا ليا
لعل الإله يمن بطفه *** ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

وما أحسن ما قيل:

ولي يومٍ سأرحل دون ريبٍ *** فهلاًّ ما نشرتُ نشرتموه
لعل الله يجزيّننا بخيرٍ *** وما من سيءٍ عنيّ ادفنوه

وهكذا ليعلم الداعية إلى الله أن له أسوة بالعلماء الكبار فقد كانت همهم عالية في جانب تأليف الكتب العلمية وها أنا بعون الله أذكر لك نماذج من هذا القبيل في همة العلماء في التأليف لتشجّد همّتك وتقوّي عزمك في هذا المجال.

همة الإمام البخاري رحمه الله في تأليف صحيحه:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: فلما رأى البخاري رَحِمَهُ اللهُ هذه التصانيف
ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدّها بحسب الوضع جامعة بين ما
يدخل تحت التصحيح، والتحسين، والكثير منها يشمله التضعيف فلا يقال
لغته سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين

وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه وذلك فيما أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر اللؤلؤي عن الحافظ أبي الحجاج المزي أخبرنا يوسف بن يعقوب أخبرنا أبو اليمن الكندي أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم سمعت خلف بن محمد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بها يقول:

سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كنا عند إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ فقال لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال: سمعت البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكأنني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح. اهـ من "هدي الساري" (٧).

الشاهد من القصة: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللهُ كُنا عند إسحاق بن راهويه فقال لو جمعتُم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح. وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري رَحِمَهُ اللهُ يقول رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكأنني واقف بين يديه وبيني مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح. اهـ من "هدي الساري" (٧/١).

قلت: وقد مكث الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في تأليف صحيحه ست عشرة سنة (١٦). قال ابن عدي رَحِمَهُ اللهُ: سَمِعْتُ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: صَنَنْتُ (الصَّحِيحَ) فِي سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٤٠٥ / ١٢).

همة الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله في تأليف صحيحه:

نص الإمام مسلم رحمه الله عن سبب تأليفه لصحيحه كما في مقدمته حيث ذكر في ذلك أمران:

الأول: إجابة لسؤال أحد تلاميذه حيث قال في مقدمته: ثُمَّ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مُبْتَدِئُونَ فِي تَخْرِيجِ مَا سَأَلْتَ وَتَأْلَيْفِهِ، عَلَى شَرِيطَةٍ سَوْفَ أَذْكُرُهَا لَكَ.

الثاني: كثرة ما أُلْفَ وقُدِفَ به إلى الناس من الكتب المملوءة بالضعاف والمناكير والواهيات حيث قال في مقدمته: وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ مَا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ نَشْرِ الْقَوْمِ الْأَخْبَارِ الْمُنْكَرَةِ بِالْأَسَانِيدِ الضَّعَافِ الْمَجْهُولَةِ، وَقَدْفِهِمْ بِهَا إِلَى الْعَوَامِّ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ عُيُوبَهَا، خَفَّ عَلَى قُلُوبِنَا إِجَابَتُكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ. اهـ من "مقدمته" (٦).

قلت: وقد مكث الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في تأليف صحيحه خمسة عشرة سنة (١٥).

قال تلاميذه أحمد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت مع مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في تأليف "صحيحه" (١٥) سنة، انظروا إلى هذا العمر وهذا الزمان الذي أُلْفَ فيه مسلم الصحيح، فهو لم يتعجل كما يتعجل الكثيرون، فإن بعض المطابع تخرج علينا في كل يوم بعشرات بل مئات، ولا أكون مبالغاً إن قلت بآلاف الكتب والمجلات والصحف التي تلقى بين الناس، والناس يقرءون، وربما وجدت هذه الكتب والمصنفات قلوباً خاوية خالية فتمكنت منها، وكثير من القراء يقرءون كتباً لا يعرفون ضررها من مصلحتها ونفعها، فإذا قرأ كتاباً يقول: كيف يرده؟ ولذلك أنت تسمع كثيراً من الطلاب إذا قلت لهم هذا الكتاب فيه خطأ، الصفحة الفلانية أو السطر الفلاني يقول: كيف يكون كتاباً وفيه

خطأ؟ وهذا أمر طبيعي؛ لأن الناشرين -إلا من رحم الله- فقدوا التقوى أو قلت عندهم، فجل همهم تحصيل المال والشهرة، فهم يدفعون بالكتاب قبل أن يستوي عوده لأجل تحصيل المال، لا يهمهم نشر العلم الصحيح ولا نفع المسلمين ولا غير ذلك. اهـ من "شرح مسلم" (١٣/١).

همة الإمام مالك رحمه الله في تأليفه لموطئه.

قال ابن عبد البر رحمه الله: أن أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك رحمه الله: يا مالك! اصنع للناس كتاباً أحملهم عليه، فما أحد اليوم أعلم منك!! فاستجاب الإمام مالك رحمه الله لطلبه، ولكنه رفض أن يلزم الناس جميعاً به). اهـ من "الاستذكار" (١٦٨/١).

همة الإمام الحاكم رحمه الله في تأليفه لمستدركه:

قال الحاكم رحمه الله: وقد سألتني جماعة من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتاباً يشتمل على الأحاديث المروية بأسانيد يحتج محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج بمثلها".

ثم قال بعد ذلك: وإنا أستعين بالله على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان أو أحدهما، وهذا هو شرط الصحيح عند كافة فقهاء

أهل الإسلام: أن الزيادة في الأسانيد والمتون من الثقات مقبولة، والله المعين على ما قصدته وهو حسبي ونعم الوكيل. اهـ من "مستدرکه" (١٧/١).

همة الحافظ ابن حجر رحمه الله في التأليف والتصنيف:

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَمْدًا لِمَنْ يُسْنَدُ كُلُّ حَمْدٍ *** إِلَيْهِ مَرْفُوعًا بِغَيْرِ عَدٍّ
متصلٌ لَيْسَ لَهُ انْقِطَاعٌ *** مَا فِيهِ كَذَابٌ وَلَا وِضَاعٌ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ تَغْشَى أَحْمَدًا *** وَآلَهُ وَصَحْبَهُ أَهْلَ الْهُدَى
وَبَعْدُ فَالْنُّخْبَةُ فِي عِلْمِ الْأَثَرِ *** مُخْتَصِرٌ يَا حَبْدًا مِنْ مُخْتَصِرٍ
أَلْفَهَا الْحَافِظُ فِي حَالِ السَّفَرِ *** وَهُوَ الشَّهَابُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَجْرٍ
طَالَعْتُهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ *** فَاشْتَقْتُ أَنْ أُودِعَهَا نِضَامِي
فَتَمَّ مِنْ بَكْرَةٍ ذَاكَ الْيَوْمِ *** إِلَى الْمَسَاءِ عِنْدَ وَفُودِ النَّوْمِ
مُشْتَمِلًا عَلَى الَّذِي حَوَاهُ *** فَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ لَا سِوَاهُ

ذكر الإمام العلامة محمد بن إبراهيم المعروف بابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان معاصراً للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الحافظ كتب في سفره إلى مكة سنة سبع عشرة وثمانمائة مختصراً بديعاً في علوم الحديث قال: فوقفت عليه وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه فوجدته كما قيل:

أبلغ العلم وأشرفاه *** لأدواء الفـــــــؤاد
اختصار في جلاء *** وبلوغ في مراد (٤٢)

الشاهد من هذه الأبيات قول الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ:

وَبَعْدُ فَالْنُّجْبَةُ فِي عِلْمِ الْأَثَرِ *** مُخْتَصِرٌ يَا حَبَّاذًا مِنْ مُخْتَصَرٍ
ألفها الحافظُ في حَالِ السَّفَرِ *** وهو الشَّهَابُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ حَجَرٍ
همة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التأليف والتصنيف:

يعد الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من أكثر العلماء تأليفًا للكتب وتمتاز كتبه بأنها في
الغالب من إنشائه وليست قائمة على النقل فقط كما هو حال كثير من المكثرين.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هذا من بركات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، فإن
كتاباته لها تأثير في الأمة وهذا من نعمة الله عزَّوَجَلَّ على العبد أن يكون لكلامه
وكتاباته تأثير بل إن شيخنا محمد بن عبد العزيز بن مطوع رَحِمَهُ اللهُ إن هذه تُعدُّ
من كرامات الشيخ أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ لكونه يؤثر في القلوب ويقبل
بكونه يؤلف هذه المؤلفات الكثيرة العظيمة في هذا العمل القليل. اهـ من
”شرح اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم“ (١٦).

(٤٢) اهـ من ”إسبال المطر على قصب السكر نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر“ (١٦٥).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما يبعد أن تصنيفه إلى الآن تبلغ خمس مائة مجلد».

وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريباً من ذلك، مع أن تصانيفه كان يكتبها من حفظه، وكتب كثيراً منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه، ويراجعه من الكتب».

وقال الشيخ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يحكي عن العناية الذي لقيه في نسخ مخطوطة كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بخطه، فيقول: إن ابن تيمية ما كان يرفع قلمه عن الورق، يعني أن الكلام كله متصل ببعضه، ولا ينقطع إلا في نهاية السطر؛ لحرصه على الوقت، أي أنه عندما يكتب لم يكن يترك مسافات بين الكلمات، أو يرفع يديه حتى يكتب الكلمة الجديدة، بل كان القلم يظل منحدرًا كالسيل، والكلام وراء بعضه، ولا يتوقف إلا في نهاية السطر حتى يبدأ سطرًا جديدًا، فهذا ما رآه محب الدين الخطيب بعينه من خط شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ. اهـ من "فصل الخطاب" (٣/ ٦١٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر). اهـ من "الوابل الصيب" (٧٧).

وتأمل إلى همة شيخ الإسلام رحمه الله في تأليف كتاب العقيدة الواسطية:

نَقَلَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ: أَنَّ الشَّيْخَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - قَالَ: - فِي مَجْلِسِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ الْأُفْرَمِ - لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ اعْتِقَادِهِ وَكَانَ الشَّيْخُ أَحْضَرَ عَقِيدَتَهُ "الواسطية" قَالَ - هَذِهِ كَتَبْتُهَا مِنْ نَحْوِ سَبْعِ سِنِينَ قَبْلَ مَجِيءِ التَّارِ إِلَى الشَّامِ؛ فَقَرِئَتْ فِي الْمَجْلِسِ. ثُمَّ نَقَلَ عَلَمُ الدِّينِ عَنِ الشَّيْخِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ سَبَبُ كِتَابَتِهَا أَنَّ بَعْضَ قُضَاةِ وَاسِطٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ شَكََا مَا النَّاسُ فِيهِ - بِيَلَادِهِمْ فِي دَوْلَةِ التَّر - مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ [وَدُرُوسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ؛ وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ "عَقِيدَةً" فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ كَتَبَ النَّاسُ عَقَائِدَ أَيْمَةِ السُّنَّةِ؛ فَالْحَّ فِي السُّؤَالِ، وَقَالَ: مَا أَحَبُّ إِلَّا عَقِيدَةً تَكْتُبُهَا أَنْتَ. فَكَتَبْتُ لَهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ - وَأَنَا قَاعِدٌ بَعْدَ الْعَصْرِ فَأَشَارَ الْأَمِيرُ لِكَاتِبِهِ فَقَرَأَهَا عَلَى الْحَاضِرِينَ حَرْفًا حَرْفًا فَاعْتَرَضَ بَعْضُهُمْ عَلَى قَوْلِي فِيهَا: وَمِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ: مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَمَقْصُودُهُ أَنَّ هَذَا يَنْفِي التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ: إِمَّا وَجُوبًا وَإِمَّا جَوَازًا. اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٩٤ / ٣).

ونختم الكلام عن شيخ الإسلام بأبيات ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَيْخِهِ

فِي "نُونِيَّتِهِ" (١ / ٢٣٠).

فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة	***	شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك	***	البحر المحيط بسائر الخلق
واقراً كتاب العقل والنقل الذي	***	ما في الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له في رده	***	قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فإنه	***	أرداهم في حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه	***	أعجوبة للعالم الرباني
وكذاك أجوبة له مصرية	***	في ست أسفار كتبت سمان

همة الإمام ابن القيم رحمه الله في تأليفه لكتابه زاد المعاد في هدي خير

العباد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذِهِ كَلِمَاتٌ يَسِيرَةٌ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَتِهَا مَنْ لَهُ
أَذْنَى هِمَّةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ، اقْتَضَاهَا الْخَاطِرُ
الْمَكْدُودُ عَلَى عُجْرِهِ وَبُجْرِهِ، مَعَ الْبِضَاعَةِ الْمُزْجَاةِ الَّتِي لَا تَنْفَتِحُ لَهَا أَبْوَابُ
السُّدَدِ، وَلَا يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ مَعَ تَعْلِيلِهَا فِي حَالِ السَّفَرِ لَا الْإِقَامَةِ،
وَالْقَلْبُ بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ، وَالْهِمَّةُ قَدْ تَفَرَّقَتْ شَذَرًا مَذَرًا، وَالْكِتَابُ مَفْقُودٌ،
وَمَنْ يَفْتَحْ بَابَ الْعِلْمِ لِمُذَاكَرَتِهِ مَعْدُومٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ، فَعُودُ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْكَفِيلُ
بِالسَّعَادَةِ قَدْ أَصْبَحَ ذَاوِيًا، وَرَبْعُهُ قَدْ أَوْحَشَ مِنْ أَهْلِهِ وَعَادَ مِنْهُمْ خَالِيًا، فَلِسَانُ
الْعَالِمِ قَدْ مَلَأَ بِالْغُلُولِ مُضَارَبَةً لِعُغْبَةِ الْجَاهِلِينَ، وَعَادَتْ مَوَارِدُ شِفَائِهِ وَهِيَ

مَعَاظِيهٖ لِكَثْرَةِ الْمُنْحَرِفِينَ وَالْمُحَرِّفِينَ، فَلَيْسَ لَهُ مُعَوَّلٌ إِلَّا عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَمَا لَهُ نَاصِرٌ وَلَا مُعِينٌ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. اهـ من "زاد المعاد" (١/٦٩).

الشاهد من كلام قوله: مَعَ تَعْلِيْقِهَا فِي حَالِ السَّفَرِ لَا الْإِقَامَةِ، وَالْقَلْبُ بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ، وَالْهَمَّةُ قَدْ تَفَرَّقَتْ شَذَرَ مَذَرَ.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: صنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلم، وكان شديد المحبة للعلم، وكتابته ومطالعه وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره، إلى ما فيه من الأحاديث المعلولة مجلد، كتاب "سفر الهجرتين وباب السعادتين" مجلد ضخيم، كتاب "مراحل السائرين بين منازل" إياك نعبد وإياك نستعين " مجلدان، وهو شرح " منازل السائرين " لشيخ الإسلام الأنصاري، كتاب جليل القمر، كتاب " عقد محكم الأحياء، بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء " مجلد ضخيم، كتاب " شرح أسماء الكتاب العزيز " مجلد، كتاب " زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدى خاتم الأنبياء " مجلد، كتاب " زاد المعاد في هدى خير العباد " أربع مجلدات، وهو كتاب عظيم جداً، كتاب " جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام " وبيان أحاديثها وعللها

مجلد، كتاب " بيان الدليل عَلَى استغناء المسابقة عَنِ التحليل " مجلد،
 كتاب " نقد المنقول والمحك المميز بَيْنَ المردود والمقبول " مجلد، كتاب
 " إعلام الموقعين عَنِ رب العالمين " ثلاث مجلدات، كتاب " بدائع الفوائد
 " مجلدان " الشافية الكافية فِي الانتصار للفرقة الناجية " وَهِيَ " القصيدة
 النونية فِي السنة " مجلدان، كتاب " الصواعق المنزلة عَلَى الجهمية
 والمعطلة لما فِي مجلدات، كتاب " حادي الأرواح إِلَى بلاد الأفراح " وَهُوَ
 كتاب " صفة الْجَنَّة " مجلد، كتاب " نزهة المشتاقين وروضة المحبين " مجلد،
 كتاب " الداء والدواء " مجلد، كتاب " تحفة الودود فِي أحكام
 المولود " مجلد لطيف، كتاب " مفتاح دار السعادة " مجلد ضخمة، كتاب " اجتماع
 الجيوش الإسلامية عَلَى غزو الفرقة الجهمية " مجلد، كتاب " مصائد الشَّيْطَان " مجلد،
 كتاب " الفرق الحكيمة " مجلد " رفع اليدين فِي الصلاة " مجلد. كتاب " نكاح المحرم " مجلد " تفضيل مَكَّة عَلَى الْمَدِينَةِ " مجلد
 " فضل الْعُلَمَاء " مجلد " عدة الصابرين " مجلد كتاب " الكبائر " مجلد " حكم تارك الصلاة " لد، كتاب " نور المؤمن وحياته " مجلد، كتاب
 " حكم إغمام هلال رمضان "، " التحرير فيما يحل، ويحرم من لباس التحرير "، " جوابات عابدي الصلبان، وَأَنْ مَا هُمْ عَلَيْهِ دِينَ الشَّيْطَان "، " "

بطلان الكيمياء من أربعين وجها " مجلد " الفرق بين الخلعة والمحبة، ومناظرة الخليل لقومه " مجلد " الكلم الطيب والعمل الصالح " مجلد لطيف " الفتح القدسي "، " التحفة المكية " كتاب " أمثال القرآن " " شرح الأسماء الحسنى "، " أيمان القرآن "، " المسائل الطرابلسية " ثلاث مجلدات " الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم " مجلدان، كتاب " الطاعون " مجلد لطيف.

توفي رحمه الله وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشرين رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وصلى عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر، ثم بجامع جراح. ودُفِنَ بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير، ورئيت له منامات كثيرة حسنة رضي الله عنه. اهـ من "ذيل طبقات الحنابلة" (١٧٢ / ٥).

همة ابن القيم رحمه الله في تأليف: كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن

الدواء الشافي والمسمى الداء والدواء عندما سأله رجل:

وإليك نص سؤال هذا الرجل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ مَا تَقُولُ السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ، أَيْمَةُ الدِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - فِي رَجُلٍ ابْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ وَعَلِمَ أَنَّهَا إِنْ اسْتَمَرَّتْ بِهِ أَفْسَدَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَقَدْ اجْتَهَدَ فِي دَفْعِهَا عَنْ نَفْسِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَمَا يَزِدُّهُ إِلَّا تَوَقُّدًا وَشِدَّةً، فَمَا الْحِيلَةُ فِي دَفْعِهَا؟ وَمَا

الطَّرِيقُ إِلَى كَشْفِهَا؟ فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ مُبْتَلَى، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، أَفْتُونَا مَا جُورِينَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى؟

فَأَجَابَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَيُّوبُ إِمَامُ الْمَدْرَسَةِ الْجَوَزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

بقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحٍ ^(٤٣) الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ^(٤٤) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ».

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ^(٤٥) مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ

(٤٣) رواه البخاري في "صحيحه" (٥٦٧٨).

(٤٤) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٢٠٤).

(٤٥) رواه الترمذي في "سننه" (٢٠٣٨)، وهو "الصحيح المسند" (٤٢/١) للإمام الوادعي

رَحِمَهُ اللَّهُ وليس لأسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الصحيح المسند" إلا هذا الحديث فقط.

وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»، وَفِي لَفْظٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ دَوَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

دَوَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ وَهَذَا يَعُمُّ أَدَوَاءَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ وَأَدْوِيَّتَهَا، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَهْلَ دَاءً، وَجَعَلَ دَوَاءَهُ سُؤَالُ الْعُلَمَاءِ.

فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ^(٤٦) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مَنَا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً، وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ، فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِلَّا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا؟ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ

(٤٦) رواه أبو داود في "سننه" (٣٣٦)، وهو حديث حسن إلا قوله: إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ. فهي ضعيفة. حديث حسن؛ إلا قوله: "إنما كان... إلخ"؛ فإنه ضعيف؛ لأنه ليس له شاهد معتبر، وصححه ابن

السكن). اهد من "صحيح أبي داود" (١٥٨/٢).

يَمْسَحُ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ». فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ، وَأَنَّ شِفَاءَهُ السُّؤَالُ. اهـ من "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الكافي" (٧).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ ابْنِ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الْحَسَنِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاقْتَنَى مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا يَتَهَيَّأُ لغيرِهِ تَحْصِيلُ عَشْرِهِ مِنْ كُتُبِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ قَلِيلَ النَّظِيرِ، بَلْ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي مَجْمُوعِهِ، وَأُمُورِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخَيْرُ وَالْأَخْلَاقُ الصَّالِحَةُ، سَامَحَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ، وَقَدْ كَانَ مُتَّصِدِيًا لِلْإِفْتَاءِ بِمَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ الَّتِي اخْتَارَهَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَجَرَتْ لَهُ بِسَبَبِهَا فُصُولٌ يَطُولُ بَسْطُهَا مَعَ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً رَحِمَهُ اللَّهُ، شَهِدَهَا الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَالصَّالِحُونَ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَتَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَى حَمْلِ نَعْشِهِ، وَكَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّونَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ فَمِنْ تَصَانِيفِهِ: كِتَابُ "تَهْذِيبِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ" وَإِيضَاحُ مَشْكَلَاتِهِ، وَالْكَلَامُ. اهـ من "البداية والنهاية" (١٨ / ٥٢٣).

همة الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله في تأليف كتابه "عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم":

قال الإمام السعيد، الحافظُ الفقيه الأَوحد الصدر الكبير، ناقد الحفاظ، تقي الدين: أبو محمد؛ عبد الغني بن عبد الواحد بن عليّ بن سُرور المقدسيُّ أدام الله توفيقه وأيامه، الحمدُ لله الملكِ الجبّار، الواحدِ القَهَّار، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، ربُّ السماوات والأرضِ وما بينهما، العزيزُ الغفَّارُ، وصلى الله على النبيِّ المُصطفى المختار، وآله، وصحبه الأطهار.

أما بعدُ: فإنَّ بعضَ إخواني سألني اختصارَ جُملةٍ في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الإمامان: أبو عبد الله؛ محمد بنُ إسماعيل بن إبراهيم البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ، ومُسلم بنُ الحجاج رَحِمَهُ اللهُ، فأجبتُهُ إلى سؤاله؛ رجاءَ المنفعةِ به، وأسألُ الله أن ينفَعنا به، ومَنْ كَتَبه، أو سَمِعَه، أو حَفِظَه، أو نَظَرَ فيه، وأن يجعله خالصًا لوجهه، موجبًا للفوزِ لديه؛ فإنه حسْبنا، ونعم الوكيل. (٤٧)

(٤٧) اهـ من كتابه "عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٣٩).

همة الإمام الوادعي رحمه الله: في تأليف الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين:

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: عن الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللهُ: كان له معرفة قوية بعلم الحديث، وينفر عن التقليد، وهو خريج الأزهر وكان متشددًا في التضعيف، حتى أنه ألف (تيسير الوحيين في الاقتصار على القرآن والصحيحين)، وكان يقول: الصحيح الذي في غير الصحيحين يعد على الأصابع، قال الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: فبقيت كلمته في ذهني منكرًا لها حتى عزمت على تأليف (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) فازددت يقينًا بطلان كلامه. اهـ من "ترجمته".

الشاهد من القصة: قول الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللهُ: الصحيح الذي في غير الصحيحين يعد على الأصابع.

قال الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: فبقيت كلمته في ذهني منكرًا لها حتى عزمت على تأليف: (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) فازددت يقينًا بطلان كلامه.

همة الإمام الألباني رحمه الله: في تأليف كتابه أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم:

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ: ولما كنت لم أقف على كتاب جامع في هذا الموضوع؛ فقد رأيت من الواجب عليّ أن أضع لإخواني المسلمين ممن همُّهم الاقتداء في عبادتهم بهدي نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً مستوعباً ما أمكن لجميع ما يتعلق بصفة صلاة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التكبير إلى التسليم؛ بحيث يُسهّل على من وقف عليه من المحبين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبّاً صادقاً القيام بتحقيق أمره في الحديث المتقدم: «صلوا كما رأيتموني أصلي». (٤٨)

ولهذا فإني شَمَّرت عن ساعد الجدِّ، وتتبع الأَحاديث المتعلقة بما إليه قصدت من مختلف كتب الحديث؛ فكان من ذلك هذا الكتاب الذي بين يديك، وقد اشترطت على نفسي أن لا أورد فيه من الأحاديث النبوية إلا ما ثبت سنده؛ حسبما تقتضيه قواعد الحديث الشريف وأصوله، وضربت صفحاً عن كل ما تفرد به مجهول، أو ضعيف؛ سواء كان في الهيئات، أو

(٤٨) رواه البخاري في "صحيحه" (٦٠٠٨)، من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأذكار، أو الفضائل وغيرها؛ لأنني أعتقد أن فيما ثبت من الحديث ^(٤٩) غُنيةً عن الضعيف منه؛ لأنه لا يفيد - بلا خلاف - إلا الظن؛ والظن المرجوح، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [سورة النجم: ٢٨].

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إياكم والظنَّ! فإن الظنَّ أكذبُ الحديث». ^(٥٠)

فلم يتعبدنا الله تعالى بالعمل به، بل نهانا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عنه؛ فقال:

«اتقوا الحديث عني؛ إلا ما علمتم». ^(٥١)

-
- (٤٩) الحديث الثابت يشمل الصحيح والحسن عند المحدثين بقسميهما: الصحيح لذاته، والصحيح لغيره، والحسن لذاته، والحسن لغيره.
- (٥٠) البخاري، ومسلم. وهو مخرج في كتابي "غاية المرام تخريج الحلال والحرام" (رقم ٤١٢).
- (٥١) صحيح. أخرجه الترمذي، وأحمد، وابن أبي شيبه. وعزاه الشيخ محمد سعيد الحلبي في "مسلسلاته" (٢/١) للبخاري؛ فوهم.
- ثم تبين لي أن الحديث ضعيف، وكنت اتبعت المناوي في تصحيحه لإسناد ابن أبي شيبه فيه، ثم تيسر لي الوقوف عليه؛ فدا هو يَبِّنُ الضعف، وهو نفس إسناد الترمذي وغيره.
- راجع كتابي "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (١٧٨٣)، وقد يقوم مقامه قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:
- "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين".
- رواه مسلم وغيره. راجع مقدمة كتابي "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (المجلد الأول). بل

فإذا نهى عن رواية الضعيف؛ فبالأحرى أن ينهى عن العمل به.
 هذا، وقد سميت الكتاب: "صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، وقد جعلته على شطرين: أعلى، وأدنى:
أما الأول: فهو كالمتن؛ أوردت فيه متون الأحاديث، أو الجمل اللازمة منها، ووضعتها في أماكنها اللائقة بها، مؤلفاً بين بعضها؛ بحيث يبدو الكتاب منسجماً من أوله إلى آخره، وحرصت على المحافظة على نص الحديث، ولفظه الذي ورد في كتب السنة، وقد يكون له ألفاظ؛ فأوثر منها لفظاً لفائدة التأليف، أو غيره، وقد أضمت إليه غيره من الألفاظ؛ فأنبه على ذلك بقولي: (وفي لفظ: كذا وكذا)، أو: (وفي رواية: كذا وكذا)، ولم أعزها إلى روايتها من الصحابة إلا نادراً، ولا بينت من رواها من أئمة الحديث؛ تسهيلاً للمطالعة والمراجعة.
 وأما الشطر الآخر: فهو كالشرح لما قبله؛ خرّجت فيه الأحاديث الواردة في

يغني عنه قوله ﷺ: «إياكم وكثرة الحديث عني! من قال عليّ؛ فلا يقولن إلا حقاً، أو صدقاً، فمن قال عليّ ما لم أقل؛ فليتبوأ مقعده من النار». أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٧٦٠)، وأحمد وغيرهما. وهو مخرج في "الصحيحه" (١٧٥٣).

الشرط الأعلى، مستقصياً ألفاظه وطرقه، مع الكلام على أسانيدها وشواهداها، تعديلاً وتجريحاً، وتصحيحاً وتضعيفاً؛ حسبما تقتضيه علوم الحديث الشريف، وقواعده، وكثيراً ما يوجد في بعض الطرق من الألفاظ والزيادات ما لا يوجد، في الطرق الأخرى؛ فأضيفها إلى الحديث الوارد في القسم الأعلى إذا أمكن، انسجامها مع أصله، وأشرت إلى ذلك بجعلها بين قوسين مستطيلين هكذا، دون أن أنصّ على من تفرد بها من المخرجين لأصله، هذا إذا كان مصدر الحديث ومخرجه عن صحابي واحد، وإلا؛ جعلته نوعاً آخر مستقلاً بنفسه - كما تراه في أدعية الاستفتاح وغيره -، وهذا شيء عزيز نفيس؛ لا تكاد تجده هكذا في كتاب. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ثم أذكر فيه مذاهب العلماء حول الحديث الذي خرجناه، ودليل كل منهم مع مناقشتها، وبيان ما لها، وما عليها، ثم نستخلص من ذلك الحق الذي أوردناه في القسم الأعلى، وقد أُورِدُ فيه بعض المسائل التي ليس عليها نص في السنة؛ إنما هي من المجتهد فيها، ولا تدخل في موضوع كتابنا هذا.

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواني المؤمنين، إنه سميع مجيب. اهـ من "أصل صفة صلاة النبي ﷺ" (١٨/١).

الشاهد من كلامه قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما كنت لم أقف على كتاب جامع في هذا الموضوع؛ فقد رأيت من الواجب عليّ أن أضع لإخواني المسلمين ممن همُّهم الاقتداء في عبادتهم بهدي نبيهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كتاباً مستوعباً ما أمكن لجميع ما يتعلق بصفة صلاة **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من التكبير إلى التسليم؛ بحيث يُسهَّل على من وقف عليه من المحبين للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حبّاً صادقاً القيام بتحقيق أمره في الحديث المتقدم: «صلوا كما رأيتموني أصلي». (٥٢)

ولهذا فإني شَمَّرت عن ساعد الجدِّ، وتتبع الأَحاديث المتعلقة بما إليه قصدت من مختلف كتب الحديث؛ فكان من ذلك هذا الكتاب الذي بين يديك.

همة شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله في تأليف: رسالة الأربعون الحسان لتنبية الأنام على فضل الاجتماع على الطعام وما تضمنته من الآداب والأحكام.

قال فضيلة الشيخ العلامة يحيى الحجوري حفظه الله: ولقد ألتقيت في رحلة إلى بريطانيا في الدعوة إلى الله التقيت ببعض الدعاة، الدعاة الذي

(٥٢) رواه البخاري في "صحيحه" (٧٢٤٦) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نحسبهم أهل سنة واتباع، واجتمعنا على طعام العشاء فجعل المضيف يعطي كل واحد طعامه في إناء بمفرده على عادة الكفار هناك الرجل وأهل بيته أو أبياته يأكلون متفرقين يجلسون على الطعام عزيز كل واحد منهم في جانب لا يدع الآخر، وهذه عادات مذمومة وتقاليد غريبة مشؤمة درجت على المسلمين هنا وهناك وبدأت بينهم تسري وفي بلادهم تهول وتجري ولما أنكرنا ذلك بذكر أدلة الترغيب في الاجتماع على الطعام حاول بعض الدعاة هداه الله دفع مدلولها زاعماً أن ذلك تشدد في الدين وتضييق على المسلمين فحداني ذلك أن أكتب في هذه المسألة ووقع اختياري بعد استعائتي بالباري أن أجمع في الموضوع أربعين حديثاً عن الرسول الله ﷺ متحرياً بثوبت ما احتج به مع بيان المهم من ألفاظها وذكر بعض فوائدها.

ولست معتمداً على حديث: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله فقيهاً». فإن القول بضعفه شبه اتفاق عند المحدثين لكن رأينا كثيراً من أهل الحديث يولون الأربعينات اهتمامه فيشتي الفنون إما طعماً في الدخول تحت هذا الحديث الضعيف صنيع بعضهم، وإما طلباً للاختصار عند الآخرين كما هو المقصد فأحببت أنا أكون لهم مشاركاً وفي طريقهم على الحق سالكاً وهذا وإن لأشكر الله عزَّ وجلَّ على جميع نعمه التي من أجلها

نعمة طلب العلم الشرعي ومعرفة السنة المطهرة على ידי الوالد الصالح والمعلم الناصح مقبل بن هادي الوادعي أجرى الله أجره وثوبه وجازاه بالحسنى وزيادة كما أشكر الأخ الفاضل أبا سلمة حلم بن حميد البغدادي على تعاونه معي لكتابة هذه الرسالة وسابقتها في أحكام التيمم مع حسن الكتابة والترتيب جزاه الله خيراً والحمد لله أولاً وأخيراً. اهـ من "رسالة الأربعون الحسان لتنبية الأنام على فضل الاجتماع على الطعام وما تضمنته من الآداب والأحكام" (٧-٨).

الشاهد من هذا قوله: ولما أنكرنا ذلك بذكر أدلة الترغيب في الاجتماع على الطعام حاول بعض الدعاة هداه الله دفع مدلولها زاعماً أن ذلك تشدد في الدين وتضييق على المسلمين فحداني ذلك أن أكتب في هذه المسألة ووقع اختياري بعد استعائتي بالباري أن أجمع في الموضوع أربعين حديثاً عن الرسول الله ﷺ متحريراً بثوب ما احتج به مع بيان المهم من ألفاظها وذكر بعض فوائدها.

همة العلامة السعدي رحمه الله في التأليف:

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (ولم يكن يحضر حلقة الشيخ بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ سوى عدد بسيط من كبار طلبته، ومع ذلك صمد الشيخ واستمر في

التعليم والتأليف والإفتاء والخطابة وتدريس العوام دونما انقطاع **رَحْمَةُ اللَّهِ** رحمة واسعة). اهـ من "رحلتي إلى النور" (١/ ١١٧).

وقال ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإذا علم الإنسان وإن بالغ في الجد بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدون له أجره بعد موته: فإن كان له شيء من الدنيا، وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له، أو أن يصنف كتابًا في العلم؛ فإن تصنيف العالم ولده المخلد، وأن يكون عاملًا بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به؛ فذلك الذي لم يمت *** قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أحياء). اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٣٤).

وقال الإمام الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ: (إني لأفرح بالكتاب حين يخرج أعظم من فرحي بالولد). اهـ

وقال ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ: فصل: التصنيف المفيد ومراحل عمر العالم رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأنني أشافه في عمري عددًا من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقًا لا تحصي ما خلقوا بعد، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم.

فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد؛ فإنه ليس كل من صنّف صنّف، وليس المقصود جمع شيء كيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله -عز وجل- عليها من شاء من عباده، ويوفقه لكشفها، فيجمع ما فرق، أو يرتب ما شئت، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد. اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٢٤٠).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

لأنّال بالإنعام ما في نيّتي	***	الله أسأل أن يطّول مدّتي
وهي التي جنت النّحول هي التي	***	لي همّة في العلم ما إنّ مثلها
دُعيت إلى نيل الكمال فلّبت	***	خُلقت من العلق العظيم إلى المنى
حالاته لتشبهت بالجّنة	***	كم كان لي من مجلس لو شُبّهت
عُطلاً وتعدّر ناقّة إن حنّت	***	أشّتاقه لما مضت أيامه
أم هل على وادي منى من نظرة	***	يا هل لليلات بجمع عودة
ومن الحمام مغّنيا في الأيكة	***	قد كان أحلى من تصاريف الصّبا
خلق بغير مخمّر ومبيّت (٥٣)	***	فيه البديّات التي ما نالها

(٥٣) اهـ من "مرويات ابن الجوزي في صيد الخاطر" (١/ ٥١).

همة الإمام الشافعي رحمه الله في البحث:

قال المزني رَحِمَهُ اللهُ: أو الربيع رَحِمَهُ اللهُ: كنا يوماً عند الشافعي رَحِمَهُ اللهُ إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف، وفي يده عكازة، فقام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وسوى عليه ثيابه، وسلم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ ينظر إلى الشيخ هيبة له، إذ قال الشيخ: أسأل؟

قال: سل.

قال: ما الحجة في دين الله؟

قال: كتاب الله.

قال: وماذا؟

قال: سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: وماذا؟

قال: اتفاق الأمة.

قال: من أين قلت: اتفاق الأمة؟

فتدبر الشافعي رَحِمَهُ اللهُ ساعة، فقال الشيخ: قد أجلتك ثلاثاً، فإن جئت بحجة من كتاب الله، وإلا تب إلى الله -تعالى.

فتغير لون الشافعي رَحِمَهُ اللهُ ثم إنه ذهب فلم يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه، ويداه، ورجلاه، وهو مسقام، فجلس، فلم يكنب أسرع من أن جاء الشيخ، فسلم وجلس، فقال: حاجتي.

فقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** [سورة النساء: ١١٥].

قال: فلا يصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض.

فقال: صدقت، وقام فذهب.

فقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقفت عليه). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٠ / ٨٤).



الصفة السابعة والثلاثون: أن يكون متسلحاً بالعلم

فعلى الدعية إلى الله أن يكون متسلحاً بالعلم الشرعي علم الكتاب والسنة ليكون صاحب حجة قوية في معرفة الحق من الباطل والسنة من البدعة والخير من الشر فيدعو على علم وبصير وهدى كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

قال الشافعي رحمه الله: (مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الْفِقْهِ، نَمَا قَدْرُهُ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ، قَوِيَتْ حُجَّتُهُ). اهر من "سير أعلام النبلاء" (٢٤/١٠).

فعلى الداعية إلى الله أن يحرص على العلم والاستزادة منه لكي يكون صاحبة حجة قوية في بيان الحق وبيان الباطل فالداعية إلى الله هو أحوج الناس إلى العلم ويكون ذلك بسؤال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الازدياد من العلم كما

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه». أخرجه الخطيب البغدادي في "تاريخه" (٩ / ١٢٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١ / ٦٧٠).

والعلم من طلبه وجده ونال منه الخير الكثير.

عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَوْتَ قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْصِنَا، قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَقَالَ: «إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». رواه الترمذي في "سننه" (٤ / ٣٨٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٤ / ٣٨٠).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونٍ أُمّهَتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٨].

وما أحسن ما قيل:

تعلم فليس المرء يولد عالماً *** وليس ذو جهل كمن هو عالماً

الصفة الثامنة والثلاثون: أن يكون حريصاً على وقته

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكون حريصاً على وقته غاية الحرص فلا يضيع رأس ماله الذي هو وقته وعمره وله أسوة بسلف الأمة قديماً وحديثاً فقد كانوا أشد حرصاً على أوقاتهم من أموالهم وما يملكون.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (لقد أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد حرصاً منكم على أموالكم). اهـ من "الوقت وأهميته في حياة المسلم" (١/ ٤٣).

وإليك نماذج من حرص العلماء على الوقت:

حرص ابن جوزي رحمه الله على وقته:

كان ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لقد كان حرصه على أوقات عمره شديداً، فلا يضيع وقته من غير فائدة، حتى السويقات التي يضطر فيها لاستقبال زائريه، كان يشغلها بأمور تتعلق بعلومه، يقول في صيد الخاطر الفصل (١٦٤): ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطع الكاغد وברי الأقلام، وحزم الدفاتر؛ فإن هذه الأشياء لا

بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي). اهـ من "صيد الخاطر" (١٣/١).

حرص ابن عقيل رحمه الله على وقته:

كذلك ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ كان يقول: أنا أحب سف الكعك على أكل الخبز؛ لأن سف الكعك لا يأخذ وقتاً، وأكل الخبز أنتظر حتى أقطع وأغمس وغير ذلك، فتذهب الأعمار في الأكل.

ونحن في هذا الوقت نأكل الشورية، ثم الشاي، فما أن ننتهي من الشاي إلا وتأتي الأكلة الثانية.

فهم لم يكونوا يأكلون بكثرة، وإذا أكلوا أكلوا بسرعة، فهو يحب سف الكعك على أكل الخبز؛ لأن الخبز يأخذ وقتاً، والكعك يأخذ ثلاث دقائق تقريباً، فلو وفرت دقيقتين في كل أكلة فأنا آكل مرتين أو ثلاثاً في اليوم، فحوالي ست سبع دقائق في اليوم زيادة، فهذا إنجاز، فأنت حينما تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم ستقولها في ثلاث ثوان أو أربع ثوان، فتكون قد غرست نخلة في الجنة في هذه الثواني، هل لهذه الثانية قيمة أم لا؟ لها قيمة ضخمة جداً، كذلك كلمة: استغفر الله قلتها في ثانيتين، كذلك

قولك: أستغفر الله، أستغفر الله بعد الصلاة في كم تؤديها، واحسب سبحانه الله والحمد لله، والله أكبر (٣٣) مرة لكل منها في كم تكون من الوقت.

فهناك أناس يبخل ويعجز أن يعمل هذه الأشياء، لكن قد يبقى ساعتين وربما أكثر من ذلك أمام المباراة، فيفرغ الأوقات غير محلها.

وابن عقيل يقول عنه الذهبي: إنه استطاع أن يؤلف أكبر مصنف في الدنيا، وهو كتاب (الفنون)، أي: فنون اللغة، وفنون التفسير، وفنون المناظرات، وفنون الكلام، وفنون الفلسفة وغير ذلك، فكل العلوم التي تتخيلها في كتاب الفنون، فهو (٨٠٠) مجلد، وليس فيه أي كلام، بل قرأ كتابه علماء أفذاذ، فقالوا: وقد أتى فيه من الأعاجيب ما لم يأت أحد قبله رحمه الله، ك ابن الجوزي في تعليقه عليه، وك الذهبي في تعليقه عليه، وابن كثير في تعليقه عليه.

وكان ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري. انظر إلى نظرتة إلى الوقت، فالقضية عنده ليست قضية فضل، فهو يرى أن تضيع الوقت حرام، يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح على السرير.

يعني: عندما أستريح من عناء المذاكرة وعناء المطالعة وعناء التدريس والمناظرة، فقبل أن أنام أعمل فكري في مسائل وأنا مستطرح على الفراش، فلا أنهض من الفراش إلا وقد خطر على بالي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجد وأنا في العشرين. هذا كلام ابن عقيل؛ ولهذا عمل كتاب الفنون في (٨٠٠) مجلد.

وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ: (إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا على الفراش، فلا أنهض إلا وخطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرص على العلم وأنا في الثمانين من عمري أشد مما كنت أجد وأنا ابن عشرين سنة، وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، وإن أجل تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة، والأوقات خاطفة). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٣/ ٦١٤).

حرص الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري رحمه الله على وقته:

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري رَحِمَهُ اللهُ: (أحد أذكىء العالم يقول أثقل الساعات على ساعة أكل فيها، فالله أكبر ما أشد الفناء في العلم عنده؟!، وما أوقد الغيرة على الوقت لديه؟!). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآدب" (٣/٦١٩).

حرص شيخ الإسلام رحمه الله على وقته:

قال الإمام أبو المظفر السرمري رَحِمَهُ اللهُ: في المجلس السابع والستين من أماليه في الذكر والحفظ: ومن عجائب ما وقع في الحفظ في أهل زماننا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية فإنه كان يمر بالكتاب فيطالعه مرة فينتقش في ذهنه فيذاكر به، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه، ومن أعجب ما سمعته عنه ما حدثني به بعض أصحابه أنه لما كان صبيًا في بداية أمره أراد والده أن يخرج بأولاده يومًا إلى البستان على سبيل التنزه فقال له يا أحمد رَحِمَهُ اللهُ: تخرج مع إخوتك تستريح فاعتل عليه فألح عليه والده فامتنع أشد الامتناع فقال اشتهي أن تعفيني من الخروج فتركه وخرج بإخوته فظلوا يومهم في البستان ورجعوا آخر النهار.

فقال يا أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ: أوحشت إخوتك اليوم وتكدر عليهم بسبب غيبتك عنهم؛ فما هذا فقال يا سيدي إنني اليوم حفظت هذا الكتاب لكتاب معه فقال حفظته كالمنكر المتعجب من قوله فقال له استعرضه علي فاستعرضه فإذا به قد حفظه جميعه فأخذه وقبله بين عينيه وقال يا بني لا تخبر أحداً بما قد فعلت خوفاً عليه من العين أو كما قال. اهـ من "الرد الوافر" (١/ ١٣٣).

الشاهد من القصة قول شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: يا سيدي إنني اليوم حفظت هذا الكتاب لكتاب معه فقال حفظته كالمنكر المتعجب من قوله فقال له استعرضه علي فاستعرضه فإذا به قد حفظه جميعه فأخذه وقبله بين عينيه وقال يا بني لا تخبر أحداً بما قد فعلت خوفاً عليه من العين أو كما قال. اهـ

حرص بعض العلماء على وقته:

قال العلامة عبد السلام بن برجس رَحْمَةُ اللَّهِ: (وأنا أعرف في زمننا هذا؛ رجلاً خصّص وقت حفظ المتون عندما تستوقفه إشارات المرور، وهو خارج إلى أشغاله!! فحفظ الواسطية والتوحيد والأصول الثلاثة وكشف الشبهات والرحبية والآجرمية وغيرها!!). اهـ من "كتاب التمني" (٣٣).

حرص عبيد بن يعيش رحمه الله على وقته:

قال عبيد بن يعيش رَحِمَهُ اللهُ: (أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآدب" (٣/ ٦٢٠).

حرص جمال الدين القاسمي رحمه الله على وقته:

حرص جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ على وقته: (الإمام جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ عاش قرابة خمسين سنة وألف ما يزيد عن خمسين مؤلفاً وكانت حياته زاخرة بالعلم والدعوة والكفاح، ومع ذلك كان يقول: يا ليت الوقت يباع فأشتريه). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآدب" (٣/ ٦٢٠).

حرص الخطيب البغدادي رحمه الله على وقته:

قال التاج السبكي عن الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: (كان يحاسب نفسه على الأوقات، لا يدع وقتاً يضيع بلا فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآدب" (٣/ ٦٢٢).

حرص الفخر الرازي رحمه الله على وقته:

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ: (إنني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآدب" (٣/ ٦٢٢).

حرص الإمام النووي رحمه الله على وقته:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (وينبغي أن يكون حريصاً على التعليم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً حضراً، وسفراً، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل، ونوم قدرأ لا بد منه، ونحوهما كاستراحة يسيرة لإزالة الملل وشبه ذلك من الضروريات). اهـ من "المجموع شرح المذهب" (١/٦٧).

حرص الإمام الشافعي رحمه الله على وقته:

قال الربيع رَحِمَهُ اللهُ: (لم أر الشافعي أكلاً بنهار ولا نائماً بليل لاهتمامه بالتصنيف). اهـ من "تدريب الراوي" (٢/١٥٣).

حرص الإمام الألباني رحمه الله على الوقت:

تميز الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ بهمة عالية ونادرة في حفظ وقته واستغلاله في طلب العلم، والبحث، والتأليف. فقد كان يعتبر الوقت هو رأس ماله الحقيقي، ويأثر عنه تفاصيل عجيبة في شحّه بدقائق عمره تفادياً للضياع.

إليك أبرز الملامح والمواقف التي تعكس علوّ همته في حرصه على وقته:

أولاً: في دكان الساعات (بداية الطلب) كان الشيخ يعيش من كسب يده في مهنة إصلاح الساعات، ورغم أنها مهنة تتطلب دقة وتركيزاً، إلا أنه طوّعها لخدمة العلم؛ فكان يضع الكتاب أمامه وهو يشتغل في إصلاح الساعة، فإذا

فرغ من ساعة أو وجد دقيقة فراغ، نظر في الكتاب واستفاد. ولم يكن يغلق دكانه إلا ليذهب إلى المكتبة الظاهرية.

ثانيًا: العكوف طويل الساعات في المكتبة الظاهرية تعد المكتبة الظاهرية بدمشق شاهداً تاريخياً على همة الألباني؛ فقد كان يقضي فيها ساعات طوال تصل أحياناً إلى ١٢ ساعة يومياً دون كلل أو ملل.

السلم الخشبي: من أشهر القصص عنه أنه كان يصعد على السلم الخشبي الطويل لتناول المخطوطات، ويبق واقفاً عليه يقرأ ويدوّن الفوائد لعدة ساعات دون أن ينزل، استخساراً للوقت الذي سيضيع في النزول والصعود مجدداً!.

مفتاح المكتبة الخاص: نظراً لجديته وحرصه، خصصت له إدارة المكتبة غرفة خاصة، بل وأعطته نسخة من مفتاح المكتبة ليدخلها مبكراً قبل الموظفين، ويبقى فيها بعد خروجهم.

ثالثاً: استغلال الأوقات البينية والآفات البدنية كان يستغل كل لحظة عارضة؛ فإذا ركب السيارة للتنقل، كان إما يقرأ، أو يُقرئ تلميذاً، أو يستمع لسؤال علمي. وحتى عندما أصيب بضعف في بصره في أواخر عمره وأجرى عمليات جراحية، لم يترك البحث، بل كان يطلب من بعض تلامذته أو زوجته القراءة له ليوجههم هو في التصحيح والتضعيف.

رابعاً: وضع الحدود الصارمة للزيارات والمكالمات لما كثرت عليه الوفود والاتصالات وصارت تقتطع من وقت تأليفه وتخريجه للأحاديث، وضع الشيخ نظاماً دقيقاً لحياته: حدد ساعات معينة ومختصرة جداً للرد على الهاتف، كان يعتذر بلطف وبحسم عن إجابة الدعوات والزيارات التي لا يرى فيها مصلحة علمية راجحة، ويقول ما معناه: "إن وقتي لا يتسع لهذا".

خلاصة القول:

لم يكن حرص الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ على وقته مجرد تنظيم عادي، بل كان "شحاً شديداً" بالزمن، يرى فيه أن كل دقيقة تذهب دون فائدة علمية أو عمل صالح هي خسارة لا تعوض. وبهذه الهمة قدم للأمة الإسلامية عشرات المجلدات والكتب التي غربلت السنة النبوية، ومثل نموذجاً يُحتذى به لطلاب العلم في قيمة الوقت.

من أشهر القصص التي تُروى عن شدة حرص الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ على وقته وحمايته من الضياع في المجاملات والزيارات الودية، هي قصته مع الوفود والزوار الذين كانوا يأتون إليه من بلدان شتى لمجرد السلام عليه أو رؤيته.

إليك تفاصيل هذه القصة والمنهج الذي كان يتبعه:

القصة: "وقتي ليس لي.. وقتي للمسلمين"

كان الشيخ الألباني قد استقر في أواخر عمره في الأردن، ونظرًا لشهرته العلمية الواسعة، كان بيته مقصدًا لطلاب العلم والزوار من كل مكان. في أحد الأيام، طرق الباب رجلٌ أو وفدٌ جاء من بلد بعيد، فلما خرج إليهم الشيخ وعرف أنهم جاؤوا لمجرد السلام عليه ورؤيته (زيارة مجاملة/ تعارف) دون أن يكون لديهم أسئلة علمية محددة أو حاجة شرعية، اعتذر منهم بلطف وحسم، ولم يأذن لهم بالدخول! شعر الزوار ببعض الضيق، وقالوا له ما معناه: "يا شيخنا، لقد جئنا من بلد بعيد مسيرة أيام ونفقات، فقط لنكحل أعيننا برؤيتك والسلام عليك، فكيف تردنا؟" فأجابهم الشيخ الألباني بجواب يزن الذهب، يوضح فلسفته في الحياة: "يا إخواني، أنا أحبكم في الله وأشكر لكم مشاعركم، ولكن لو فتحت بابي لكل من جاء يسلم ويجلس، لضاع وقتي كله في الترحيب والضيافة، ولتوقفت عن البحث والتأليف وتخريج الأحاديث. إن وقتي هذا ليس ملكًا لي وحدي، بل هو ملك للأمة المسلمة وللعلم الذي أشتغل به. فسامحوني، ورؤيتكم لي لن تزيد في علمكم شيئًا، وعدم رؤيتي لكم لن ينقص من علمي شيئًا." ثم ودعهم ودعا لهم، وعاد إلى

مكتبته وطاولته ليكمل تخريج الأحاديث، كيف كان ينظم وقته مع الزوار؟
(منهجه الصارم).

لم يكن الشيخ الألباني جافياً أو غليظاً، بل كان يرى أن "الدقيقة" التي تضع في حديث عابر هي اقتطاع من صحيح حديث أو تضعيف آخر يخدم الأمة؛ لذا وضع قواعد صارمة:

الورقة المعلقة على الباب: في بعض فترات حياته، وضع لوحة أو ورقة على باب بيته يكتب فيها ما معناه: (الشيخ يعتذر عن استقبال الزوار ليتفرغ للبحث العلمي).

اشتراط الأسئلة المكتوبة: كان يشترط على من يريد زيارته لأمر علمي أن يجهز أسئلته محددة ومكتوبة مسبقاً، فإذا دخل دخلوا في العلم مباشرة دون مقدمات أو إضاعة للوقت في القيل والقال.

حسم مكالمات الهاتف: كان يخصص ساعة واحدة فقط في اليوم للهاتف، وإذا اتصل شخص ليسلم فقط أو يطيل في المقدمات، كان الشيخ **يقطعه بأدب ويقول:** "يا أخي اختصر، وراءنا علم، هاتي ما عندك"، فإن لم يكن عنده سؤال علمي، أنهى المكالمة.

رحم الله الإمام الألباني، فقد ضرب بوقفه هذا نموذجاً في فقه الأولويات، وعلمنا أن احترام الوقت هو أول خطوة لإنتاج علمٍ باقٍ تنبهر به الأجيال. اهـ

لقد كان الشيخ رحمه الله حريصاً على الوقت أيما حرص، فقد كان لا يضيع شيئاً من وقته في غير فائدة. فكان **رحمه الله** يقضي ثماني عشرة ساعة في مكتبته، وبين كتبه ومراجعته! ومن نظر في الكم الهائل الذي تركه الشيخ من المصنفات والكتب والمخطوطات، ودروسه العلميّة الكثيرة المسجلة منها والتي بلغ عددها - حسب تسجيلات الأخ الفاضل: محمد أبي ليلي الأثري - ما يقارب الستة آلاف شريط، والتي لم تسجل منها بسبب تنقله بين بعض الأقطار لإحياء الدروس العلميّة والسنة النبوية في الندوات والمحاضرات النافعة، وكان يقضي الشيخ **رحمه الله** وهو في دمشق فضلاً عن مهنته (تصليح الساعات) ودروسه العلميّة ومحاضراته، في المكتبة الظاهريّة كل يوم ما بين ست ساعات وثمان ساعات.

كان **رحمه الله** يعتمر ويحج كل عام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأحياناً يعتمر في السنة الواحدة مرتين، وقد حج أكثر من ثلاثين حجة، وكانت آخر حجّة له عام ١٤١٠هـ.

كان يبكي كلما ساق حديث رسول الله ﷺ «أول من تسعر بهم النار...»، (٥٤) ولقد رآه رجل ذات مرة - وهو جالس في السيارة - فاندفع نحوه: وقال له أنت الشيخ الألباني رحمه الله؟ فما كان من الشيخ إلا أن بكى!!

(٥٤) وإليك الحديث بتمامه: قال الإمام مسلم رحمه الله: في «صحيحه» (١٩٠٥). حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

ولما سئل عن سبب بكائه؟ قال: ينبغي للمرء أن يجاهد نفسه، وأن لا يغتر بإشارة الناس إليه. اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (١/١٢٦٢).

حرص أبو حاتم الرازي رحمه الله على وقته:

هذا أبو حاتم الرازي من علماء المسلمين المشهورين رَحِمَهُ اللهُ كان من علماء التفسير وعلماء الحديث وكتب وألف مجلدات في فنون شتى، يحكي ابنه عبد الرحمن عنه فيقول: ربما كان يأكل وأقرأ عليه وقت الأكل، وذلك من حرصه على الوقت فهو يأمر ابنه أن يقرأ عليه وهو يأكل، فيسمع علماً فلا يذهب وقت الأكل عليه، ثم يقول ابنه: ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، والقراءة على من في الخلاء لا داعي أن تفعلوها ليست مهمة، دعونا نحرص على الوقت الآخر، لكن كان يعمل هكذا.

وكذلك جدّ ابن تيمية كان يفعل ذلك أيضاً، كان إذا دخل الخلاء أمر أحد أولاده أن يقرأ عليه من خارج الخلاء؛ لأنه لا يستطيع أن يدخل معه الكتب الخلاء، فحتى لا يذهب الوقت يأمر أحد أولاده بأن يقرأ عليه وهو في الخلاء.

كذلك الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ قل أن يمشي في الطريق دون أن يحفظ شيئاً
من كتب العلم أو من القرآن الكريم، كان يستغل الوقت وهو يمشي في
الطريق رَحِمَهُ اللهُ. اهـ من "كتاب كيف تصبح عالماً" (١ / ٧).

الصفة التاسعة والثلاثون: أن يهتم بتعليم الناس العقيدة والتوحيد

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يحرص غاية الحرص على تعليم الناس التوحيد والعقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة ويحذرهم من بقية العقائد الفاسدة مثل عقيدة الرافضة والصوفية وعقيدة أصحاب الأهواء والبدع والتحزبات.

فيا أيها الداعية إلى الله احرص على تعليم الناس التوحيد والعقيدة الصحيحة وها أنا أدلك على بعض هذه الكتب التي فيها بيان التوحيد والعقيدة ما يلي:

في جانب التوحيد:

كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

كتاب التوحيد والأصول الثلاثة والقواعد الأربع والأصول الستة وكشف الشبهات ونواقض الإسلام كل هذه الكتب لا غنى عنها في بيان التوحيد والتحذير من الشرك وما يدخل فيه من الأمور الشركية والاعتقادات الباطلة. وإليك همة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي في تدريس كتاب التوحيد بعض الناس يفرح ويضطرب ويحزن إذا رأى كثرة الزنا وشراب الخمر وبينما لا يتأثر وهو يرى كثرة من يتمسحون بأعتاب القبور ويصرفون لها أنواع العبادات مع أن الزنى وشرب الخمر معاص كبار لكنها لا تخرج من ملة الإسلام بينما صرف شيء من العبادة لغير الله هو شرك يموت به الإنسان كافراً.

ولذا كان العلماء الربانيون رَحِمَهُمُ اللَّهُ يجعلون تدريس العقيدة أصل الأصول.
كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ألف كتاب التوحيد
وأخذ يشرحه لطلابه، ويعيد ويكرر مسأله عليهم.
فقال له طلابه يوماً: يا شيخ نريد أن تغير لنا الدرس إلى مواضيع أخرى.
قصص سيرة تاريخ.

قال الشيخ: سننظر في ذلك إن شاء الله، ثم خرج إليهم من الغد مهموماً
مفكراً، فسأله عن سبب حزنه فقال: سمعت أن رجلاً في قرية مجاورة سكن

بيتاً جديداً وخاف من تعرض الجن له فذبح ديكاً عند عتبة باب البيت تقريباً إلى الجن ولقد أرسلت من يتثبت لي من هذا الأمر.

فلم يتأثر الطلاب كثيراً وإنما دعوا لذاك الرجل بالهداية وسكتوا.

وفي الغد لقيهم الشيخ فقال تثبتنا من خبر البارحة فإذا الأمر على خلاف ما نقل إليّ فإن الرجل لم يذبح ديكاً تقريباً إلى الجن ولكنه زنا بأمه فثار الطلاب وانفعلوا وسبوا وأكثروا وقالوا لا بد من الإنكار عليه ومناصحته، وعقوبته، وكثر هرجهم ومرجهم.

فقال الشيخ: ما أعجب أمركم تنكرون هذا الإنكار على من وقع في كبيرة من الكبائر وهي لم تخرجه من الإسلام.

ولا تنكرون على من وقع في الشرك وذبح لغير الله وصرف العبادة لغير الله..

فسكت الطلاب فأشار الشيخ إلى أحدهم وقال قم ناولنا كتاب التوحيد

نشرحه من جديد. اهـ من "موسوعة البحوث والمقالات العلمية" (١٦).

وأما كتب العقيدة فهي كثيرة:

وأفضلها وأسهلها للفهم كتب شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ:** وكتب ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**

حتى قال العلامة ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ: إذا أردت العقيدة السليمة فعليك

بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**. اهـ من "تفسير سورة الأنعام" (١٣٩).

مثل: كتاب العقيدة والواسطية وكتاب اللامية

وهكذا كتاب العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز فهو يعتبر أفضل شرح

لها وغيره من الكتب.

الصفة الأربعون: أن يكون مصلحاً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يسعى للإصلاح بين الناس عند حصول الخلافات والنزاعات لينال من وراء ذلك الأجور العظيمة.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [سورة النساء: ١٢٨].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٠].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال: ١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ وَصَلَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَخُلِّيَ حَسَنٌ». **رواه البخاري** في «تاريخه» (١٣٩)، وحسنه **الإمام الألباني رحمه الله** في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٢/٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ». **رواه أبو داود** في «سننه» (٤٩١٩)، وحسنه **الإمام الألباني رحمه الله** في «السلسلة الصحيحة» (٢٩١/٦).

قلت: والمقصود بالصلاة هي صلاة النافلة كما نص العلماء على ذلك:

فإصلاح ذات البين درجة أعظم من درجة الصلاة ودرجة الصيام ودرجة الصدقة، كأنه يقصد النافلة، فأفضل من أن تصلي نافلة تصلح بين الناس، وأفضل من أن تصوم نافلة تصلح بين الناس، فهو لا يقصد الفريضة، فالصلاة عظيمة جداً، ولكن صلاة النافلة عبادة قاصرة، فإذا خيرت بين أن تصلي

النافلة أو تصلح بين الناس، فإن الحديث يخبرك أنك إذا أصلحت بين فلان وفلان فهو أعظم من صلاة النافلة التي تصلحها.

إن إصلاح ذات البين ترفع درجاتك، فأنت عندما تصلح بين اثنين كأنك وجهت الاثنين إلى أن يصلوا بخشوع، ويصوما بإخلاص، وأخذت منهم شواغل الشيطان.

هنا الحديث أطلق وقال: (الصلاة)، وما قال نافلة ولا فريضة؟ نقول: قد يكون إصلاح ذات البين أفضل من صلاة الفريضة، لو فرضنا أن إنساناً أراد أن يصلي الظهر، ورأى اثنين خارج المسجد، كل منهما يحمل سكيناً على صاحبه ليقترله، فهنا لا يصلي بل يخلصهما مع قدرته على ذلك بدلاً من أن يسقط واحد منهما قتيلاً، حتى لو خرج وقت الصلاة وأنت تمنع جريمة قتل تقع بين هؤلاء فتصلح يكون خيراً لك، والصلاة تدرك، أما الموت فلا يدرك، فلذلك قد يكون في حالة من الأحوال أفضل من صلاة الفريضة، وصلاة الفريضة قد تجمع مع غيرها في السفر، وقد تجمع مع غيرها في علة المطر، وقد تجمع مع غيرها في علة من العلل. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٤/ ٢٨٠)، للشيخ أحمد حطية.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٢٨].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].



الصفة الحادية والأربعون: أن لا يكون حسوداً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يظهر قلبه من الحسد فالحسد مرض عضال وخلق ذميم والابتعاد منه مطلب شرعي فمن أراد السلامة لنفسه ولغيره فليبتعد عن الحسد.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: الحسد خلق ذميم، ومع الأسف أنه أكثر من يوجد بين العلماء وطلبة العلم، ويوجد بين التجار فيحسد بعضهم البعض، وكل ذي مهنة يحسد من شاركه فيها، لكن مع الأسف أنه بين العلماء أشد وبين طلبة العلم أشد مع أنه كان الأولى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق.

وأنت يا أخي إذا رأيت الله قد أنعم على عبده نعمة ما فاسع أن تكون مثله ولا تكره من أنعم الله عليه فقل: اللهم زده من فضلك وأعطني أفضل منه، والحسد لا يغير شيئاً من الحال لكنه كما ذكرنا آنفاً فيه هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة، ولعل من تأمل وجد أكثر والله المستعان. اهـ من "كتاب العلم" (٥٤).

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: (اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وإفساد للدين حتى لقد أمر الله بالاستعاذة من شره، **فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق: ٥]. اهـ من "أدب الدنيا والدين" (١/ ٢٦٩).

وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ اللهُ: (إنَّ الله جمع الشرور في هذه الآية (٥٥)

وختمها بالحسد ليعلم أنه أخصّ الطبائع). اهـ من "الكشف البيان" (١٠ / ٣٤٠).

والحسد: هو تمنى زوال النعمة عن الغير كنعمة العلم، والدعوة، والمال

وغير ذلك **قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ:** (الحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا

عند رؤية زوال النعمة عَنْ أخيه). اهـ من "روضة العقلاء" (١ / ١٣٣).

وهو مرض من أمراض القلوب وقل من يخلص ويسلم منه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (الْحَسَدُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ وَهُوَ مَرَضٌ

غَالِبٌ فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَلِهَذَا يُقَالُ مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ

حَسَدٍ لَكِنَّ اللَّئِيمَ يَبِيدُهُ وَالكَرِيمُ يَخْفِيهِ). اهـ من "أمراض القلوب وشفائها" (١ / ٢١).

(٥٥) وهي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق: ٥].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». متفق عليه. (خ ٦٠٦٥ - م ٢٥٥٨).

قلت: وقوله: «ولا تحاسدوا» فالمقصود به هنا هو الحسد المذموم الذي يفسد من اتصف به، ويجعله يقع في مفاسد كثيرة.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن في الحسد مفاسد كثيرة:

منها: أنه تشبه باليهود أخبث عباد الله وأخس عباد الله، الذين جعل الله منهم القردة، والخنازير، وعبد الطاغوت.

ومنها: أن فيه دليلاً على خبث نفس الحاسد، وأنه لا يحب لإخوانه ما يحب لنفسه؛ لأن من أحب لإخوانه ما يحب لنفسه، لم يحسد الناس على شيء؛ بل يفرح إذا أنعم الله عليه غيره بنعمة ويقول: اللهم آتني مثلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ [سورة النساء: ٣٢].

ومنها: أن فيه اعتراضاً على قدر الله عز وجل وقضائه، وإلا فمن الذي أنعم على هذا الرجل؟ الله **عَزَّجَلَّ** فإذا كرهت ذلك، فقد كرهت قضاء الله وقدره، ومعلوم أن الإنسان إذا كره قضاء الله وقدره؛ فإنه على خطر في دينه نسأل الله العافية؛ لأنه يريد أن يزاحم ربّ الأرباب جلّ وعلا في تدبيره وتقديره.

ومن مفساد الحسد: أنه كلما أنعم الله على عباده نعمة؛ التهبت نار الحسد في قلبه فصار دائماً في حسده، وفي غمٍّ، لأن نعم الله على العباد لا تحصى، وهو رجلٌ خبيث كلما أنعم الله على عبده نعمة على ذلك الحسد في قلبه حتى يحرقه.

ومن مفساد الحسد: أنه يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب». (٥٦)

(٥٦) هذا الحديث ضعيف: رواه عبد بن حميد في "المنتخب من المسند" (١٥٣-١٥٤)،

والبخاري في "تاريخه" (١-٢٧٢)، وغيرهما.

ورواه ابن ماجه في "سننه" (٤٢١٠) من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في سننه: عيسى بن عيسى الحنط مترك،

وقد ضعف هذا الحديث الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الضعيفة" (٣٧٥/٤).

ومن مفسده: أنه يعرقل الإنسان على السعي في الأشياء النافعة؛ لأنه دائماً يفكر، ويكون في غم؛ كيف جاء هذا الرجل مالاً؟ كيف جاء علم؟ كيف جاء ولد؟ كيف جاء زوجة وما أشبه ذلك، فتجده دائماً منحسراً منطوياً على نفسه، ليس له هم إلا تتبع نعم الله على العباد، واغتمامه بها، نسأل الله العافية.

ومن مفسد الحسد: أنه يُنبئ عن نفس شريرة ضيقة، لا تحب الخير، وإنما هي نفس أنانية تريد أن يكون كل شيء لها.

ومن مفسد الحسد أيضاً: أنه لا يمكن أن يغير شيء مما قضاه الله عز وجلّ أبداً، مهما عملت، ومهما كرهت، ومهما سعيت لإخوانك في إزالة نعم الله عليهم، فإنك لا تستطيع شيئاً.

ومن مفسده: أنه ربما يتدرج بالإنسان إلى أن يصل إلى درجة الذي يحسد الناس؛ لأن العائن نفسه شريرة، حاسدة حاقدة، فإذا رأى ما يعجبه انطلق من هذه النفس الخبيثة مثل السهم حتى يصيب بالعين، فالإنسان إذا حسد، وصار فيه نوع من الحسد، فإنه يترقى به الأمر حتى يكون من أهل العيون الذين يؤذون الناس بأعينهم، ولا شك أن العائن عليه من الوبال، والنقمة بقدر ما ضرّ العباد إن ضرهم بأموالهم فعليه من ذلك إثم أو بأبدانهم أو بمجتمعهم، ولهذا ذهب كثير من أهل العلم إلى تضمين العائن كل ما أتلف، يعني إذا عان

أحداً، وأتلف شيئاً من ماله أو أولاده أو غيرهم، فإنه يضمن، كما أنهم قالوا: إن من اشتهر بذلك، فإنه يجب أن يُحبس إلا أن يتوب، يحبس اتقاء شره، لأنه يؤذي الناس، ويضرهم فيحبس كفاً لشره.

ومن مفساد الحسد: أنه يؤدي إلى تفرق المسلمين؛ لأن الحاسد مكروه عند الناس مبغض، والإنسان الطيب القلب الذي يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، تجده محبوباً من الناس، الكل يحبه، ولهذا دائماً نقول: والله فلان هذا طيب ما في قلبه حسد، وفلان رجلٌ خبيثٌ حسود، وحقود، وما أشبه ذلك.

فهذه عشر مفساد كلها في الحسد، وبهذا نعرف حكمة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **حيث قال:** «لا تحاسدوا». أي لا يحسد بعضكم بعضاً، فإن قال قائل: ربما يجد الإنسان في نفسه إنه يحب أن يتقدم على غيره في الخير، فهل هذا من الحسد؟ فالجواب: أن ذلك ليس من الحسد؛ بل هذا من التنافس في الخيرات، **قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِمَثَلٍ هَذَا فَلَیَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾** [سورة الصافات: ٦١].

فإذا أحب الإنسان أن يتقدم على غيره في الخير، فهذا ليس من الحسد في شيء الحسد أن يكره الخير لغيره.

واعلم أن للحسد علامات: منها أن الحاسد يحب دائماً أن يخفي فضائل غيره، فإذا كان إنسان ذا مال، ينفق ماله في الخير من صدقات، وبناء مساجد،

وإصلاح طرق، وشراء كتب يوقفها على طلبة العلم، وغير ذلك فتجد هذا الرجل الحسود إذا تحدث الناس على هذا المحسن يسكت، وكأنه لم يسمع شيئاً، هذا لا شك أن عنده حسداً؛ لأن الذي يحب الخير يحب نشر الخير للغير، فإذا رأيت الرجل إذا تكلم عن أهل الخير بإنصاف، وأثنى عليهم وقال: هذا فيه خير، وهذا محسن، هذا كريم، فهذا يدل على طيب قلبه وسلامته من الحسد. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الحسد، ومن منكرات الأخلاق والأعمال. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٧٦).

وجاء عن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٤١٢)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١/ ٤).

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد يتساءل بعض القراء الألباء، فيقول: ما الذي يحمل هؤلاء الجهلة على الرد على الألباني، وقد وضع الله له القبول في الأرض بإذنه تعالى، وانتفع بكتبه، ومؤلفاته من شاء الله من العلماء وطلاب العلم؟

فأقول: هناك أسباب أهمها أو من أهمها الحسد، مصداق قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ

هي: الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين». (٥٧) اه من
 "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٤ / ١).

وجاء عن **ضمرة بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا
 يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا». **رواه الطبراني** في "المعجم الكبير" (٧١٥٨)،
 وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٣٥١١ / ٧).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن طاهر رَحِمَهُ اللَّهُ: وسمعت أصحابنا بهراة يقولون:
 لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد،
 ورؤسائه، ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان،
 ونحن على عزم أن نخرج، ونسلم عليه فأحبينا أن نبدأ بالسلام عليك،
 وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً، وجعلوه
 في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا، وقام إلى خلوته، ودخلوا على
 السلطان، واستغاثوا من الأنصاري، وأنه مجسم، وأنه يترك في محرابه صنماً
 يزعم أن الله على صورته إن بعث الآن السلطان يجده فعظم ذلك على

(٥٧) **رواه أحمد في "مسنده"** (١٤١٢)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الأحاديث

الصحيحة" (٤ / ١)، من حديث **الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

السلطان، وبعث غلاماً، ومعه جماعة فدخلوا الدار، وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم، ورجع الغلام بالصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري. فأتى فرأى الصنم، والعلماء، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال السلطان له: ما هذا؟ قال: هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك؟ قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا، وأنت تقول: إن الله على صورته.

فقال الأنصاري بصولة وصوت جهوري: سبحانك هذا بهتان عظيم، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به، فأخرج إلى داره مكرماً، وقال لهم: اصدقوني، وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامّة، فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم، ونكل بكل واحد منهم، وصادرهم وأهانهم. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٨ / ٥١٣).

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه القصة أن أبا إسماعيل الهروي على ما فيه من التصوف المبتدع كان رأساً في السنة، فجعل الناس لا يلتفتون إلى علماء عصره، فأراد الفقهاء ذات مرة أن يشينوه). اهـ من شريط: "فيما انتقد على شيخ الإسلام ابن تيمية".

الشاهد من القصة: أن السلطان قال لهم: اصدقوني، وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامّة، فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم، ووكل بكل واحد منهم، وصادرهم، وأهانهم.

قلت: والذي حملهم على ذلك هو الحسد الذي حصل منهم فأرادوا تشويه لأن الناس أحبوه، والتفوا حوله، وهكذا كل من كان في قلبه حسد يسعى دائماً لتشويه الصالحين، وأهل الخير إذا رأى الناس قد أحبوهم والتفوا حولهم.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْحَاكِمُ: حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ شاذِلٍ يَقُولُ: لَمَّا وَقَعَ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، وَالبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ دَخَلْتُ عَلَى البُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَيُّسَ الحِيلَةُ لَنَا فيما بينك، وبين محمد بن يحيى كُلُّ مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ يُطْرَدُ فَقَالَ: (كَمْ يَعْتَرِي مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الحَسَدُ فِي العِلْمِ، وَالعِلْمُ رِزْقُ اللهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٠/١١٣).

قلت: فهذا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: لم يسلم من الحسد من قبل شيخه الذي تعلم عنده، فشيخ البخاري رَحِمَهُ اللهُ هو محمد بن يحيى الدهري رَحِمَهُ اللهُ امتلاً قلبه حسداً على البخاري رَحِمَهُ اللهُ وكان يُحرض عليه الناس، ويحاربه

كل ذلك بسبب الحسد، فهذا هو الحسد المذموم بعينه، **ورحم الله الإمام**

مسلم بن الحجاج إذا يقول عن شيخه **الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ**.

(لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ). اهـ من "البداية والنهاية" (١٤ / ٥٣١).

قلت: ومعلوم أن الحاسد لا يهنئ له عيش إلا بزوال النعمة عن غيره الذي يحسده.

وما أحسن ما قاله مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْضِيَهُ إِلَّا

حَاسِدٌ نِعْمَةٌ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيَهُ إِلَّا زَوَالُهَا). اهـ من "البداية والنهاية" (١١ / ٤٤٧).

قلت: وما من إنسان أنعم الله عليه بنعمة إذا وجد له حاسد، وهذا أمر

مشاهد نجده ونلاحظه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا بُدَّ لِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ حَاسِدٍ، وَلِكُلِّ حَقٍّ مِنْ جَاحِدٍ

ومعاند). اهـ من "مفتاح دار السعادة" (١ / ٤٧).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ لَهَا

حَاسِداً). اهـ من "أدب الدنيا والدين" (١ / ٢٧١).

وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند

رؤية زوال النعمة عن أخيه). اهـ من "روضة العقلاء" (١ / ١٣٣).

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال بعض البلغاء رَحِمَهُ اللَّهُ:** (الناس حاسد

ومحسود، ولكل نعمة حسود). اهـ من "أدب الدنيا والدين" (٢٦٩).

قلت: فعلى ذلك ينبغي للإنسان أن يخفي ما أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من النعم إن خشي أن يحسد عليها، لأنه لا ينبغي للحُساد أن يطلعوا على النعم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: أَعْظَمُ النِّعْمَةِ الإِقْبَالُ وَالتَّعَبُّدُ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ حَاسِدٌ عَلَى قَدْرِهَا دَقَّتْ أَوْ جَلَّتْ، وَلَا نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَإِنَّ أَنْفُسَ الْحَاسِدِينَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَا، وَلَيْسَ لِلْمَحْسُودِ أَسْلَمٌ مِنْ إِخْفَاءِ نِعْمَتِهِ عَنِ الْحَاسِدِ.

وَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [سورة يوسف: ٥].

وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ قَلْبٍ وَجَمْعِيَّةٍ وَحَالٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ تَحَدَّثَ بِهَا وَأَخْبَرَ بِهَا فَسَلَبَهُ إِيَّاهَا الْأَغْيَارُ؛ وَلِهَذَا يُوصِي الْعَارِفُونَ وَالشُّيُوخُ بِحِفْظِ السِّرِّ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ. اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٨/١٥).



الصفة الثانية والأربعون: أن لا يكون حقودا

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يطهر قلبه من الحقد فالحقد خصلة ذميمة من اتصف بها حرم من الخيرات والبركات فلا ينبغي الاتصاف بهذه الصفة لما فيها من الأضرار فمن أضرار الحقد ما يلي:

- (١): الحقد يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في غمّ وحزن.
- (٢): الحقد مرض عضال من أمراض القلب، يخشى معه أن يتسرّب الإيمان من هذا القلب المريض.
- (٣): الأحقاد نزع من عمل الشيطان لا يستجيب له إلا من خفت أحلامهم وطاشت عقولهم.
- (٤): الحقد مصدر للعديد من الرذائل مثل الحسد والافتراء والبهتان والغيبة.
- (٥): في الحقد دليل على غباء صاحبه ووضاعته لأنّه ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة لا تتجاوز شهواته الخاصّة.

(٦): الحقد يغضب الربَّ عزَّ وجلَّ ويؤدِّي بصاحبه إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

(٧): الحاقد قلق النفس دائماً لا يهدأ له بال طالماً رأى نعمة الله يسعد بها سواه.

(٨): الحاقد ساقط الهمة، ضعيف النفس، واهن العزم، كليل اليد.

(٩): الحاقد رجل مضلل ضائع، مخطيء في تقديره فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها ويتبع بالغيظ من نال منها حظاً أوفر.

(١٠): الحاقد جاهل بربه وبسننه في هذا الكون، لأنَّ الله حكماً قد لا تظهر في التو واللحظة، وقد يكون ما ظنَّه الحاقد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرد ابتلاء واختبار تجلب على صاحبها من العناء ما لا يطيقه الحاقد الذي يتمناها.

(١١): الحقد يظهر عيوب الإنسان ويكشف عن الداء الدفين فيه.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

لما عفوت ولم أحقد على أحد	***	أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته	***	لأدفع الشرَّ عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	***	كأنما قد حشا قلبي محبات
الناس داء دواء الناس قربهم	***	وفي اعتزالهم قطع المودات (٥٨)

الصفة الثالثة والأربعون: أن لا يكون معجبا بنفسه

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون معجباً بنفسه مهما بلغ من الجهد والاجتهاد في العلم والعبادة والطاعة فلا شيء يفسد العمل مثل العجب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا شيء أفسد للأعمال من العُجْب ورؤية النفس).

اهـ من "الفوائد" (١٥٧).

فعلى الداعية أن يحافظ على أعماله مما يبطلها والعُجْب من أعظم الأشياء التي تبطل العمل وتُفسده فليس الشأن أن يعلم الإنسان أعمالاً كثيرة وهو لا يحفظها مما يبطلها: **قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ** (فليس الشأن الإتيان بالطاعة انما الشأن في حفظها مما يبطلها). اهـ من "عدة الصابرين" (٥٢).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ لِي أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ: «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ، وَيَدَّابُّونَ يَعْنِي يُعْجِبُونَ النَّاسَ، وَتَعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». **رواه أحمد**

في "مسنده" (١٢٩٧٢)، وهو في "الصحيح المسند" **للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ** (١ / ٧٧).

الشاهد من الحديث قوله: «وَتَعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ». أي: أنهم يُعجبون بأنفسهم، وأعمالهم، ويفتخرون بها فيخشى عليهم فساد أعمالهم بسبب هذا العجب.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لو لم تكونوا تذنّبون لخشيت عليكم ما هو أكثر من ذلك، العُجْبُ العُجْبُ». **رواه الخرائطي** في «مساوئ الأخلاق» (٥٦٨)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في «السلسلة الصحيحة» (٧٤٠ / ٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». **رواه البزار** في «مسنده» (٦٤٩١)، واللفظ له، والبيهقي، وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده، وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨ / ١).

وقال ابن عبدوس رَحِمَهُ اللَّهُ: (كلما توقر العالم وارتفع كان العُجْبُ إلى صاحبه أسرع إلا من عصمه الله بتوفيقه، ونزع حب الرياسة عن نفسه). اهـ من «جامع بيان العلم وفضله» (٥٦٦ / ١).

وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أخوف ما أخاف عليكم أن تهلكوا فيه ثلاث خلال: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه). اهـ من "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٥٦٨).

وقال سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة وذلك أنه يعمل الحسنة، فتكون نصب عينه، ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينه، فيستغفر الله، ويتوب إليه منها). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (١/ ١٨٦).

وجاء عن ضمضم بن جوس رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال لي أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا يمامي، لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً، قلت: يا أبا هريرة، إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه، وصاحبه إذا غضب قال: فلا تقلها، فإني سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كان في بني إسرائيل رجلان، كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفاً على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا، أقصر. فيقول: خلني وربّي، أبعثت عليّ رقيباً؟» قال: «إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك، أقصر قال: خلني وربّي، أبعثت عليّ رقيباً»، قال: «فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً قال

أحدهما، قال: فبعث الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحهما، واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت بي عالماً، أكنت على ما في يدي قادراً، اذهبوا به إلى النار». قال: فوالذي نفس أبي القاسم بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٨٩٢)، و**أبو داود** في "سننه" (٤٩٠١)، وسنده حسن، وهو في "الصحيح المسند" (٣٣٣/٢) للإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللهُ**.

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ: آفة الشباب المسلم في العصر الحاضر هو أنهم لمجرد أن يشعروا بأنهم عرفوا شيئاً من العلم لم يكونوا من قبل على علم به رفعوا رؤوسهم! وظنوا أنهم أحاطوا بكل شيء علماً! فتسلط عليهم الغرور والعُجب! ونخشى أن يشملهم قول الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه». (٥٩) اهـ من "سلسلة الهدى والنور" (٨٦١).

(٥٩) **رواه البزار** في "مسنده" (٦٤٩١)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (١٢/١) من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه، إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة». متفق عليه. (خ ٥٧٨٩ - م ٢٠٨٨).

قلت: وكم وجدنا والله من بعض طلاب العلم ممن قد أعجبوا بعلمهم، وذكائهم، وصاروا يتكلمون على منهم أعلم منهم كل ذلك بسبب العُجْبُ فعلى من كل هذا حاله أن يعرف قدره حتى وإن كان عنده ذكاء وعلم، فلا يتناول على غيره، ولا يحتقر الآخرين الذي هم دونه في جانب العلم، إنما يجب عليه أن يعرف قدره.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (على طالب العلم أن يكون متأدباً بالتواضع، وعدم الإعجاب بالنفس، وأن يعرف قدر نفسه). اهـ من "كتاب العلم" (٩٠).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: (من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه فَإِنْ أعجب بفضائله فليفتش مَا فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ). اهـ من "الأخلاق والسير" (١/٦٦).

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَأَنْ أَبَيْتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبَيْتَ قَائِمًا وَأَصْبَحَ مُعْجَبًا). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٤/١٩٠).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (لَا أَفْلَحَ، وَاللَّهُ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ، أَوْ أَعْجَبَتْهُ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٤/١٩٠).

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا عليكم أن لا تعجبوا لعمل رجل حتى تعلموا بما يَخْتَم له به، فقد يعمل الرجل برهة من دهره أو زماناً من عمره عملاً سيئاً، لو مات عليه مات على شر، فيتحول إلى عمل صالح، فيختم له به، وقد يعمل العبد برهة من دهره أو زماناً من عمره عملاً صالحاً، لو مات عليه مات على خير، فيتحول إلى عمل سيئ، فيختم له به). قال: وقد رفعه حميد مرة، ثم كف عنه. **رواه أحمد** في "مسنده" (١٣٣٣٣)، وإسناده صحيح.

وقال المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ، يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلِيًّا». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٣٨١٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٣٧٤ / ٤).

الشاهد من الحديث قوله: «لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ».

وقال فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إليّ من الدنيا وما فيها)؛ لأن الله يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧]. اهـ من "الاخلاص لأبن أبي الدنيا" (١/ ٩٤).

وجاء عن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال جاء سائل إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال لابنه: أعطه ديناراً، فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه (فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إليّ من الموت أتدري ممن يتقبل إنما يتقبل الله من المتقين). اهـ من "صفة الصفوة" (١/ ٩١٢).

وقال الليث ابن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا رأيت الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب، والسنة). اهـ من "تفسيره" (١/ ٢٣٣).



الصفة الرابعة والأربعون: أن لا يكون متبعاً لهواه

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن لا يكون متبعاً لهواه بل يكون متبعاً للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾** [سورة الأعراف: ٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (اتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد، فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصداً وطول الأمل ينسي الآخرة، ويصد عن الاستعداد لها). اهـ من "الفوائد" (٩٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصَّلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المُسْتَعَان). اهـ من "الفوائد" (١١٢).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ**

تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ
الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو رجل من بني إسرائيل يقال
له، بلعم بن باعوراء. اهـ من "تفسيره" (١١٧/٤).

قلت: وهذه التسمية لم تثبت؛ فهذه التسمية من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها.
قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه
آتاه من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب
بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن
الذي يسلم من هاتين الخليتين إلا من عصمه الله). اهـ من "تفسيره" (٣٠٤/٣).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه داود عليه السلام: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٣].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٣].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٨].

وعن أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ، شَهَوَاتِ الْغِي فِي بَطُونِكُمْ، وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضْلَاتِ الْهَوَى». رواه أحمد في "مسنده" (١٩٧٨٧)، وهو حديث صحيح في "صحيح الترغيب والترهيب" (١٢ / ١).

الشاهد من الحديث قوله: «ومضلات الهوى».

قلت: فاتباع الهوى يجعل الإنسان يصد عن الحق، وينحرف الإنسان بسببه عن الحق، والهدى.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنْ أَخَوْفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: طَوْلُ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيَنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى

فيصد عن الحق ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل، ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل). **رواه عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الزهد والرقائق والآداب" (١/ ٨٦)، **رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيحه" معلقاً (٨/ ٨٩).

فعليك أيها الداعية: اتباع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وعدم اتباع الهوى والاستعاذة منه.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣].

وعن قطبة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء». **رواه الترمذي** في "سننه" (٣٥٩١)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح الترمذي" (٨/ ٩١)، وهو في "الصحيح المسند" (٢/ ١٤٢) **للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به». **رواه ابن أبي عاصم** في "السنة" (١٥)، وفي سنده نعيم بن حماد، وهو ضعيف، **قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ** وتصحيح هذا الحديث بعيد جداً. اهـ "جامع العلوم والحكم" (٢/ ٣٩٤).

قلت: والحديث له شواهد يثبت بها.

قال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله: والظاهر أن ثبوت الحديث غير بعيد لما له من الشواهد، وربنا تعالى يقول: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمِّي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري في "صحيحه" (٧٢٨٠).

قلت: وعلى فرض ضعف هذا الحديث الذي ضعفه ابن رجب رحمه الله وغيره من أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ إلا أن معناه صحيح؛ قال العلامة الفوزان حفظه الله: وهذا الحديث في إسناده مقال - لكن معناه صحيح قطعاً، وإن لم يصح

إسناده وله شواهد من القرآن كقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

لا يؤمن أحدكم: أي: لا يحصل له الإيمان الواجب، ولا يكون من أهله. هوأه: أي: ما يهواه، وتحبه نفسه، وتميل إليه.

تبعاً لما جئت به: فيحب ما أمر به الرسول ﷺ ويكره ما نهى عنه. **المعنى الإجمالي للحديث:** أن الإنسان لا يكون مؤمناً بالإيمان الكامل الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه. اهـ من "الملخص في شرح كتاب التوحيد" (٣٠٨).

وقيل لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك هوأك). اهـ من "الكامل في اللغة والأدب" (١٢٤/١).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الجهاد أفضل؟ قال: «أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك، وهوأك في ذات الله عز وجل».

رواه أبو نعيم في "الحلية" (٢/٢٤٩)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٣/٤٨٣).

الصفة الخامسة والأربعون: أن لا يكون نماما

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتعد غاية البعد عن النيمة أو ما يسبب له الوقوع فيها أو مجالسة من هذه صفته وما لذلك إلا لقبحها ومفاسدها.

وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم هذا بيانها وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل

الشرعية من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠)

هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [سورة القلم: ١٠-١١].

وفي الصحيحين: (خ ٦٠٥٦ - م ١٠٥)، أن رسول الله ﷺ قال: «لا

يدخل الجنة نمام». (٦٠)

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال: «إنهما ليعذبان

وما يعذبان في كبير، أما إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما

(٦٠) متفق عليه. (٦٠٥٦ خ - م ١٠٥)، وهذا لفظ مسلم من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الآخر فكان يمشي بالنميمة». ثم أخذ جريدة رطبة فشققها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة وقال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا». **متفق عليه.** (خ ٢١٨ - م ٢٩٢).
وقوله: «وما يعذبان في كبير» أي: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «بلى إنه كبير».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة». **متفق عليه.** (خ ٦٠٥٨ - م ٢٥٢٦).
ومعنى: «من كان ذا لسانين» أي: يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.

إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها وسواء كان من الأقوال أو الأعمال وسواء كان عيباً أو غيره فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية). اهـ.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يدخل الجنة قتات». متفق عليه. (خ ٦٠٥٦ - م ١٠٥).

وفي رواية لمسلم: (١٠٥): «نمام»، وفي رواية: «قساس».

قلت: ومعنى: «قتات» و«قساس» أي: نمام.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». رواه مسلم في «صحيحه» (٢٨١٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت». قال الأعمش: (أراه قال: «فيلتزمه»). رواه مسلم في «صحيحه» (٢٨١٣).

وعن عبد الرحمن بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «خيار عباد الله الذين إذا رُءُوا، ذكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت». رواه أحمد في «مسنده» (١٧٩٩٨).

وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الذين إذا رؤوا، ذكر الله تعالى»، ثم قال: «ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت». رواه أحمد في "مسنده" (٢٧٥٩٨)، فهو حديث حسن بشواهده.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس منا من خيب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده). رواه أبو داود في "سننه" (٢١٧٥)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٤٤٩٣/٢٣٩٢).

قوله: ليس منا: قال العلامة العباد حفظه الله: يدل على تحريمه، وأنه من الأمور المحرمة، وأن من يفعل ذلك فقد عرض نفسه لأن يكون من أهل هذا الوصف، لكن لا يعني ذلك أنه ليس من المسلمين، بل هو مسلم، ولكنه ليس على المنهج الصحيح وعلى الطريق الصحيح، بل هو عاصٍ ومخالف. اهد من "شرح سنن أبي داود" (٣/٢٥٠).

قال العلامة العباد حفظه الله: والتخيب هو إفساد المرأة على زوجها، بأن يسعى إلى أن يفسد ما في قلبها حتى يكون الفراق، ولهذا قدمه في أول

الطلاق؛ لأن من أسباب الطلاق تخيب المرأة على زوجها حتى تتمرد عليه وتسعى إلى التخلص منه بسبب هذا الإفساد. اهد من "شرح سنن أبي داود" (٣/٢٥٠).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ حكاية: (روي أن رجلاً رأى غلاماً يباع وهو ينادي عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب، واشتراه، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجته سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال: أنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام فخذي موسى واحلقي شعرات من تحت لحيته، واتركي الشعرات معك فقالت في نفسها: نعم واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ثم جاء إلى زوجها وقال: سيدي إن سيدي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً، ومحباً غيرك، ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده، فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة، فقتلوه فوق القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤوم، فلذلك سمي الله النمام فاسقاً في قوله تعالى:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا
فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦]. اهـ من "كتاب الكبائر" (١٤٦).

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (يفسد المنام والكذاب في ساعة ما لا
يفسد الساحر في سنة، والنميمة من أنواع السحر، لأنها تشارك السحر في
التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور). اهـ من "فصل
الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٥٠٣ / ٩).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [سورة القلم: ١١].
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ، وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُمْ
وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيِّنِ وَهِيَ الْحَالِقَةُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ
حَدِيثِ مُجَاهِدٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا
فَكَانَ لَا يَسْتَرِي مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». الْحَدِيثُ.
وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، بِهِ. اهـ من تفسيره (٨ /
١٩١). "صحيح البخاري" برقم (٢١٨)، "صحيح مسلم" برقم (٢٩٢)، "سنن أبي

داود“ برقم (٢٠)، “سنن الترمذي“ برقم (٧٠)، “سنن النسائي“ (٢٨ / ١)، “سنن ابن ماجة“ برقم (٣٤٧).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «من نم لك نم عليك». اهـ من “سير أعلام النبلاء“ (٨ / ٢٨٠).

ما ينبغي لمن حُمِلت إليه النميمة:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: (وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يُصدّق، لأن النمام فاسق.

الثاني: أن ينهأه عن ذلك، وينصحه، ويقبح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بغض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس، والبحث عن ذلك.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميته عنه فيقول: فلان حكي كذا، فيصير به نماماً، ويكون آتيا ما نهى عنه). اهـ من

”فضل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب“ (٩ / ٥٠٣).



الصفة السادسة والأربعون: أن لا يكون مغتاباً

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يحفظ لسانه عن الغيبة أو ما يسبب له الوقوع في الغيبة فإن الغيبة خصلة ذميمة فعلى الداعية إلى الله أن ينزه نفسه عن الغيبة فلا يذكر غيره إلا بالخير والكلام الطيب الحسن الذي يؤجر عليه: قال رسول الله ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة». (٦١)

ولا يذكر غيره بما يكره فإن ذلك عين الغيبة: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته». رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٨٩).

(٦١) متفق عليه. (خ ١٣٠٩ - م ١٠٠٩).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾** [سورة الحجرات: ١٢].

وقال العلامة ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا قال في الثالثة: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾**. ثم قال تعالى: **﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾؟** الجواب: لا؛ لا يحب، بل يكره، ولهذا قال: **﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** [سورة الحجرات: ١٢].

قال بعض المفسرين رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إذا كان يوم القيامة، فإنه يؤتي بالرجل الذي اغتابه الشخص، يمثل له بصورة إنسان ميت، ثم يقال له: كل من لحمه، ويكره على ذلك، وهو يكرهه، لكن يكره على هذا عقوبة له، والعياذ بالله. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١٢١/٢).

سؤال: قد يقول قائل ما هي الحكمة من النهي عن الغيبة وما مناسبة ذلك؟
الجواب: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا قال قائل: ما هي مناسبة الغيبة لهذا المثل؟ قلنا: لأن الذي تغتابه غائب لا يمكن أن يدافع عن نفسه، كالميت إذا قطعت لحمه لا يمكن أن يقوم ليدافع عن نفسه، ولهذا إذا ذكرت

أخاك بما يكره في حال وجوده فإن ذلك لا يسمى غيبة فإن بل يسمى سباً
وشتماً. اهد من "شرح رياض الصالحين" (١٠٩ / ٦).

وأما من جانب النساء فما أكثر الغيبة في أوساطهن:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من
كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقته، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي
في النار» قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقته،
وصلاتها، وإنها تصدق بالآثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال:
«هي في الجنة». **رواه البخاري** في "الأدب المفرد" (١١٩)، وحسنه **الإمام الألباني**
رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٣٦٩ / ١).

قوله: "آثوار أقط"، الآثوار: جمع ثور: وهي القطعة من الأقط، والأقط -
بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة
وكسرها-: لبن جامد مستحجر.

الشاهد من الحديث قوله: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة
صلاتها، وصيامها، وصدقته، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار».
وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالت: قلت للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: حسبك من صفية
كذا وكذا، قال غير مسدد تعني قصيرة، فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء

البحر لمزجته قالت: وحكى له إنساناً فقال: ما أحب أنى حكيت إنساناً
 وأن لى كذا وكذا». رواه أبو داود فى "سننه" (٤٨٧٥)، وحسنه الإمام الألبانى رَحْمَةُ اللَّهِ
 "صحيح الترغيب والترهيب" (٥٠ / ٣).

سؤال: هل الغيبة محرمة مطلقاً؟

الجواب: قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ:

القدح لى بغية فى ستة *** متظلم ومعرف ومحذر
 ومجاهر بالفسق ثمت سائل *** ومن استعان على إزالة منكر

ونظمتها فى قولى:

يباح اغتياى للفتى إن تجاهراً *** بفسقٍ وللتعريف أو للتظلم
وقال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: اعلم أن الغيبة وإن كانت محرمة فإنها تُباح فى
 أحوال للمصلحة.

والمُجَوِّزُ لها غرض صحيح شرعى لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو
 أحد ستة أسباب:

الأوّل: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضى وغيرهما
 ممن له ولاية أو له قدرة على إنصافه من ظالمه، فيذكر أن فلاناً ظلمنى،
 وفعل بى كذا، وأخذ لى كذا، ونحو ذلك.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعملُ كذا فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي: ظلمني، أبي أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك، أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم عني؟ ونحو ذلك.

وكذلك قوله: زوجتي تفعلُ معي كذا، أو زوجي يفعلُ كذا، ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط أن يقول: ما تقولُ في رجل كان من أمره كذا، أو في زوج أو زوجة تفعلُ كذا، ونحو ذلك، فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز، لحديث هند الذي سنذكره إن شاء الله تعالى، وقولها: «يا رسول الله، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيح». (٦٢) الحديث، ولم ينهها رسولُ الله ﷺ.

الرابع: تحذير المسلمين من الشرِّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

(٦٢) متفق عليه. (خ ٧١٨٠ - م ١٧١٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

منها: جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: ما استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته بغير ذلك، وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة، فإن حصل الغرض بمجرد قولك لا تصلح لك معاملته، أو مصاهرته، أو لا تفعل هذا، أو نحو ذلك، لم تجز الزيادة بذكر المساوي وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه فذكره بصريحه.

ومنها: إذا رأيت من يشتري عبداً يعرف بالسرقة أو الزنا أو الشرب أو غيرها، فعليك أن تبين ذلك للمشتري إن لم يكن عالماً به، ولا يختص بذلك، بل كل من علم بالسلعة المبيعة عيباً وجب عليه بيانه للمشتري إذا لم يعلمه.

ومنها: إذا رأيت متفهماً يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم خفت أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله، ويشتري أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، أو يلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة وشفقة، فليتفطن لذلك.

ومنها: أن لا يكون له، ولا لاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً أو مغفلاً ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك

لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويؤلي من يصلح أو يعلم ذلك منه لتعامله بمقتضة حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مُجَاهراً بنفسه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، أو مصادرة لناس، وأخذ المُكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجَاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب: كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، والأفطس، وغيرهم، جاز تعريفه بذلك بنية التعريف، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء مما تُباح بها الغيبة على ما ذكرناه.

وممن نصّ عليها هكذا الإمام أبو حامد الغزالي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الإحياء" وآخرون من العلماء **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**، ودلائلها ظاهرة من الأحاديث الصحيحة المشهورة، وأكثر هذه الأسباب مجمع على جواز الغيبة بها، رويها في "صحيح البخاري ومسلم" ^(٦٣) **عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أن رجلاً استأذن على

(٦٣) متفق عليه. (خ ٦٠٣٢ - م ٢٥٩١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: «اُذْنُوا لَهُ بِسْ أَخُو الْعَشِيرَةِ». احتج به البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** على جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرِّيب.

ورويانا في "صحيح البخاري ومسلم" **عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قسم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قسمةً، فقال رجلٌ من الأنصار: والله ما أرادَ محمدٌ بهذا وجهَ الله تعالى، فأتيتُ رسولَ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأخبرته، فتغيَّر وجهُه وقال: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبِرَ»، ^(٦٤) وفي بعض رواياته: «قال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فقلتُ لا أرفعُ إليه بعد هذا حديثاً».

قلتُ: احتج به البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في إخبار الرجل أخاه بما يُقال فيه.

رويانا في "صحيح البخاري" ^(٦٥) **عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا» قال الليث بن سعد أحد الرواة: كانا رجلين من المنافقين.

ورويانا في "صحيح البخاري ومسلم" ^(٦٦) **عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: خرجنا مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سفر، فأصابَ الناسَ فيه شدةٌ، فقال

(٦٤) متفق عليه. (خ ٣١٥٠-م ١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٦٥) رواه البخاري في "صحيحه" (٦٠٦٧).

عبدُ الله بن أبي: لا تُنفقوا على مَنْ عند رسول الله ﷺ حتى يَنْفُضُوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ منها الْأَذْلَ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١].

وفي الصحيح ^(٦٧) حديث **هند امرأة أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وقولها للنبي ﷺ: "إن أبا سفيان رجل شحيح... إلى آخره. وحديث **فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وقول النبي ﷺ لها: «أما معاوية فُصْعَلُوكُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ». ^(٦٨) اهـ من "الأذكار" (٣٤٠/١).

سؤال: ما هي الكيفية الصحيحة للتحلل من الغيبة؟

الجواب: هذا فيه تفصيل على حالتين:

(٦٦) متفق عليه. (خ ٤٩٠٠-م ٢٧٧٢).

(٦٧) تقدم تخريجه.

(٦٨) رواه مسلم في "صحيحه" (م ١٤٨٠) من حديث **فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

الحالة الأولى: إن كان هذا الشخص قد علم أنك اغتبتة فيجب عليك أن تتحلل منه بطلب العفو أو المسامحة: بدليل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه». **رواه البخاري** في «صحيحه» (٢٤٤٩).

الشاهد من الحديث قوله: فليتحلله منه اليوم، أي: فليطلب منه المسامحة والعفو، وهو مازال حياً لأنه إذا لم يتحلل منه اليوم ومات، فإن هذا الذي اغتبتة سيأخذ من حسناتك بدليل قوله: قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه، فعلينا جميعاً أن نبادر ونسارع إلى كل من اغتبناه ونطلب منه التحلل والمسامحة.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوساً عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام رجل، فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تخلّل»، قال: وما أتخلّل يا رسول الله، أكلت لحم؟ قال:

«إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ». رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٩٢)، وحسنه الإمام

الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٣٧).

الشاهد من الحديث قوله: «تَخَلَّلْ» قال: وما أَتَخَلَّلَ يا رسول الله،

أَكَلْتُ لَحْمًا؟ قال: «إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ».

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: حُكِيَ قَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ رَجُلًا مَقْطُوعَ الْيَدِ مِنْ

الْكَتِفِ وَهُوَ يُنَادِي مَنْ رَأَىي فَلَا يَظْلَمُنِ أَحَدًا فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَخِي مَا

قَصَّكَ قَالَ يَا أَخِي قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ مِنْ أَعْوَانِ الظَّالِمَةِ فَرَأَيْتُ يَوْمًا

صَيَادًا وَقَدْ اصْطَادَ سَمَكَةً كَبِيرَةً فَأَعْجَبْتَنِي فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ أَعْطِنِي هَذِهِ

السَّمَكَةَ فَقَالَ لَا أُعْطِيكَهَا أَنَا أَخَذَ بِشِمَنِهَا قُوًّا لِعِيَالِي فَضْرَبْتَهُ وَأَخَذْتُهَا مِنْهُ

قَهْرًا وَمَضَيْتُ بِهَا قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِهَا حَامِلَهَا إِذْ عَضْتُ عَلَى إِبْهَامِي عِضَةً

قَوِيَّةً فَلَمَّا جِئْتُ بِهَا إِلَى بَيْتِي وَأَلْقَيْتَهَا مِنْ يَدَيَّ ضَرَبَتْ عَلَى إِبْهَامِي وَأَلْمَتْنِي

أَلَمًا شَدِيدًا حَتَّى لَمْ أُنَمْ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْعِ وَالْأَلَمِ وَوَرَمَتْ يَدَيَّ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ

أَتَيْتُ الطَّبِيبَ وَشَكَوْتُ إِلَيْهِ الْأَلَمَ فَقَالَ هَذِهِ بَدْءُ الْآكَلَةِ أَقْطَعُهَا وَإِلَّا تَقْطَعْ يَدَكَ

فَقَطَعْتُ إِبْهَامِي ثُمَّ ضَرَبْتُ عَلَى يَدَيَّ فَلَمْ أَطِقِ النَّوْمَ وَلَا الْقَرَارَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ

فَقِيلَ لِي اقْطَعْ كَفَّكَ فَقَطَعْتَهُ وَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إِلَى السَّاعِدِ وَالْمَنْبِي أَلَمًا شَدِيدًا وَلَمْ

أَطِقِ الْقَرَارَ وَجَعَلْتُ أَسْتَغِيثُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ فَقِيلَ لِي اقْطَعُهَا إِلَى الْمَرْفَقِ

فقطعتها فانتشر الأَلمُ إِلَى العَضُدِ وَضربت على عضدي أَشد من الأَلمِ الأول
فَقيل اقْطَعْ يدك من كتفك وَإِلَّا سُرِي إِلَيَّ جسدك كُلُّه فقطعتها فَقَالَ لي بعض
النَّاس مَا سَبَبُ أَلَمِكَ فَذَكَرت قصَّة السَّمَكَةِ فَقَالَ لي لَوْ كُنت رَجَعْتَ فِي أول
مَا أَصَابَكَ الأَلمُ إِلَيَّ صَاحِبُ السَّمَكَةِ وَاسْتَحَلَّتْ مِنْهُ وَأَرْضِيته لَمَا قَطَعْتَ مِنْ
أَعْضَائِكَ عَضُوًّا فَادْهَبْ الْآنَ إِلَيْهِ وَاطْلُب رِضَاهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الأَلمُ إِلَيَّ بِدَنِكَ
قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُهُ فِي البَلَدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ فَوَقَعْتُ عَلَى رِجْلَيْهِ أَقْبَلَهَا وَأَبْكِي
وَقُلْتُ لَهُ يَا سَيِّدِي سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا عَفَوْتَ عَنِّي فَقَالَ لي وَمَنْ أَنْتِ قُلْتُ أَنَا
الَّذِي أَخَذْتُ مِنْكَ السَّمَكَةَ غَضَبًا وَذَكَرت مَا جَرَى وَأَرَيْتُهُ يَدِي فَبَكَى حِينَ
رَأَاهَا ثُمَّ قَالَ يَا أَخِي قَدْ أَحْلَلْتُكَ مِنْهَا لَمَا قَدْ رَأَيْتُهُ بِكَ مِنْ هَذَا البَلَاءِ فَقُلْتُ يَا
سَيِّدِي بِاللَّهِ هَلْ كُنتِ قَدْ دَعَوْتَ عَلَيَّ لَمَا أَخَذْتُهَا قَالَ نَعَمْ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا
تَقْوَى عَلَيَّ بِقُوَّتِهِ عَلَى ضَعْفِي عَلَى مَا رَزَقْتَنِي ظُلْمًا فَأَرِنِي قُدْرَتَكَ فِيهِ فَقُلْتُ يَا
سَيِّدِي قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ فِيَّ وَأَنَا تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُنتِ عَلَيْكَ مِنْ
خِدْمَةِ الظُّلْمَةِ وَلَا عُدْتَ أَقْفَ لَهُمْ عَلَى بَابٍ وَلَا أَكُونُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ مَا دُمْتُ
حَيًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ من "الكبائر" (١١٣).

الشاهد من القصة: (فَقَالَ لي بعض النَّاسِ مَا سَبَبُ أَلَمِكَ فَذَكَرت قصَّة
السَّمَكَةِ فَقَالَ لي لَوْ كُنتِ رَجَعْتَ فِي أول مَا أَصَابَكَ الأَلمُ إِلَيَّ صَاحِبُ

السَّمَكَةَ واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهَبْ الآنَ إِلَيْهِ واطلب رِضاهُ قبل أن يصل الأَلَمُ إِلَيَّ بدنك).

الحالة الثانية: وإذا لم يعلم أنك قد اغتبهت فعليك أن تستغفر له، وتدعو له، وتذكره بالخير في الأماكن التي اغتبهت فيها وتكثر من ذلك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما إذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل: من شرط توبته إعلامه وقيل: لا يشترط ذلك، وهذا قول الأكثرين، وهما روايتان عن أحمد لكن قوله مثل هذا أ يفعل منع المظلوم حسنات كالدعاء، والاستغفار، وعمل صالح يهدي يقوم مقام اغتيابه، وقذفه).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبهت). اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٨ / ١٨٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: يُذكر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبهت، تقول: «اللهم اغفر لنا وله». ^(٦٩) ذكره البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الدعوات الكبير، وقال: في سنده ضعف.

(٦٩) وقد ذكره الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٤ / ٢٨)، وقال إسناده ضعيف مظلم.

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ هما روايتان عن الإمام أحمد،

وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بد من إعلامه وتحلله؟ والصحيح أنه لا يحتاج إلى علمه، بل يكفي الاستغفار له، وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

وهذا اختيار شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(٧٠) وغيره^(٧١) والذين قالوا:

لا بد من إعلامه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينما ظاهر، فإن في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلّمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدّق بها، وأما في الغيبة، فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع، فإنه يؤرّض صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمي به، ولعله ينتج عداوته، ولا يصف له أبداً، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم لا يبحه ولا يجوز، فضلاً عن أن يوجهه ويأمر به ومدار الشريعة على تعطيل

(٧٠) كما في "مجموع الفتاوى" (٣/٢٩١) و(١٨/١٨٩)، "الصارم المسلول" (٣/٦١٦-٩١٧-٩١٨).

(٧١) كما في "فتاوى ابن الصلاح" (١/١٩٠-١٩٢)، "تفسير القرطبي" (١٦/٣٣٧) "سبل

السلام" (٤/٢٠٣)، "غذاء الألباب" (١/١١٤، ٢/٥٧٦-٥٧٧).

المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكملتها والله تعالى أعلم. اهـ من "الوابل الصيب" (١٤٢).

سؤال: ما صحة قول القائل: لا غيبة لفاسق؟

الجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **مَسْأَلَةٌ:** قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا غِيْبَةَ لِفَاسِقٍ»، وَمَا حَدُّ الْفِسْقِ؟ وَرَجُلٌ شَاجَرَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا شَارِبُ خَمْرٍ، أَوْ جَلِيسٌ فِي الشُّرْبِ أَوْ أَكَلَ حَرَامٍ، أَوْ حَاضِرُ الرَّقْصِ أَوْ السَّمَاعِ لِلدَّفِّ أَوْ الشَّبَابَةِ، فَهَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ إِثْمٌ؟

الْجَوَابُ: أَمَّا الْحَدِيثُ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ أَتَرَعْبُونَ عَنْ ذَلِكَ الْفَاجِرِ؟ أَذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ يَحْذَرُهُ النَّاسُ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيْبَةَ لَهُ»، وَهَذَانِ النَّوْعَانِ يَجُوزُ فِيهِمَا الْغِيْبَةُ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، **أَحَدُهُمَا:** (٧٢) أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ مِثْلَ: الظُّلْمِ، وَالْفَوَاحِشِ، وَالْبِدْعِ الْمُخَالِفَةِ السُّنَّةِ، فَإِذَا أَظْهَرَ الْمُنْكَرَ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ

(٧٢) هذا الحديث ضعيف جداً، وقد ضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٥٢ / ٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" (٤٩).

وَفِي الْمُسْنَدِ (٧٣) (١٦)، وَالسُّنَنِ (٧٤) (٣٠٥٧): عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَتَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ، فَمَنْ أَظْهَرَ الْمُنْكَرَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ، وَأَنْ يُهَجَرَ وَيُذَمَّ عَلَى ذَلِكَ». أَهْمَنَ "مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى" (٢١٩/١٨).

سؤال: ما هي الطريقة الصحيحة للتخلص من الغيبة؟

الجواب: قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ: سَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: نَذَرْتُ أَنِّي كَلَّمَا اغْتَبْتُ إِنْسَانًا أَنْ

(٧٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" (١٦)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٧٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي "سُنَنِ" (٤٣٣٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي "سُنَنِ" (٢١٦٨)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي "سُنَنِ"

(٤٠٠٥)، وَحَسَنُهُ الْإِمَامُ الْأَبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ" (٤/٨٨).

أَصُومَ يَوْمًا فَأَجْهَدَنِي فَكُنْتُ أَغْتَابُ وَأَصُومُ، فَنَوَيْتُ أَنِّي كُلَّمَا اغْتَبْتُ إِنْسَانًا
أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ فَمِنْ حُبِّ الدَّرَاهِمِ تَرَكْتُ الْغَيْبَةَ.

قُلْتُ: هَكَذَا وَاللَّهِ كَانَ الْعُلَمَاءُ، وَهَذَا هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ النَّافِعِ. اهد من "سير أعلام" (١٥ / ٨).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (مُنْذُ عَقَلْتُ أَنَّ
الْغَيْبَةَ حَرَامٌ مَا اغْتَبْتُ أَحَدًا قَطُّ). اهد من "سير أعلام النبلاء" (١٠٤ / ٨).

وَقَالَ النُّوْي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَرَوَيْنَا عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (لَوْ كُنْتُ
مُغْتَابًا أَحَدًا لَا غَيْبْتُ وَالِدِي لِأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي). اهد من "الأذكار" (٣٤٠ / ١).

الصفة السابعة والأربعون: أن يكون ذاكرًا لله كثيرًا في سائر أحواله

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون ذاكرًا لربه في ليله ونهاره وسائر أوقاته وله بذلك أسوة بنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على كل أحيانه مما يدل على محبته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** للذكر **قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»**. رواه مسلم في "صحيحه" (٣٧٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَكُونُ مُعْظَمُ الْمَقْصُودِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى مُتَطَهِّرًا وَمُحَدِّثًا وَجُنُبًا وَقَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمَاشِيًا). اهد من "شرح مسلم" (٤/٦٨).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقْصِرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمُسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ». رواه النسائي في "سننه" (١٤١٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح النسائي" (١٤١٤).

الشاهد من الحديث قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِرُ الذِّكْرَ».

وقد أمرنا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن نذكره كثيراً مما يدل على أهمية الذكر وفضله.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤١].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَلْتَيْنِ وَالْقَلَتَيْنِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [سورة آل عمران: ١].

همة السلف في جانب استغلال أوقاتهم في ذكر الله:

همة شيخ الإسلام رحمه الله في جانب ذكر الله تعالى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلاماً قريباً من هذا).

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاماً هذا معناه). اهـ من "الوابل الصيب" (٤٢).

همة ابن القيم رحمه الله في جانب ذكر الله تعالى:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ جَلَسَ مَكَانَهُ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ وَيَقُولُ هَذِهِ غَدُوتِي لَوْ لَمْ أَقْعِدْهَا سَقَطَتْ قَوَائِي وَكَانَ يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْفَقْرِ يَنَالُ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ وَكَانَ يَقُولُ لَا بُدَّ

للسالك من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه وَكَانَ مَغْرَى بِجَمْعِ الْكُتُبِ
فَحَصَلَ مِنْهَا مَا لَا يَحْصُرُ حَتَّى كَانَ أَوْلَادُهُ يَبِيعُونَ مِنْهَا بَعْدَ مَوْتِهِ دَهْرًا طَوِيلًا
سِوَى مَا اصْطَفَوْهُ مِنْهَا لِأَنْفُسِهِمْ). اهـ من "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" (١٣٨ / ٥).

وكان خالد بن سعدان الكلاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان يسبح كل يوم أربعين ألف
تسبيحة وهو صائم). اهـ من "البداية والنهاية" (٢٣٠ / ٩).

الصفة الثامنة والأربعون: أن يكون تواباً رجاعاً إلى الله تعالى

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون تواباً رجاعاً إلى ربه مستغفراً من ذنبه
فلا يخلوا العبد من الذنب والتقصير فإن حصل من ذنب أسرع إلى التوبة منه
قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾** [سورة النور: ٣١].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ
تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [سورة التحریم: ٨].

وله بذلك أسوة بنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان كثير التوبة والاستغفار
والرجوع إلى ربه تعالى وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

**عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي
لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»**. رواه البخاري في "صحيحه" (٦٣٠٧).

وَعَنِ الْأَعْرَضِيِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٧٠٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». **رواه أبو داود** في "سننه" (١٥١٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (٢/١).



الصفة التاسعة والأربعون: أن يكون صاحب هيئة طيبة في جانب الملبس والطيب

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون صاحب هيئة حسنة في ملبسه ومظهره وطيبه وريحه وله بذلك أسوة حسنة بنينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد كان يلبس أفضل الثياب ويتطيب بأفضل الطيب.

فعلى الداعية أن يلبس أفضل ما عنده من الثياب وخصوصاً عند ملاقة الناس وفي المناسبات مثل الأعياد ونحوها وأفضل ما يلبسه الداعية القميص فقد كان أحب الثياب إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** القميص.

قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَمِيصَ». رواه أبو داود في "سننه" (٤٠٢٥)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح أبي داود" (٤٠٢٥).

قال العلامة العباد حفظه الله: والقميص: هو ما يجعل على سائر الجسد، ويغطي به الجسد كله دون الرأس والرقبة، ويكون له جيب يظهر منه الرأس،

وكمان تخرج منهما اليدان، وهو أحسن اللباس وخيره؛ لأنه أكمل في الستر من غيره، بخلاف الإزار فإنه قد ينحَلَّ وتنكشف العورة، وأما القميص فهو محمول على الكتفين، ولا مجال لسقوطه كما هو الحال بالنسبة للإزار، وقد جاء النهي في الحجج عن لبس القميص والعمائم والسراويلات، أما في غير الحجج فهو أحسن اللباس؛ لما فيه من تمام ستر الجسد، والبعد عن انكشاف العورة.

أورد أبو داود حديث (٧٥) أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان أحب الثياب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القميص» والسبب في ذلك ما أشرت إليه من أنه كامل الستر، وأنه لا يكون معه انحلال كما يحصل من الإزار. اهـ من «شرح سنن أبي داود» (٢٤ / ٤٥١).

فعلى الداعية أن يكون لباسه المفضل القميص تأسيًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد حث على لبسه، **فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفُّوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». **رواه الترمذي** في «سننه» (٩٩٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترمذي» (٩٩٤).

وفي لباس الثياب الجميلة إظهاراً لنعمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على العبد ويؤجر العبد على ذلك ولا يعد هذا من الكبر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ لَبَسَ جَمِيلَ الثِّيَابِ إِظْهَارًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ وَاسْتِعَانَةً عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ كَانَ مَأْجُورًا). اهـ من "مجموع فتاواه" (١٣٨/٢٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرٌ الْحَقُّ، وَغَمَطُ النَّاسِ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٩١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبَّ إِلَيَّ الْجَمَالَ، وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى، حَتَّى مَا أَحَبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ، إِمَّا قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلِي، وَإِمَّا قَالَ: بِشِسْعِ نَعْلِي، أَفَمِنْ الْكِبَرِ ذَلِكَ؟ قَالَ «لَا، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقُّ، وَغَمَطَ النَّاسَ».

رواه أبو داود في "سننه" (٤٠٩٢)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح أبي داود" (٤٠٩٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ الْكِبَرِ أَنْ أَلْبَسَ الْحُلَّةَ الْحَسَنَةَ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ». **رواه الحاكم** في

"مستدركه" (٧٠)، وهو في "الصحيح المسند" للإمام **الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ** (١/٦٢٩).

وأما في جانب الطيب والرائحة الطيبة فعلى الداعية أن يكون له نصيب من ذلك فيكون صاحب رائحة طيبة وله بذلك أسوة حسنة بالنبي ﷺ.

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا شَمَمْتُ عَبْرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًَا، وَلَا شَيْئًا أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيْبًا جَا، وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٣٣٠).

وقال ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ، وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ. **رواه البخاري** في "صحيحه" (٥٩٢٩) **والترمذي** في "سننه" (٢٧٨٩)، وهذا لفظه وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٧٨٩).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ سَكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤١٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (٤١٦٢).

قال العلامة العباد حفظه الله: والمراد بالسكة: وعاء طيب يكون فيه طيب يتطيب منه.

والمقصود من ذلك أن منهجه ﷺ كان استعمال الطيب. اهد من "شرح سنن أبي داود" (١٢ / ٤٦٧).

وقال العلامة العباد حفظه الله: (كون الإنسان يتطيب ويستعمل الطيب، والرسول ﷺ كان يُحِبُّ الطيب، وكان يتطيب، وكان صلوات الله وسلامه وبركاته عليه دائماً طيب الرائحة). اهـ من "شرح سنن أبي داود" (١٢ / ٤٦٧).

ومن باب الفائدة: أن طيب الرجل وريحه يكون ظاهراً في رائحته خفياً في لونه بخلاف طيب المرأة.

فقد جاء عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «إن خير طيب الرجل، ما ظهر ريحه وخفي لونه، وخير طيب النساء، ما ظهر لونه وخفي ريحه». رواه الترمذي في "سننه" (٢٧٨٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٧٨٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه». رواه الترمذي في "سننه" (٢٧٨٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢ / ١٢٦٤).

الصفة الخمسون: أن لا يجالس إلا الصالحين

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يختار الجلساء الصالحين ويجالسهم ففي مجالسة الصالحين النفع العظيم.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة». متفق عليه. (خ ٢١٠١-٢٦٢٨م).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (ففي هذا الحديث دليل على فضيلة مجالسة الصالحين، وأن الجليس الصالح ربما يعم الله سبحانه وتعالى بجليسه رحمته، وإن لم يكن مثله لأن الله قال: قد غفرت لهذا مع أنه ما جاء من أجل الذكر والدعاء لكنه جاء لحاجة، وقال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم). اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٥/ ٥٣٢).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المشي مع أهل السنة، والجلوس معهم بحمد الله يعتبر علاجاً من كثيرٍ من الأمراض). اهـ من "قمع المعاند" (١ / ٣٦).
وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٨٣٢)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٣ / ٩٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «الرجُل على دين خَلِيلِهِ، فليُنظر أحدُكم من يُخالِلُ». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٨٣٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢ / ٥٩٧)، وهو في "الصحيح المسند" (٢ / ٣١٦) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم إنه يجب أن نعلم أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يبتلي العبد فتارة ييسره لأخلاء صدق يدعونه للخير يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر، ويعينونه على ما يعجز عنه، وتارة يبتلي بقوم خلاف ذلك ولهذا جاء في الحديث: «المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل» ^(٧٦)، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مثل المجلس الصالح كحامل المسك، إما أن

(٧٦) **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٨٣٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢ / ٥٩٧).

يبعك أي يبيع مسكاً، وإما أن يحذيك أي: يعطيك مجاناص، وإما أن تجد منه رائحة طيبة أما الجلوس السوء والعياذ بالله؛ فإنه كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك بما يتطاير عليك من شرر النار، وإما أن تجد منه رائحة كريهة». (٧٧) اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١٧/٤).

وقال سعيد بن شبيب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «كان أبي قديراً، وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان». اهـ من "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي" (٦٧/١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (مُجَالَسَةُ الْعَارِفِ تَدْعُوكَ مِنْ سِتٍّ إِلَى سِتٍّ: مِنَ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَمِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنَ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَاضُّعِ، وَمِنَ سُوءِ الطَّوَيَّةِ إِلَى النَّصِيحَةِ). اهـ من "مدارج السالكين" (٣٢٢/٣).

وقال أبو الأحوص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا عليك أن تصحب إلا من أعانك على ذكر الله). اهـ من "الزهد لأبي داود" (١٣٧).

نصيحة لطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى أن يتصفوا بهذه الصفات

قال أبو عبد الرحمن نور الدين الحبيشي وفقه الله

ننصح أنفسنا بما أن الله منّ علينا بطلب العلم والتفقه في الدين وجعلنا من الدعاة إلى الصراط المستقيم أن نتحلى بهذه الصفات التي لا بد من الاتصاف بها إذا أراد الداعية أن ينجح في دعوته، فعليه أن يجاهد نفسه على العمل بها حتى يرى أثر ذلك عليه.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلَا يَلْبُثُ أَنْ يَرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَهَدْيِهِ وَلِسَانِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدِهِ». اهـ من "الجامع لأخلاق الراوي" (١/١٤٢).
واعلم أيها الداعية أنك أسوة حسنة لمن تدعوهم وتعلمهم ومن تخالطهم وتجالسهم في أقوالك وأفعالك ومعاملاتك وأخلاقك.

قال موسى بن أعين رَحِمَهُ اللهُ: قال لي الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: (يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذ صرنا يُقتدى بنا ما أرى يسعنا إلا التبسم).
يعني: من صار يقتدى به ينبغي أن يضبط تصرفاته. اهـ من "أعلام السلف" (١١).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي، بل يجب أن يكون عليها الداعية: العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه أو ينهي عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الرابحون، فهم دعاة الحق يعملون به، وينشطون فيه، ويسارعون إليه، ويتعدون عما ينهون عنه، قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٣].

وقال سبحانه موبخاً اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر

وآتيه». ^(٧٨) هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله نعوذ بالله من ذلك، فمن أهم أخلاق وأعظمها في حق الداعية: أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهي عنه، وأن يكون ذا خُلُقٍ فاضل وسيرة حميدة وصبر ومصابرة وإخلاص في دعوته واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس وفيما يبعدهم من الباطل، ومع ذلك يدعو لهم بالهداية، هذا من الأخلاق الفاضلة أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو: هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى، ومع ذلك تدعو له بالهداية، قال النبي عليه الصلاة والسلام لما قيل عن دوس أنهم عصوا، قال: «اللهم اهد دوسا وائت بهم». ^(٧٩) تدعو له بالهداية والتوفيق بقبول الحق وتصبر وتصابر في ذلك ولا تقنط ولا تيأس ولا تقل إلا خيراً، ولا تعنف ولا تقل كلاماً سيئاً ينفر من الحق، ولكن من ظلم وتعدى له شأن آخر، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا

(٧٨) متفق عليه. (٣٢٦٧-٢٩٨٩) م حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧٩) متفق عليه. (٢٩٣٧-٢٥٢٤) م حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تُجَدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

[سورة العنكبوت: ٤٦]. اهـ من "مجموع فتاواه" (٩٣/٢٧).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يجب أن يكون الداعية طيب الخلق، منبسط

الوجه، طيب الكلام، لا معبساً ولا مكفهرًا، ولا كثير الغضب، كان الرسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يدعو الناس بالحكمة، كما

قال الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

أي بالعلم وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة

النحل: ١٢٥]. قال الله في الكفار قال: ﴿وَلَا تُجَدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

وهم كفار، فكيف بالمسلمين؟!

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى

أخاك بوجه طلق وجه طليق». (٨٠) يعني منبسط، هكذا ينبغي للداعية أن

يكون حسن الخلق، طيب البشر، طلق الوجه، حسن الكلام، طيب الكلام،

لا عنيفاً، ولا شديداً ولا مكفهرًا، وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

قال الله لموسى، وهارون لما بعثهما إلى فرعون اللعين الذي يقول: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤].

أكفر الناس، يقول الله لموسى، وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٤].

يقال: إن بعض الوعاظ دخل على الرشيد، فقال: إني سأقول، وأشدد، فتحملني يا أمير المؤمنين: قال: لا يا أخي: لست بأفضل من موسى، وهارون: ولست بأكفر من فرعون: والله قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ [سورة طه: ٤٤].

ارفق بي، ارفق بي، لا تتكلم عليّ كلامًا شديدًا، ذكرني بالحق، هكذا ينبغي الرفق. اهد من "موقعه الرسمي"

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا نحن ينقصنا في علمنا أننا لا نطبق ما علمناه على سلوكنا، وأكثر ما عندنا أننا نعرف الحكم الشرعي، أما أن

نطبق، فهذا قليل - نسأل الله أن يعاملنا بعفوه - وفائدة العلم هو التطبيق العملي، بحيث يظهر أثر العلم على صفحات وجه الإنسان، وسلوكه، وأخلاقه، وعبادته، ووقاره، وخشيته وغير ذلك، وهذا هو المهم، وأظن أنه لو أتى رجل نصراني ذكي ودرس الفقه مثل ما درسناه، لفهم منه مثل فهمنا أو أكثر، انظر مثلاً في اللغة العربية «المنجد» يقولون: إن مؤلفه نصراني، ويبحث بحثاً جيداً، فالأمور النظرية ليست هي المقصودة في العلم - اللهم إنا نسألك علماً نافعاً - فالعلم فائدته الانتفاع، وكم من عامي جاهل تجد عنده من الخشوع لله - عز وجل ومراقبة الله، وحسن السيرة، والسلوك، والعبادة، أكثر بكثير مما عند طالب العلم). اهـ من «الشرح الممتع» (١٦٦ / ٧).

نهاية الكتاب

كان الإبتداء بهذا العمل بتاريخ، (١ من شهر صفر / ٢ / ١٤٤٨ هـ

وكان الإنتهاء منه بتاريخ (٢١ من شهر صفر / ٢ / ١٤٤٨ هـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الفهرس

- ٥.....
- ٦..... مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري
- ٧..... مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي
- ٩..... مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري
- ١٢..... مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبشي
- ٢٩..... مقدمة فضيلة الشيخ: أبي العباس منصور المجيدي
- ٣١..... مقدمة المؤلف
- ٣٤..... كلمة شكر
- ٣٩..... سبب تأليف هذا الكتاب
- ٤٠..... محتوى كتاب: صفات الداعية إلى الله تعالى
- ٤٤..... الصفة الأولى: أن يكون متأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم
- ٤٦..... الصفة الثانية: أن يكون مخلصا في قوله وفعله ودعوته لله تعالى

- أولاً: الدعاء والتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى: ٥١
- ثانياً: مجاهدة النفس على الإخلاص: ٥٢
- ثالثاً: التخفي في الأعمال الصالحة وعدم إظهارها إلا من مصلحة: .. ٥٧
- الصفة الثالثة: أن يكون عاملاً بعلمه ٦٢
- الصفة الرابعة: أن يكون مراقباً لله تعالى في السر والعلن ٨٩
- الصفة الخامسة: أن يسعى لإصلاح سيرته لكي يصلح الله علانيته .. ١٠١
- الصفة السادسة: أن يكون حسن القصد والنية ١٠٣
- الصفة السابعة: أن يكون صادقاً في قوله وفعله ١٠٥
- الصفة التاسعة: أن يكون صبوراً على ما يلقي من الأذى ١٠٨
- الصفة الثامنة: أن يكون مؤدباً في قوله وفعله ١٢٠
- الصفة التاسعة: أن يكون متأنياً ١٢٣
- الصفة العاشرة: أن يكون رحيماً بالصغار والكبار ١٢٨
- الصفة الحادية عشر: أن لا يشق على الناس في جانب الخطبة والإمامة ١٣٧
- الصفة الثانية عشر: أن يكون صاحب خلق حسن ١٤٤

- الصفة الثالثة عشر: أن يكون صاحب معاملة حسنة مع الناس ١٤٦
- الصفة الرابعة عشر: أن يكون رفيقا ١٤٨
- الصفة الخامسة عشر: أن يكون متبسما بشوشاً طليق الوجه ١٥١
- الصفة السادسة عشر: أن لا يكون عبوسا ١٥٤
- الصفة السابعة عشر: أن يكون متواضعا ١٥٥
- الصفة الثامنة عشر: أن لا يكون متكبرا ١٦٠
- الصفة التاسعة عشر: أن يكون صاحب سكينة ووقار ١٦٣
- الصفة العشرون: أن يكون قنعا بما آتاه الله وبمنهج أهل السنة والجماعة ١٦٥
- الصفة الحادية والعشرون: أن لا يكون كثير المزاح عند العوام ١٦٩
- الصفة الثانية والعشرون: أن لا يكون كثير الضحك ١٧٠
- الصفة الثالثة والعشرون: أن لا يكون كثير الكلام والقليل والقال إلا ما فيه مصلحة ١٧٢
- الصفة الرابعة والعشرون: أن لا يكون كثير الجدل ١٧٦
- الصفة الخامسة والعشرون: أن لا يكثر من مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة ١٧٧

- الصفة السادسة والعشرون: أن يكون متعففا مستغنيا زاهدا عما في أيدي الناس ١٨٢
- الصفة السابعة والعشرون: أن يكون كريما جوادا ١٨٧
- الصفة الثامنة والعشرون: أن يكون محسنا لغيره بقوله وفعله ١٩٠
- الصفة التاسعة والعشرون: أن يكون نافعا لغيره بقوله وفعله ١٩٢
- الصفة الثلاثون: أن يكون قوالا بالحق صداعا به ١٩٨
- وإليك همة الإمام الوادعي رحمه الله في الصدع بالحق وتغير المنكر وإنكاره على من يحجز في المسجد: ٢٠٢
- الصفة الحادية والثلاثون: أن يكون آمر بالمعروف ناهيا عن المنكر عاملاً بهما ٢٠٥
- الصفة الثانية والثلاثون: أن يكون محذرا من أهل البدع والأهواء والتحزبات ٢٠٧
- الصفة الثالثة والثلاثون: أن يكون شجاعا ٢١٠
- الصفة الرابعة والثلاثون: أن يكون مجتهدا في طلب العلم ٢١١

- الصفة الخامسة والثلاثون: أن يكون مجتهدا نشيطا في الدعوة إلى الله تعالى ونشر العلم ٢٣٦
- همة العلامة ابن عثيمين رحمه الله في تعليم الناس ونشر العلم والجواب على أسئلة الناس ٢٣٩
- الصفة السادسة والثلاثون: أن يكون صاحب همة عالية في البحث وتأليف الكتب العلمية ٢٤٤
- همة الإمام البخاري رحمه الله في تأليف صحيحه: ٢٤٥
- همة الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله في تأليف صحيحه: ٢٤٧
- همة الإمام مالك رحمه الله في تأليفه لموطئه ٢٤٩
- همة الإمام الحاكم رحمه الله في تأليفه لمستدركه: ٢٤٩
- همة الحافظ ابن حجر رحمه الله في التأليف والتصنيف: ٢٥٠
- همة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التأليف والتصنيف: ٢٥١
- همة الإمام ابن القيم رحمه الله في تأليفه لكتابه زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢٥٤

همة ابن القيم رحمه الله في تأليف: كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن

الدواء الشافي والمسمى الداء والدواء عندما سأل رجل: ٢٥٧

همة الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله في تأليف كتابه "عمدة الأحكام

من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم": ٢٦١

همة الإمام الوادعي رحمه الله: في تأليف الصحيح المسند مما ليس في

الصحيحين: ٢٦٢

همة الإمام الألباني رحمه الله: في تأليف كتابه أصل صفة صلاة النبي صلى

الله عليه وسلم: ٢٦٣

همة شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله في تأليف: رسالة

الأربعون الحسان لتنبيه الأنام على فضل الاجتماع على الطعام وما

تضمنته من الآداب والأحكام. ٢٦٧

همة العلامة السعدي رحمه الله في التأليف: ٢٦٩

همة الإمام الشافعي رحمه الله في البحث: ٢٧٢

الصفة السابعة والثلاثون: أن يكون متسلحاً بالعلم ٢٧٤

- الصفة الثامنة والثلاثون: أن يكون حريصا على وقته ٢٧٦
- حرص ابن جوزي رحمه الله على وقته: ٢٧٦
- حرص ابن عقيل رحمه الله على وقته: ٢٧٧
- حرص الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري رحمه الله على وقته: ٢٨٠
- حرص شيخ الإسلام رحمه الله على وقته: ٢٨٠
- حرص بعض العلماء على وقته: ٢٨١
- حرص عبيد بن يعيش رحمه الله على وقته: ٢٨٢
- حرص جمال الدين القاسمي رحمه الله على وقته: ٢٨٢
- حرص الخطيب البغدادي رحمه الله على وقته: ٢٨٢
- حرص الفخر الرازي رحمه الله على وقته: ٢٨٢
- حرص الإمام النووي رحمه الله على وقته: ٢٨٣
- حرص الإمام الشافعي رحمه الله على وقته: ٢٨٣
- حرص الإمام الألباني رحمه الله على الوقت: ٢٨٣

- ٢٩٠ حرص أبو حاتم الرازي رحمه الله على وقته:
- ٢٩٢ الصفة التاسعة والثلاثون: أن يهتم بتعليم الناس العقيدة والتوحيد ...
- ٢٩٦ الصفة الأربعون: أن يكون مصلحا
- ٣٠٠ الصفة الحادية والأربعون: أن لا يكون حسودا
- ٣١٢ الصفة الثانية والأربعون: أن لا يكون حقودا
- ٣١٤ الصفة الثالثة والأربعون: أن لا يكون معجبا بنفسه
- ٣٢١ الصفة الرابعة والأربعون: أن لا يكون متبعا لهواه
- ٣٢٧ الصفة الخامسة والأربعون: أن لا يكون نماما
- ٣٣٣ ما ينبغي لمن حُمِلت إليه النميمة:
- ٣٣٤ الصفة السادسة والأربعون: أن لا يكون مغتابا
- سؤال: قد يقول قائل ما هي الحكمة من النهي عن الغيبة وما مناسبة
- ٣٣٥ ذلك؟
- ٣٣٧ سؤال: هل الغيبة محرمة مطلقاً؟
- ٣٤٢ سؤال: ما هي الكيفية الصحيحة للتحلُّل من الغيبة؟

- سؤال: ما صحة قول القائل: لا غيبة لفاسق؟ ٣٤٨
- سؤال: ما هي الطريقة الصحيحة للتخلص من الغيبة؟ ٣٤٩
- الصفة السابعة والأربعون: أن يكون ذاكر الله كثيرا في سائر أحواله . ٣٥١
- همة شيخ الإسلام رحمه الله في جانب ذكر الله تعالى: ٣٥٣
- همة ابن القيم رحمه الله في جانب ذكر الله تعالى: ٣٥٣
- الصفة الثامنة والأربعون: أن يكون توابا رجاءا إلى الله تعالى ٣٥٥
- الصفة التاسعة والأربعون: أن يكون صاحب هيئة طيبة في جانب الملبس والطيب ٣٥٧
- الصفة الخمسون: أن لا يجالس إلا الصالحين ٣٦٢
- نصيحة لطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى أن يتصفوا بهذه الصفات ٣٦٥
- الفهرس ٣٧١
- مؤلفات: نور الدين الحبشي ٣٨٠

مؤلفات: نور الدين الحبشي

- (١) كتاب: أحكام البيوت «جاهز مطبوع». (٦٢٠ صفحة).
- (٢) كتاب: مفسدٌ في طريق الداعية إلى الله وعلاجها «جاهز مطبوع». (٢٦٠ صفحة).
- (٣) كتاب: الحكمة في بيان الأحكام الشرعية «جاهز مطبوع». (٥٠٠ صفحة).
- (٤) كتاب: الهمة العالية في جوانب مختلفة «جاهز مطبوع». (٤٣٠ صفحة).
- (٥) كتاب: الحسد أقسامه مفسده علاماته علاجه «جاهز مطبوع». (٣٣٠ صفحة).
- (٦) كتاب: النية فضائل وأحكام «جاهز مطبوع». (٣٠٠ صفحة).
- (٧) كتاب: صلاة النوافل فضائل وأحكام «جاهز مطبوع». (٦٢٠ صفحة).
- (٨) كتاب: حلية المريض آدابٌ وفوائد وأحكام «جاهز مطبوع». (٥٠٠ صفحة).
- (٩) كتاب: التلبية لأحكام ومسائل الأضحية «جاهز مطبوع». (٢٠٠ صفحة).
- (١٠) كتاب: المحجة في فضائل وأحكام عشر ذي الحجة «جاهز مطبوع». (١٤٠ صفحة).
- (١١) كتاب: البنات رياحين البيوت «جاهز مطبوع». (٣٠٠ صفحة).
- (١٢) كتاب: السلامة من أذى الخلق «جاهز مطبوع». (٤٠٠ صفحة).
- (١٣) كتاب: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم «تحت التجهيز» (٢٥٠ صفحة).
- (١٤) كتاب: المعاملة الحسنة «جاهز مطبوع». (٢٨٠ صفحة).
- (١٥) كتاب: أعمالٌ يسيرةٌ وأجورٌ عظيمة «جاهز مطبوع». (٤١٠ صفحة).
- (١٦) كتاب: الجزاء من جنس العمل «جاهز مطبوع». (٥١٠ صفحة).

(١٧) كتاب: العجلة حقيقتها وآفاتها ودواؤها «تحت التجهيز». (١٥٠ صفحة).

(١٨) كتاب: اعرف عدوك «جاهز مطبوع». (٣٢٠ صفحة).

(١٩) كتاب: حلية المسلم «تحت التجهيز». (٢٠٠ صفحة).

(٢٠) كتاب: الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء «تحت التجهيز». (٢٠٠ صفحة).

(٢١) كتاب: المواساة خُلُقُ النبلاء عند الشدائد «جاهز مطبوع». (٢٨٠ صفحة).

(٢٢) كتاب: الأذان فضائل وأحكام «تحت التجهيز». (٢٠٠ صفحة).

(٢٣) كتاب: أمراض القلوب وعلاجها «جاهز مطبوع». (٣٥٠ صفحة).

(٢٤) كتاب: التحذير من قتل النفس بغير حق وبيان أسبابه وعلاجه «جاهز مطبوع». (٢٠٠ صفحة).

(٢٥) كتاب: الظلم حقيقته وآثاره وعلاجه «تحت التجهيز». (٢٠٠ صفحة).

(٣١) كتاب: آداب الطريق «جاهز مطبوع» (١٨٠ صفحة).

(٣٣) كتاب: الهمة في طلب العلم «جاهز مطبوع». (٢٠٠ صفحة).

(٣٤) كتاب: عالج نفسك من القرآن والسنة «جاهز مطبوع». (٢٠٠ صفحة).

(٣٧) كتاب: صفات الداعية إلى الله تعالى «جاهز مطبوع». (٣٩٠ صفحة).

وهناك مؤلفات أخرى للمؤلف تحت التجهيز بإذن الله تعالى

